جامعة وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

اطروحة

لـــنيــل شهادة دكتوراه علـوم في الأنثروبـــولوجيـــــا

المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيـا

تمثلات الجسد الأنثوي والهوية الجندرية

دراسة أنثروبولوجية بمدينة باتنة

من إعداد الطالب

عــلاوة عبلــة

الأستاذ المشرف

مولاي حاج مراد

تشكيلة لجنة المناقشة:

الصفة	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيسا	سويـح مهدي	أستاذ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مشرفا	مولاي حاج مراد	أستاذ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مناقشا	العقعاق حفصة	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مناقشا	كرابية أمينة	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
مناقشا	سعدي حسينة	أستاذ محاضر أ	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
مناقشا	سوالمية نورية	أستاذ	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

الموسم الجامعي 2026/2025

جامعة وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

اطروحة

لـــنيــل شهادة دكتوراه علـوم في الأنثروبـــولوجيـــا

المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيـا

تمثلات الجسد الأنثوي والهوية الجندرية

دراسة أنثروبولوجية بمدينة باتنة

من إعداد الطالب

عــلاوة عبلــة

الأستاذ المشرف

مولاي حاج مراد

تشكيلة لجنة المناقشة:

الصفة	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيسا	سويـح مهدي	أستاذ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مشرفا	مولاي حاج مراد	أستاذ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مناقشا	العقعاق حفصة	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بن احمد وهران2
مناقشا	كرابية أمينة	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
مناقشا	سعدي حسينة	أستاذ محاضر أ	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
مناقشا	سوالمية نورية	أستاذ	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

الموسم الجامعي 2026/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا



بالشراكة مع:

- جامعة محمد بن أحمد – وهران2 (الجامعة المؤهلة)
- جامعة عبد الحميد ابن باديس- مستغانم
- جامعة منتوري- قسنطينة2
- جامعة مولود معمري- تيزي وزو
- جامعة عبد الرحمان ميرا- بجاية
- جامعة أحمد دراية – أدرار
- جامعة محمد خيضر – بسكرة
- جامعة غرداية
- المركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

السنة الجامعية 2025-2026

شكر وعرفان




عبلـــــة عـــلاوة

... إلى كل أنثـــــــى

يا من تحملين في قلبك أسرار الماضي

وتبنين المستقبل بحكمة الحاضر

وتحلمين بغدٍ تُتوِّجين به المستقبل

هذا السفر هو مرآتكِ، صفحاتُه قراءةٌ لذاتكِ التي لا تعرف

المستحيـل



الباحثة عبلـــــة عـــــلاوة



﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾

سورة يونس -الآية 10-

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

فهر س المحتويات

قائمة المختصرات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

فهرس الصور

فهرس الملاحق

مقدمة.....أ

فصل تمهيدي: المقاربة المفاهيمية والمنهجية للدراسة 1

1.إشكالية الدراسة 2

2.المبررات المنهجية لاختيار موضوع الدراسة.....12

.3أهمية واهداف الدراسة 14

1.3. أهمية الدراسة 14

2.3. أهداف الدراسة.....15

4.الجهاز المفاهيمي للدراسة 16

1.4.مفاهيم متعلقة بالجسد 16

2.4.مفاهيم متعلقة بالجمال 17

5.منهج وأدوات الدراسة " نماذج وتقنيات منهجية".....18

1.5. منهج الدراسة.....18

2.5.أدوات وطرق جمع البيانات 24

6. ميادين ومجالات مختبر الدراسة 33

7.المقاربة النظرية للدراسة 39
الفصل الأول: بناء الموضوع والمقاربة المنهجية للدراسة.....44
تمهيد..... 45
أولا: البنية المفاهيمية للتمثلات الاجتماعية 46
.1مفهوم التمثلات 46
1.1.التمثلات لغة.....46
2.1. التمثلات اصطلاحا 47
2.التمثلات في حقل العلوم الاجتماعية 47
1.2.التمثلات في علم الاجتماع.....47
2.2. التمثلات في علم النفس الاجتماعي.....48
3.2. التمثلات في الانثروبولوجيا 48
.3أهمية وخصائص التمثلات 50
.4أبعاد وسيرورة التمثلات الاجتماعية 52
.1.4أبعاد التمثلات الاجتماعية 52
2.4. سيرورة التمثلات الاجتماعية.....53
.5وظائف التمثلات الاجتماعية 57
2.5. الوظائف الإدراكية المعرفية.....57
2.5وظيفة شخصية (الهوياتية) 58
3.5. وظيفة التوجيه.....59
4.5. وظيفة التبرير.....59
ثانيا: التمثلات الاجتماعية في مختبر الثقافة.....61
1.العلاقة بين التمثلات والممارسات 61

2.مقاربات التمثلات الاجتماعية.....61

1.2. المقاربة الكلاسيكية.....62

2.2 مقاربة النواة المركزية.....62

3.2. المقاربة الدينامية – السياقية.....63

4.2. المقاربة الأنثروبولوجية – الثقافية.....64

3.التمثلات الثقافية للجسد الانثوي.....65

1.3.تمثلات الجسد في الفضاءات الجمالية.....66

2.3. البعد الأنثروبولوجي لسيرورة التمثلات في السياق الثقافي المحلي(باتنة).....67

3.3 التمثلات والهوية أية علاقة؟.....70

خلاصة.....70

الفصل الثاني: التنشئة الجندرية وصناعة الجسد الأنثوي «استراتيجية" الترويض والقولبة....."71.

تمهيد.....73

أولا: الجسد جينيالوجيا الدلالالة والمفهوم.....74

1.ماهية الجسد.....74

1.1.الجسد لغة.....74

2.1. الجسد اصطلاحا.....75

2.تاريخ الجسد التأسيس والتحولات.....76

1.2.الجسد في الفكر الفلسفي رهانات الهوية والاعتراف.....76

2.2. الجسد في الفكر السوسيو انثروبولوجي جدلية الاجتماعي والثقافي.....77

3.2. الجسد والجندر في الخطابات النسوية.....79

3.الجسد في الفكر العربي والإسلامي بين المقدّس والمدنّس.....84

ثانيا: التنشئة الجندرية استراتيجية الترويض والقولبة.....87

1.الأسرة وقولبة الجسد الأنثوي بين الظاهر والخفي.....88

.2تكنولوجيا الإعلام وقوالب الأنوثة من المقاومة إلى التحرر 96

3.تدبير الجسد الأنثوي الثوابت الاجتماعية والقيم الجمالية 99

1.3جغرافية الجسد الأنثوي البناء والرمز 100

.2.3الجمال والذوق الجمالي الثوابت الاجتماعية والثقافية..... 107

3.3. الجسد المؤنث بوصفه تمثيلًا ثقافيًا 112

خلاصة..... 113

الفصل الثالث: إشكالية الجمال ولعبة التصنيفات الجسدية «وجوه تتكرر وأبعاد تتقاطع" 114

تمهيد..... 115

أولا: الجمال الأنثوي الماهية والمفهوم 116

.1الزينة والجمال دلالات المعنى 116

.1.1مفهوم الزينة 117

2.1. مفهوم الجمال 118

3.1. الزينة والجمال أية علاقة؟ 120

.2الزينة والجمال الأنثوي فصول اللعبة العصية..... 122

.1.2الجمال الأنثوي والجسدانية ثلاثية الخطاب 122

.3الجمال الأنثوي وأشكال التبادل الرمزي..... 128

.1.3الجمال الأنثوي والجاذبية 130

.2.3الجمال الأنثوي المعيارية والهاجس 132

ثانيا: الجمال الأنثوي والعناية الجسدية آليات التدبير والبناء 134

.1التجميل والزينة تقاطع المتوارث والوافد 134

.1.1آليات التزيين المتوارثة(التقليدية) 134

.2.1آليات التزيين الوافدة (الحديثة) 136

2.الجمال الأنثوي والعناية الجسدية الانجذاب والمقاومة..... 147
1.2.العناية الجسدية والقيم الجمالية..... 147
2.2.الجمال الانثوي وتمثلات المظهر في الفضاء العمومي..... 150
3.الجمال الأنثوي، موضة التجميل وعري الجسد 155
خلاصة.. 156
الفصل الرابع: الممارسات التجميلية وتقنيات صناعة الجسد" الظاهر والخفي"..... 158
تمهيد..... 159
أولا: اثنوغرافيا فضاءت التجميل وبناء الهوية الجندرية 160
1.فضاءات التجميل وصناعة الذوق الجمالي 160
1.1.صالونات الحلاقة "الحفَّافَاتْ" وتَفَجُّرْ الرَّغْبَة..... 161
2.1.مراكز التجميل والعناية الجسدية التحرر والخضوع 164
3.1.عيادات الطب التجميلي الترسيخ وإعادة التشكيل 171
4.1.نوادي الرياضة اللياقة البدنية والصورة الجسدية..... 174
2.التجميل شيفرة الهوية الأنثوية والوجوه الموحدة..... 181
1.2. الأنثى حُمَّى المرآة والهيمنة الناعمة 182
2.2.موضة التجميل وتنميط الجمال الانثوي..... 187
3.2.خيبة الجسد، الشباب والشيخوخة ثورة الجسد الثالثة 188
4.2مسابقات الجمال الأذواق المُعَلَّبَة 190
5.2.الموضة ووحشية التجميل القوة الناعمة..... 192
ثانيا: الجسد الأنثوي بين السيطرة الذاتية والمتطلبات المجتمعية..... 194
1.الجمال الأنثوي في مشرحة الميديا الوسم والعلامة..... 196
1.1.منصات التواصل الاجتماعي وتنميط الذوق الجمالي 196

2.1.الجمال الرقمي وفلاتر الظهور 198

.2الجسد الأنثوي وخطابات الأنوثة البعد الجمالي والتجاري 200

1.2.فضاءات تجميلية أم سوق تجارية؟ 200

2.2.الجسد الجميل والجسد الاستثماري 202

.3.2الجمال تحت الكمامة الاتصال والانفصال..... 204

خلاصة..... 206

عرض ومناقشة نتائج الدراسة 207

خاتمة عامة 213

توصيات الدراسة..... 218

قائمة المراجع 217

الملاحق..... 227

ملخص الدراسة 236

قائمة المختصرات

الاختصار	المعنى
ب. د	مرجع بدون دار نشر
ب. ت	مرجع بدون تاريخ
ب. م	مرجع بدون مؤلف
ج	الجزء
ط	الطبعة
Ibid.	نفس المرجع
Ibidem	نفس المرجع ونغس الصفحة
Op.cit.	مرجع سابق
P	Page /صفحة

فهرس الأشكال

الشكل رقم 1: توزيع عينة البحث حسب فضاءات صناعة الجسد (من اعداد الباحثة) 23

الشكل رقم 2: دور المشارك الملاحظ في العمل الحقلي (من اعداد الباحثة) 25

الشكل رقم 3: خصائص التمثلات حسب موسكوفيسي 52

الشكل رقم 4: أبعاد التمثلات 53

الشكل رقم 5: الأسرة وقولبة الجسد الأنثوي بين الظاهر والخفي(من أعداد الباحثة)..... 89

الشكل رقم 6: قيم الجسد الانثوي والجسدانية (من اعداد الباحثة) 124

الشكل رقم 7: الجمال الأنثوي وأشكال التبادل الرمزي 129

الشكل رقم 8: أنواع التدريبات الرياضية في نوادي الرياضة النسائية. 177

الشكل رقم 9: الجسد الأنثوي بين السيطرة الذاتية والمتطلبات المجتمعية (اعداد الطالبة) 195

الشكل رقم 10: فضاءات التجميل ام سوق تجارية؟ 201

فهرس الجداول

الجدول رقم1 : جغرافية الجسد الأنثوي رموز ودلالات 106

الجدول رقم2 : الجسد الأنثوي ونظم المعاني 108

الجدول رقم3 : ألفاظ تصنيف الجمال الأنثوي في الثقافة العربية 119

الجدول رقم 4: تقنيات التجميل بين الموروثة والوافدة (اعداد الباحثة) 137

الجدول رقم 5: آليات وتقنيات العناية بالوجه 140

الجدول رقم 6: آليات وتقنيات العناية بالجسد..... 144

فهرس الصور

الصورة رقم1 : خريطة مدينة باتنة مستمدة من الانترنت 34
الصورة رقم 2: حسابات وقياسات تجميل الوجه 143
الصورة رقم 3: خارطة لموقع مختلف فضاءات التجميل 160
الصورة رقم 4: أسماء فضاءات التجميل والعناية الجسدية 161
الصورة رقم 5: ديكورات حسب نوع الخدمات التجميلية (حلاقة، مكياج، أظافر) 166
الصورة رقم 6: معدات وتجهيزات فضاءات التجميل 167
الصورة رقم 7: الوسائل الطبية في صالونات الحلاقة ومراكز التجميل..... 168
الصورة رقم 8: خدمات فضاءات التجميل والعناية الجسدية 169
الصورة رقم 9: التدريبات الرياضية في نوادي اللياقة البدنية..... 178
الصورة رقم 10: الممارسات التجميلية في مرحلة الشيخوخة..... 189
الصورة رقم 11: مسابقة ملكة جمال الاوراس 2025..... 192

فهرس الملاحق

الملحق رقم 1: معطيات المقابلات الميدانية مع الممارسات..... **Erreur ! Signet non défini.**

الملحق رقم 2: معطيات المقابلات الميدانية يمثل الفئة العمرية حسب فضاءات التجميل..... **Erreur ! Signet non défini.**

الملحق رقم3 : دليـــل مقابلـة الممارس عليهن (زبونات) (2)..... 228

الملحق رقم4 : دليـــل المقابلـة (1)..... 230

الملحق رقم 5: الخصائص السوسيو ديموغرافية للعينة (الزبونات)..... 232

الملحق رقم 6: الخصائص السوسيو ديموغرافية للعينة (الممارسات) 235



مقدمة



مقدمة

" رَيْحَانَةٌ يُشْتَهَى شَمُّهَا، وَشَيْطَانَةٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّهَا، شَرٌّ هِيَّ وَمِنْهَا المَرَارُ، لَكِنْ لَابُدَّ منْهَا وَبَعْضُ مَرَارِهَا مَأْكُولٌ، إِنَّهَا المَرْأَةُ: الأُمُّ، وُالزَّوْجَةُ وَالأُخْتُ، شَقِيَّةٌ بِهَا الْحَيَاةُ، وَمِنْ دُونِهَا جَوْفَاءُ"[1]

المرأة/ الجسد، العلامة الإنسانية والدمغة الثقافية، مُتفرد في صفاته وخصائصه لا يتحقق الوجود إلا من خلاله وبه، فيه من الخصوصية ما يثير السؤال، الشك والريبة ويعكس المعطى البيو اجتماعي والثقافي المُتجسد في كل المجتمعات الإنسانية. له من الخصوصية مالا يمتلكه غيره لارتباطه بالمقدس والمدنس. **والطابو**. لا يقتصر على وصف مادي أو بيولوجي بل هو قراءة عميقة يسعى من ورائها الباحث إلى اكتشاف وتتبع كيف يُربى الجسد ويُنشئ، وكيف يتفاعل مع النسق الثقافي والاجتماعي المحيط به مما يجعل من دراسته مفتاحًا لفهم أعمق لكل الخطابات والتمثلات الفردية والجماعية التي تعكس تداخلات معقدة بين الحلال والحرم، الاندماج والانفصال. وبين العرف والتقليد وبين التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مُتشكِلاً كنص مفتوح للقراءة والفهم والتفسير يجمع بين الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا ما يجعل منه موضوع عابراً للتخصصات والنظريات والمقاربات المختلفة في فهمه وفهم تمثلاته الاجتماعية والفردية "**الجسد الأنثوي**" ما يجعل منه باباً للبحث والتقصي لفهم دلالاته ورموزه الاجتماعية الثقافية، والدينية الأخلاقية التي يُعاد إنتاجها وتشكيلها من خلال اللغة، الطقوس والخطابات والممارسات.

إن تتبع جغرافية الجسد الأنثوي، وقراءة تمثلاته ومناقشتها يُوضِّح كيف أن الفهم المعاصر للجسد لا يمكن أن يُفصل عن الأسئلة المتعلقة بالجندر وبالهوية الأنثوية. ذلك ما نسعى إليه من خلال هذا البحث، تحليل كيف تتداخل هذه المفاهيم وكيف تُسهم في إعادة تشكيل فهمنا للجسد في إطار الجندر والتمثلات الاجتماعية، ندخل من باب المظهر والعناية الجسدية الى معابد النساء **(فضاءات صناعة الجسد والأنوثة)** التي تُعيد تشكيله وقولبته ليظل مُشتهى**(الجسد)** وما توليه المرأة من اهتمام بهذه الممارسات والعناية الجسدية. حيث لا تدخر مالاً ولا جهداً ولا وقتاً في الامتثال لها ولقوانينها الخاصة. مُحاولةً منا لفك شفرات الجسد الأنثوي والبحث في مظاهر الممارسة والقولبة وعلاقتها بآليات

[1] زينب أحمد، **المرأة في التراث العربي**، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص5.

وتقنيات التحكم في الجسـد، والتي نعتبرها أكثر صـلة بالذوق الجمالي ومفهوم الهوية الجندرية، وأكثر تأسيساً لمفهوم التمثلات الاجتماعية.

لا يمكن الحديث بحيادية عن جمالية الجسـد الأنثوي وتمثلاته مالم نقف على الممارسـات التجميلية، آليات وتقنيات صـناعة الذوق الجمالي وموضـة المظهر داخل فضـاءات العناية الجسـدية وصـناعة الجمال في مدينة باتنة، باعتبارها مساحات ثقافية تُعيد تشكيل الجسد الأنثوي، وتعيد إنتاج صـور الأنوثة وفق معايير اجتماعية وجمالية تتأثر بالتحولات السـوسـيوثقافية والتاريخية، والمرجعيات الدينية والإعلامية والاقتصادية والسياسية. ومن خلال هذا التَّمَفْصُلْ بين الجسد والجندر نحاول الوقوف على الكيفيات التي تُمارس بها السلطة الرمزية على الجسد الأنثوي، وكيف تُسهم الممارسات الجسدية " **الزينة عمليات التجميل، الموضـة، الرياضـة**" في تكوين تمثلات متجددة للأنوثة. كما سـنقف على التمثلات الفردية والجماعية في علاقتها بالهوية والجندر التي تفرض علينا منذ البداية الغوص العميق في عمق مجتمع البحث **(قاعات الحلاقة، مراكز التجميل والعناية الجسـدية، عيادات التجميل، نوادي الرياضـة)** والمشاركة الفعلية لفهم الممارسات الخاصـة بصـناعة الجسد بكل تفاصـيلها دون حجاب أو سـتار حسـب ما توفره لنا هذه الفضـاءات من انخراط وما تمنحه لنا المعارف والعلوم من فهم انثروبولوجي للتجربة الإنسـانية في المجتمع الباتني **(باتنة)** نُوَضِّـحَ مفهوم الهوية الجندرية، الثوابت الاجتماعية والثقافية لنصـل الى مفهوم العولمة وانعكاسـاتها على الجسـد الأنثوي. سـنحاول قدر المسـتطاع وضـع **اثنوغرافيا** للجسـد الانثوي باتخاذ التمثلات الاجتماعية واجهة للكتابة على الجسـد مركزين على أشـكال ضـبط الجسد على مسـتوى السـلوكيات والممارسـات المتعلقة بالعناية الجسـدية وصـناعة الجمال سـواء عملية أو رمزية عبر الزمكان. **(زمان ومكان اجراء البحث)** وقد قمنا بتقسـيم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلي:

فصـل تمهيـدي واشـتمل علـى المقاربـة **المفاهيميـة والمنهجيـة للدراسـة**. ويمثـل هـذا الفصـل الأرضـية النظريـة والمنهجيـة التـي تقـوم عليهـا هـذه الدراسـة **الأنثروبولوجيـة**، حيـث استعرضـنا مـن خلالـه أهـم المفـاهيم المفتاحيـة المرتبطـة بالجسـد والأنوثـة، التمـثلات والجنـدر، كمـا وضَّـحنا المعالجـة المنهجيـة التـي اعتمـدناها فـي هـذه الدراسـة والتـي تقوم علـى اقتـراب كيفـي ذي طـابع **إثنـوغرافي**، يسـمح بـالغوص فـي تفاصـيل الممارسـات فـي فضـاءات صـناعة الجسـد، مـن خـلال المعايشـة والملاحظـة والمقابلـة. كمـا تطرقنـا إلـى أبـرز المقاربـات النظريـة التـي قاربـت

الجسد كمعطى ثقافي واجتماعي لا كيانًا بيولوجيًا فقط، وذلك من خلال إسهامات المدرسة الرمزية والأنثروبولوجيا النسوية، ونظرية الجندر.

أما **الفصل الأول** المعنون ب: **التمثلات الاجتماعية والشيفرات الثقافية** فلقد اشتمل على البنية المفاهيمية للتمثلات بالوقوف على أهميتها، خصائصها وابعادها كنمط تفسيري يبنيه الفرد وتنتجه الجماعة، بالوقوف على سيرورتها ووظائفها التي تعمل على تشكيل الهوية الأنثوية. كما تطرقنا إلى بعض المقاربات التي حاولت تفسير آليات تشكل هذه التمثلات التي نعتبرها المادة الأولية لفهم الجسد الأنثوي وكل التفاعلات والممارسات التي تشكل سيروراتها.

واشتمل **الفصل الثاني** على **مفهوم التنشئة الجندرية وصناعة الجسد من الترويض الى القولبة** بالدراسة والتحليل لمختلف المرتكزات المفاهيمية المتعلقة بجنيالوجيا الجسد وتاريخه في الخطابات السوسيولوجية والانثروبولجية وفي الخطابات النسوية العربية والغربية وما بعد الحداثة، كما وقفنا على الجسد بين المقدس والمدنس في الفكر العربي والإسلامي لنصل لآليات التنشئة وقولبة الجسد الأنثوي في مؤسسات التنشئة، وسبل التدبير بين الثابت والمتحول.

أما **الفصل الثالث** فانه اشتغل على **إشكالية الجمال والتجربة الجمالية** بدأً من بط المفاهيم المتعلقة بالزينة والجمال وصناعة الذوق الجمالي وصولا الى خطابات الجسد واشكال التبادل الرمزي، حيث تبينت العديد من القيم والمعايير والهواجس المتعلقة بالجسد وموضة التجميل المتعلقة بالممارسات والتقنيات المتقاطعة بين القيم التقليدية والحديثة التي تحكم مظهر الأنثى و تُقَوْلَبُ الأجساد.

ولقد تضمن **الفصل الرابع: المضامين الانثروبولوجية لتمثلات الجسد الانثوي** وتقاطع الهويات الجندرية بكل مضامينها التي صنعها الاعلام وسوقت لها الموضة لنصل في الأخير الى عرض **النتائج والاستنتاجات** المتعقلة بفهم هذه التيمة، ضوابط اللعبة التجميلية والتصنيفات الجسدية عبر مختلف الفضاءات التقليدية والحديثة التي تعتبرها الأنثى معبدها الآمن. ثم نصل إلى **خاتمة** هذا العمل الانثروبولوجي ليتم في الأخير إدراج دليل المقابلة (1-2) المعتمد في الدراسة مع الملاحق وقائمة المراجع.



فصل تمهيدي



المقاربة المفاهيمية والمنهجية للدراسة

1.إشكالية الدراسة

الجسد ذلك الحاضر الغائب، الرَّغبة المُشتهاة والتَّجربة المُعاشة، نُخْفيه وهو الجُزء المَرْئِيُّ منَّا نَرى ونتحسس به العالم ونتحسّسْ به ذواتنا. إنَّه حقل ألغام وساحة معركة يصعُب اختراقه، موضوع أعمق من أي رؤية أو فهم أو تحليل ونقاش. إنه **الباحث والمبحوث** وذلك الكل المُتشكِّل فينا "**ذكر انثى**" قَضِيَّتُنَا الأولى والأزلية منذ بدْءِ الخلق "**آدم، حواء**" وبين الولادة والموت تتشكل الحياة عبر هذا الجسد الأخْرَس موضع الرغبة والشقاء الموجود في كل الأمكنة والأزمن في الحرب والسِّلم، بل هو المُحرك الأول لكل الموجودات ومقر المعنى مركزه. وموقعاً أساسياً يتم فيه التعبير والافصاح عن الثقافة والهوية من خلال طقوس العناية الجسدية باستخدام **مستحضرات وتقنيات التجميل** وغيرها من أشكال الزينة. فمن خلاله "**الجسد**" فقط يُمكننا التَّأقلم أو مقاومة التوقعات المفروضة علينا.[1]

غريب أمر هذا الجسد كيف يتداخل في شتَّى مجالات التَّفاعل التي تلُفُّه من كل جهة واتجاه يتداخل مع عالم الدِّين والايمان في علم الاجتماع والتجمع وفي عالم الرموز والمسالك اليومية بين البشر.[2] دائم الحضور في كل الممارسات والأنشطة بكل أبعاده الدينية والطقوسية، الاجتماعية والثقافية والجمالية. حيث لم يعد يقتصر فقط على الصحة والمرض، الحركة والسكون (ثقافة الجسد) وعمليات تجسيد الحركة (ثقافة الإنتاج) والبيئة والمنظمات (ثقافة الأفكار) ...بل امتدَّ ليشمل المظهر الخارجي ضمن ثقافة الجسد [3]. ننظر إليه ليس باعتباره بنية تشريحية فيزيولوجية وكيان بيولوجي محايد فحسب وإنما كمجال مُتعدِّد الأبعاد تتمركز حوله جميع العلوم والمعارف، مُنفتح على عدة حقول معرفية متداخلة من بيولوجيا، طب، فلسفة، سيميولوجيا، علم الاجتماع وعلم النفس والدين والفن والانثروبولوجيا ... الخ تتشابك فيه مختلف المفاهيم وتُنقش عليه المعاني والرُّموز وتتقاطع فيه السُّلطة والمعنى. بل أضحى حقلًا رمزيًّا مركزيًّا لتجلِّيات الهوية يمزج بين التقليد والحداثة، بين اللغة والمعنى وبين الدلالة

[1] مها محمد حسين: **العذرية والثقافة**، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 14.

[2] فؤاد إسحاق الخوري، **أيديولوجية الجسد " رمزية الطهارة والنجاسة"**،ط، دار الساقي، لبنان، 1998، ص1.

[3] - Henning،Eich berg ;. How to Study Body Culture Observions Human practice : Den mark : University of center for sports Denmark،. Heath and civil society. P232007. 22-05-2022 - https://idrottsforum.org/articles/eichberg/eichberg070606.pdf

والتمثل ليس كمجال ثقافي لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية. بل حاملاً للذاكرة والهوية والقيم الجنسانية.

نال هذا الأخير " **الجسد**" بكل أطيافه وايديولوجياته اهتماماً كبيراً في مختلف المجتمعات والثقافات حيث أولته الحضارات المتعاقبة أهمية بالغة باعتباره محورًا رئيسيًا في الحياة اليومية والدينية والثقافية ومدخلاً حيوياً للفكر والخطابات. وعليه فإن الأدبيات **الانثروبولوجية والاثنوغرافية** ثرية في هذا المجال بالدراسات الوصفية التي تناولته كأداة لفهم الثقافات المتنوعة وتجارب الشعوب المختلفة. اتخذت من البِنية الجسدية موضوعاً لدراستها ودراسة مختلف التمثلات والتصورات والأساطير والمعتقدات التي يحملها الجسد والطقوس والشعائر المرتبطة به، بل جعلت منه حقلاً مركَّباً تجتمع فيه كل البيانات وكافة الممكنات الاجتماعية والفردية الثقافية والرمزية، أو بالأحرى جعلت منه مُلتقى طرق تلتقي فيه كل العلوم والمعارف لإبراز كيف أن فهم عادات وممارسات معينة مثل الطقوس الجسدية أو المعايير الجمالية يُعَدُّ ضروريًا لفهم الثقافة ككل[1].

ولقد دشن **الجسد** حضوره في استثمارات العلوم الاجتماعية بفضل العديد من الأبحاث لكل من "ن، **الياس**" و "م **فوكو**" و "ج، **بودربال**" و "ج، **دولوز**" و "م، **دوغلاس**" و"**ب، تيرنر**" وغيرهم في طرحهم لهذا الموضوع كتحليل للممارسات الاجتماعية أو للتمثلات في فكر السوسيولوجين والانثربولوجين الذين يرونه مُخترقاً للمعارف والتخصصات، يتقاطع مع حقول أخرى " تاريخ، اثنولوجيا سيكولوجيا، بيولوجيا طب علوم الرياضة... الخ" دون أن يفقد خصوصيته ولا أن يتنازل عن متطلباته الصارمة. فلقد أصبح هذا الأخير في واجهة الاجتماعي والفردي، البيولوجي والرمزي[2] غير أن سؤال " **الجسد**" ظل سؤالاً مؤجلاً محرماً من الخوض فيه ومن مُسائلته في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وعليه فإنه من الصعب الحديث عن الجسد دون استحضار ما يمكن أن نُطلق عليه " **بثقافة الجسد**" والتي نقصد بها مُجمل التصورات والتمثلات والإدراكات الثقافية والإديولوجية التي ينتقل فيها الجسد من بنيته البيولوجية المَحضة إلى تركيبة سوسيو ثقافية، حيث بدأت ملامح علم اجتماع الجسد في التبلور وذلك من خلال الدراسات التي استخدمت الجسد كأداة كشف وتحليل سلَّطت الضَّوء على مجموعة من المعطيات المهمة المتعلقة به ووضَّحت الطَّابع الاجتماعي لاستخدامه، وهي المرحلة التي سمَّاها

[1] معن خليل العمر، **معجم علم الإجتماع المعاصر**، دار الشروق، الأردن،2006، ص.133.

[2] دفيد لوبروتون: **سوسيولوجيا الجسد** تر: عياد ابلال ادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2014، ص11.

"**لوبروتون**" "**سوسيولوجيا متقطعة**" تتعامل معه كنافذة يُنظر من خلالها للمؤسسات والبنى والعلاقات الاجتماعية وتُقرأ التمثلات الجماعية. وبروز اتجاه واضح لتدشين سوسيولوجيا الجسد كأحد فروع علم الاجتماع [1] مما يجعل منه حدثاً ثقافياً وبنية رمزية دالة تجمع ما بين الطبيعة والثقافة وتجمع الدَّال بالمدلول، ثم الوعي باللاوعي. وعليه فإن البحث في **التمثلات** بعد آخر ومدخل من المداخل الهامة في العلوم الاجتماعية لذلك فالحديث عنها يقودنا إلى التوسع والتَّمَعُّنْ الواسع فيها ليس لكونها مهمة فقط وانما لتنوعها في مختلف العلوم، في علم النفس والفلسفة، والتاريخ والدين، والانثروبولوجيا مجال **اشتغالنا** وكونها المحرك الرئيس في الفهم والتقصي فمن خلالها يَبني الجسد ويُحدد هويته مما يجعل في قراءتها وفهمها في مجتمع البحث فهم للجسد الأنثوي برمته.

حاول العديد من الباحثين الانثروبولوجيين والسوسيولوجيين مقاربة مفهوم التمثلات من خلال ما أنجزوه من دراسات علمية رصينة حول الجسد كظاهرة اجتماعية– ثقافيا، ويظهر ذلك من خلال **دفيد لوبوتون David Le Breton** الذي حاول هو بدوره أن يقارب تمثلات الثقافة الغربية للجسد بدراسته الأسباب التي جعلت من الجسد موضوعًا **un thème وتيمة** تحظى بالاهتمام في الممارسات والطقوس **Les pratique في** الخطابات والخيال.**L'imaginaire** تُحوله إلى مُعطى ثقافي وواقعة اجتماعية دالَّة حينما تمنحه التمثلات مكاناً وموقعاً محدداً داخل البناء الرمزي، الاجتماعي والثقافي الذي تتجلى من خلاله واقعية علاقته بالعالم الخارجي والمكونة من الأنشطة الادراكية والتعبيرية عن المشاعر والخضوع لطقس التَّفاعل مع الآخرين على مستوى الحركات والإيماءات وصيانة المظهر والتقنيات الجسدية.... فمن تمثُّل الذات إلى العناية الجسدية، ومن الوشم الى الثقب... يُعتبر مادة لا تنضب للممارسات الاجتماعية، للتمثلات وللتصورات مما يجعل منه دون شك موضوع مهم ومحوري ونقطة ارتكاز لكل فهم، مادة الهوية على المستوى الفردي والجماعي والفضاء الذي يمنح نفسه للنظر والقراءة وتقدير الآخرين. فبفضله نحن **مُعَيَّنُون**، مُعترفٌ بنا، **ومُحدَّدُون** بانتماء اجتماعي، بجنس وبسن وبلون الجلد وبخصلة فريدة في الإغراء... فالجسد هو التوتر الهوياتي للإنسان للمكان والزمن ... مطلباً ورهاناً اجتماعياً وثقافياً وموضوع لكل الانطباعات والاهتمامات والاستثمارات، مادة لا تنضب يجب المحافظة على رأسمالها رعايته وتنميته على أن يُطَوع هذا الشريك " **الجسد**" المتردد لنجعل منه رفيق طريق

[1] دفيد لوبرتن: **مرجع سابق**، ص23.

يتحدد دائماً داخل نسـيج المعاني ولو في تمرُّده، عندما تنقطع مؤقتا شـفافية العلاقة الفيزيقية للفاعل بالعالم.[1] كما شكلت بدايات القرن العشرين بروز عصر جديد بدأت فيه الحملات النسائية حول الجسد الأنثوي منذ أفكار **دي بوفوار** الجريئة حول هذا الموضـوع وصـولاً إلى النظرية الشـرسـة مع كل من **لوس اريغاراي وسـارة كوفمان** أين بلغت مسـألة الهوية الأنثوية أو قضـية النسـاء طُرقاً شـائكة وأحياناً مسـدودة [2] وشـهدت مرحلة ما بعد الحداثة تحولات كبيرة في الفكر النسـوي، حيث تميزت هذه المرحلة بالتركيز على التحولات الاجتماعية والثقافية التي فرضت على النساء تحديات جديدة ودفعت المفكرات النسـويات إلى إعادة التفكير في مفهوم الجسـد الأنثوي في إطار قضـايا الجندر والسـلطة. وتعتبر " **نعومي وولف W. Naomi وجوديث بتلر Judith Butler** " من النسـويات البارزات في حركة ما بعد الحداثة وحلقة من حلقات التنوع في ملامح الفكر النسـوي الذي يتسـم بالتحول والتغير المسـتمر[3] ظهر في خضـمِّها اهتمام متزايد بالجسـد الأنثوي كأداة للتمثيل الاجتماعي والثقافي أكَّدت من خلالها الناشطات النسويات على أن الجسد الأنثوي هو موقع للهيمنة الاجتماعية السياسية والجمالية تُفرض عليه معايير جمالية ودينية وثقافية تُحدِّد أدوار النساء داخل المجتمع. كما أظهرت أن هذه الهيمنة تُنتج أنماطًا من الجمال تتلاءم مع قيم المجتمع السـائدة مما يَحُدُّ من حرية النسـاء ويُقيِّد أجسـادهن تحت تأثير المعايير الثقافية السـائدة. حيث عمدت عل نقل آليات الانضـباط والسـيطرة إلى ميدان الجسـد. فالجمال الذي كان في السـابق أداة تزيينيه هامشـية أُعيد تفعيله كمؤسـسـة اجتماعية شـاملة. ولم تعد القوانين الدينية أو الأعراف وحدها تكفي لضبط النساء بل أصبحت صناعة الجمال بكل فروعها من " **الحمية والتجميل إلى الجراحة التجميلية والمواد التزينية...الخ**" بنية اقتصـادية متكاملة تعيد إخضـاع النساء ولكن بلغة جديدة خادعة تُقَدِّمُ الثقافة الغربية بوصفها حرية شخصية فتحول بذلك مفهوم الجسد الأنثوي من كونه مجالًا للتقاليد والقيود إلى فضـــاء جديد للتعبير عن الذات والتحرر متأثراً بالحركات النسـوية، وبفعل هذه التحولات أعيد تأطير التمثلات حول الجسـد الأنثوي وأصـبح يُنظر إليه كوسـيلة للتفرد والتأكيد على الهوية. والتعبير عن الأنوثة.

---

[2] لوس اريغاراي، **سيكولوجية الانوثة' المرأة الأخرى '** ،2007، ص14.

[3] عصمت محمد حوسو، **الجندر "الابعاد الاجتماعية والثقافية"**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص52

أما الحديث عن الجسد الأنثوي في مجتمعاتنا **العربية** فهو يُحيلنا إلى موضوع المرأة ويُشعرنا أننا نسير في أرض مليئة بالألغام وأنه في أي خطوة من خطواته سيصطدم بالأسلاك الكهربائية العارية والمقدَّسات الحساسة. [1] فالجسد في الثقافة العربية والإسلامية حديث مُتشعب عبر تمثلاته وخطاباته وسيروراته لأن الخوض فيه هو بحث عن حقيقته وهويته. فدراسة هذا الأخير ما تزال بكراً تحتاج إلى الكثير في الانفتاح المنهجي، غير أنه بدأ يفرض نفسه كحقل بحثي بفضل انفتاح الفكر العربي على النظريات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والنسوية الغربية التي ساهمت في تفكيك الجسد بوصفه مُنتجًا اجتماعيًا ورمزيًا لا كيانًا طبيعيًا فقط. إذ لم يعد يُنظر إليه ككيان بيولوجي محض أو كموضوع أخلاقي وديني فقط بل كنسق دلالي وثقافي يتقاطع فيه الذاتي بالجمعي، والرمزي بالسلطوي. وتُعدّ كتابات **فاطمة المرنيسي ونوال السعداوي** من أبرز المحاولات في هذا الإطار. حيث ربطت بين الجسد الأنثوي والسلطة والفضاء العمومي مشيرة إلى آليات ضبطه عبر الحجاب والسلوك. كما **قدم عبد الصمد الديالمي** قراءات ثقافية للجسد من خلال انشغاله بعلاقة الجسد بالدين والحداثة في المجتمع المغاربي. أما في الجزائر فلقد برزت عدة مساهمات منها أطروحة **بن عبد الله حاج حمو زهية**، التي تناولت تمثلات الجسد الأنثوي ورهانات الزينة والتزين بالإضافة الى الدراسة التي قامت بها الباحثة **عمراني هناء** حول إشكالية الجسد من خلال ظاهرة التجميل والاعتناء في المجتمع الجزائري والتي نعتبرها اطارنا المرجعي في هذا البحث.

وعليه تُعد دراسة الجسد الأنثوي في المجتمعات العربيَّة من المواضيع البالغة التعقيد لاعتبارات تاريخيَّة وثقافيَّة، فهي تُنبني في معظمها حول تراث مهترئ مُثقل بتراكم المفاهيم والقيم المتعالية التي تفصل بين الإنسان وجسده ومستقبله. كما تُحرم مُتعته وشهوته وتغيره[2] فكلّ دراسة للجسد تفرض العودة إلى التاريخ العربي الإسلامي الذي يَردع الجسد الأنثوي ويَحجبه، بل يُقَدِّمُهُ من خلال نصوص فقهيَّة على أساس أنَّه مصدر الفوضى الاجتماعيَّة وباب الشيطان[3]. ولقد انطلق مخيال جديد للجسد وبدأت تُطرح إشكاليات جديدة للنظر إليه في السياقات العربية التي لا تزال تعاني من تأثيرات الثقافة التقليدية والعوامل الاجتماعية والسياسية. أين أصبح الجسد موضوعًا للجدل والنقاش حيث غزت معايير الجمال

[1] نوال السعداوي **دراسات عن المراة والمراة في المجتمع العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ،1990 ص 149.

[2] عبد الكبير الخطيبي: **الاسم العربي الجريح**، تر: محمَّد بنيس. منشورات دار الجمل، بغداد بيروت، 2009، ص 8.

[3] صوفية السحيري بن حتيرة، **الجسد والمجتمع" دراسة أنتروثولوجيَّة لبعض الاعتقادات والتصوّرات حول الجسد"**، دار محمد علي للنشر، تونس 2008، ص4.

الغربية وبدأت تُشكل تهديدًا للقيم الثقافية الأصيلة، بل أصبحت **ساحة رمزية مشبعة بالتمثلات الثقافية** يُعاد من خلالها إنتاج الأنوثة وفق مُحددات اجتماعية دقيقة. وعليه فطقوس العناية الجسدية داخل الفضاءات الحميمية لصناعة الجمال ليست مجرد رغبة ذاتية، إنها خطاب سوسيو ثقافي متكامل له مؤسساته واقتصاده وسلطته الرمزية. وهو ليس مؤامرة واعية بقدر ما هو إنتاج جماعي لتمثلات اجتماعية تُقنع النساء بفردانية وملكية الجسد. مما زاد من تنامي فضاءات صناعة الجمال.

في العصر الراهن يُشكل الاهتمام بالجسد أحد أهم أوجه الحضارة المادية وأحدث ما أفرزت الرأسمالية والعصرنة أو الحقبة التي وثَّقها **آنتوني جيدنز** بالحداثة "**المتأخرة**" أو "**العالية**" أين يصبح الجسد تدريجياً محوراً مركزياً في فهم الشخص الحداثي للهوية الذاتية[1]، فبعدما عُدَّ موضوعًا محوريًا في التصورات والميثولوجيا وفي نظريات علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا. فليس غريباً أن نُلح في الحديث عنه ونتغنى بجماله ونُربت عليه ونُنصت إليه في قوله وفعله وفي سكناته باعتباره هاجسًا ثقافيًا راهنًا أخذ يستقطب الاهتمام العلمي من مختلف التخصصات والنظريات في علم النفس وعلم الاجتماع من الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا إلى الفلسفة وفي الدراسات الجندرية، وعلوم الإعلام. لهذا فليس غريبا أن نلح في الحديث عنه ونتغنى بجماله ونُربت عليه ونُنصت إليه في قوله وفعله وفي سكناته[2]. ففي قلب هذا الجسد تتموضع **الأنثى "المرأة"** كموضوع دائم **للتمثلات**، ولإعادة إنتاج الصور النمطية سواء الثقافة التقليدية أو العصرية الحديثة في فضاءات صناعة الجسد والجمال، حيث برز الاهتمام بالجانب المادي للجسد على حساب القيَّم والاهتمام بالمظهر على حساب الجوهر وزاد الاهتمام به والاستثمار فيه عبر مختلف المؤسسات "**الصحية والتجميلية والرياضية**" إما من أجل وقايته، علاجه والحفاظ عليه أومن أجل تزيينه وزيادة لإنبعاث جمال، أو من أجل ترميمه وإعادة تشكيله بشكل مباشر أو غير مباشر سعياً لزيادة رفاهيته وراحته. حيث جعلته محصور في "**اللذة، الغواية، الاستثمار**" يُفْصِحُ عن المسكوت عنه ويكشف المقموع فيه، مما يُرَسِّخُ ويُثْبِتُ ما كان سِراً ويجعله علناً بأن الجسد فتنة عبر المتوارث التاريخي **(ألف ليلة وليلة)** المتجذر في الحكائي والروائي والمرتبط بالنظرة الذكورية والمُنْطَلِقُ من قمم التهميش والاقصاء. [3] فالقرن الحالي لم يخلق

[1] كرس شلنج، **الجسد والنظرية الاجتماعية**، تر: منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2009، ص19.

[2] جميل عبد المجيد، **البلاغة والاتصال**، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 68.

[3] أسامة غانم، **سرديات الجسد والايروتيكا**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ،2019، ص22.

أفكاراً حديثة فحسب بل خلق فهماً متطوراً للجسد وأسقط عنه قيمه العرفية والأخلاقية الدينية المتجذرة في الفهم والمتخيل الجمعي "**طابو، حرمة، حياء...**" حَوَّلَهُ الى المرئي المتحرر **المدمقرط**، وظهرت معه " **الذكورة والأنوثة** " وتطورت مفاهيم "**الجندر والجنسانية**" كما ذهب إلى ذلك العالم الانثروبولوجي **دافيد لوبروتون** حينما اعتبره مكاناً مميزاً للرفاهية **(الشكل)** ولحسن المظهر "**الأشكال، بناء الجسد، التجميل، الغذاء**" ولشهوة الجسد "**الماراتون، الرقص، ركوب**" القارب الشراعي أو للمخاطرة "**تسلق الجبال والمغامرات**" [1] وهو ما يقترب إلى كبير من فهم و تعبير **كوفمان**Claude Kaufmann الذي يرى أنه حركيَّة قويَّة تعبّر عن موجة تحضر جديدة [2] واكتسب بذلك أهمية بالغة في الدراسات الحديثة في ميدان السوسيولوجيا والانثروبولوجيا وأصبح الاهتمام به من المنظور المعاصر مسؤولية تتطلب من الأنثى دوام العناية به وحمايته حتى يظل **جميلاً فاتناً** وفقاً لمقاييس تُحسب بآليات القياس الدقيقة المرتكزة عليه. على حد تعبير **خلود السباعي:** ليس التجميل سوى عمل مستمر للثقافة على الطبيعة وممارسة متواصلة للجسد المثالي على الواقعي فيتعلم الفرد عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية كيف ينزع مظهره الانساني الواضح من خلال تغيير مصيره البيولوجي والتأثير فيه بالتجميل حتى ينعم بالارتياح لصورة الجسد وذلك لتوقف الاعتراف بالذات على أحكام الاخرين وتقييماتهم لأن رغبة الفرد جذب انتباه الآخرين واطرائهم تخفي أمله في نيل حبهم واعجابهم. وبالتالي حبه لنفسه واعترافه بذاته ما تصبح معه نظرة الآخر بما يُمكن أن تحمله من علامات الإعجاب أو النفور بمثابة شهادة تأتي لكي تؤكد تجربة "**مرآتنا**" او تنفيها فأما ان تعمل هذه النظرة على تدعيم صورة الجسد أو تَخذلها.[3]

لقد تنامى مفهوم الجمال – في بنيته المعاصرة – ليس كمسألة ذوق بل كآلية **هيمنة ناعمة** وقفص ذهني وجسدي تُسجن فيه النساء بمحض إرادتهن واختياراتهن، بينما هن يخضعن لإملاءات ثقافية وسوقية قاسية تُعيد إنتاج الأنوثة كنموذج ثابت ومثالي في مواجهة واقع المرأة المتغير والمتنوع. هذا التثبيت الرمزي للجمال الأنثوي في مقابل سيولة الهوية النسوية، يعكس خوف النظام الاجتماعي من فقدان أجساد النساء واختلال النظام الذي أُوجد من أجلهن. وأن تطور الممارسات المسؤولة عن الجمال الأنثوي تحدث في كل المجتمعات لكنَّها في الوقت الراهن تَطورت لتلامس كل الفئات العمرية

[1] دافيد لوبروتون: مرجع سابق، ص 07.

[2] **Corps de femmes, Regards d'hommes**, Sociologie des seins nus, Edition Nathan, .Claude, Kaufmann. - Jean 1995, P 20.

[3] خلود السباعبي، **الجسد الانثوي وهوية الجندر**، جداول لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011، ص ص 40.49.

والمراتب الاجتماعية، تساوي بين المرأة " **المتزوجة، العازبة، الأرملة**" التي فرَّقت بينها الثقافة المجتمعية على مرِّ العصور، كما تساوي بين مُختلف الفترات العمرية " **المراهقة، الرشد، الشيخوخة**" وتُخْضِعُهَا لنفس منطق الفهم والممارسة. حيث تزداد ممارسة الرياضة وتُستخدم مختلف المنتجات والتدخلات التجميلية لتعديل المظهر، بل تظهر النساء والمراهقات من نفس جنس الجسد الذي يتم تحويله الى مشاركة اجتماعية في الفضاء العام للكشف عن مظهره كسمة حضارية وفردانية أمام **التشفير** الأخلاقي الذي يحفظ براءة الجسد. هذا المُكَوِنُ الرَّاسِخ من مكونات البحث الاجتماعي والثقافي والجُزء الدَّائم الحضور بدرجة تزيد أو تقل في كل تفاعل، وهو أيضا بؤرة للكثير من المحرمات والتحيزات والأحكام التي تُقرر مكانته في المجتمع والكيفية التي تتحرك بها أجسادنا ونكسوها ونصونها ونتفاعل بها. [1]

حملت هذه التحولات الجديدة وهماً للنساء، وهَماً جديداً من أجل البقاء "**الرياضة اليومية الوجبات الخفيف، العناية الجسدية ...**" ولم يبدأ الحديث عن نموذج الجمال "**امرأة ممشوقة، أكثر نظارة**" فحسب إنما وصل إلى تعميم النشاطات الجسدية التي غايتها الوحيدة الجسد "**مظهره، رفاهيته راحته، تَفَتُحُه**" وانتقلت هذه العادات لكل امرأة من دون تمييز بعدما كانت مُحْتَكرة على فئة قليلة من المجتمع "**مذيعات، فنانات سيدات أعمال، عاملات**" الى أن شملت نساء المجتمع بكل أطيافه وهي في طريقها لتشمل كل أنثى مهما قل مستواها أو زاد لِتصبح روتينهن اليومي والأساسي الذي لا غنى عنه، وعلية فإن التشكيل الاجتماعي للجسد حسب تعبير – **بورديو** _ يجعل أشكال استخدام الجسد وسيلة من وسائل التعبير عن بِنيات وعلاقات اجتماعية ومرآة لمختلف الثنائيات سواء تعلَّق الأمر بالفوارق بين الطبقات الاجتماعية أو الفئات العمرية أو التمايزات النوعية، أي إظهارها بمظهر التقابلات أو الفروق التي تُحَتِّمُهَا طبيعة الأشياء.[2] خاصة مع انتشار التقنيات الحديثة التي تستثمر في الجسد وما أفرزته التكنولوجيا من منصات اجتماعية وفضاءات رقمية تُسَوّق له عبر وسائطها المختلفة التي تدخل إلى بيتك من دون استئذان وهي تحمل كل أنواع منتجات العناية الجسدية " **كريمات شامبو، أحمر شفاه، عطور ومزيل الروائح، معجون الاسنان، طلاء الأظافر... الخ** وتُوصلك لمختلف فضاءاتها وعناوينها

[1] هيلين توماس وجميلة احمد، **الأجساد الثقافية الاثنوغرافيا والنظرية**، تر: أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة القاهرة،ط1، 2010، ص23.

[2] زينب المعادي، الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية،2004، ص27.www.nesasy.org

دون تعب أو عناء ومن دون أن تطلب، فهي تقتحمك عبر تلك الإعلانات التي تظهر فجأة، تجعلك تُقلِّب أيها أفضل سمعة وخدمة وأنت جالس في بيتك تختار ما تريده من "**عيادات، مراكز صالونات، نوادي للعناية بالبشرة وإزالة التجاعيد وحفظ الكولاجين**" وعبر مختلف التقنيات " **بوتكس فيلر، حقن، تخسيس شد... الخ**" تُساعدك بإرشاداتها كيف تحافظ على نظارتك وتقضي على خطوط الزمن وتحارب الشيخوخة، كما تُعلمك سحر الابتسامة والظهور بجسد عصري وأكثر حداثة. [1]

تُعتبر تمثلات جسد الأنثوي في الثقافة الجزائرية خاصة وفي مدينة **باتنة**-مختبرنا البحثي- تحديداً نتاجًا لتاريخ طويل من التفاعل بين مختلف الثقافات بما في ذلك التأثيرات الأمازيغية، العربية والدينية والكولينيالية التي عملت على قولبة النساء وفق منظورها لحقب من الزمن ورسخت تمثلاتهن. غير أن أنثى العصر الحالي تواجه تحدِّيات متعددة مصحوبة بتصورات المجتمع لهذا الجسد الذي يُنظر إليه كعورة يجب إخفاؤه وضبطه، مما يخلق خصوصية في التعبير عن الهوية الأنثوية والجندر. وإن دراسة الجسد الأنثوي في مدينة **باتنة** وتمثلاته بين الثقافة والتاريخ والمجتمع. إشكالية تستدعي قراءته من العمق لفهم كيف تتشكل هذه التمثلات مما يعزز الوعي حول قضايا الهوية والأنوثة، وكيف أصبح الجسد ساحة للصراع بين القيم التقليدية المتجذرة في عمق العادات والتقاليد والقيم الحديثة الوافدة. وعليه ينطلق بحثنا عن الجسد الأنثوي باعتباره عالماً صغيراً أو قل " **ميكروكوزوم**" **(microcosm)** داخل **ماكروكوزوم (macrocosm)** على حد تعبير "**ميسوم العتوم**" الذي يحيلنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الرؤى والقوى الاجتماعية التي تعمل على تشكيله ورسم حدوده وصياغة معانيه.[2] باعتباره عالماً مفعماً بالمعاني والرموز نعتبره كآثار أو كذاكرة أو كلغة تُحيلنا على الرؤى والقوى الاجتماعية التي تعمل على تشكيله ورسم حدوده وصياغة معانيه. وأننا حين نتحدث عن الجسد الأنثوي فإننا نقصد التمثلات والتصورات حول الجس والهوية الجندرية التي يصنعها المجتمع بما يحمله من عادات وتقاليد وأعراف ومعايير. وعليه فان التحولات التي مست الجسد الأنثوي في منطقة **باتنة** عديدة تستوجب علينا التوقف لقراءتها وفك رموزها وشفراتها والتي أفرزت بدورها العديد من الاستفهامات.

[1] منى فياض، **فخ الجسد**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2013، ص47.

[2] ميسوم العتوم، **جسد المرأة والدلالات الرمزية: دراسة أنثروبولوجية بمدينة عمان (الأردن)**، مجلة انسانيات، عدد 59، جانفي- مارس وهران، 2013، ص11.

وعليه فان المدينة "**باتنة**" كغيرها من مدن الجزائر والمجتمعات العربية والغربية تشهد حضوراً مكثفاً للجسد الأنثوي في الفضاء العام والفضاءات الحميمية خاصة باعتبارها تنظيمات اجتماعية تَعُجُّ بالمفاهيم، واعتراف صريح باندماج ثقافي داخل مشركة تمنحه دمغتها حين يتمثل طرائق الترويض **(Dressage)** لينخرط في سيرورات الفعل والإنتاج والتفاعل الاجتماعي التي يتم نقلها عبر وسائط محددة... لا تقف في حدود هذا الترويض بل تُشكل مظاهر أخرى كاللباس والحلية والوشم والعري، إنها طبقات نصية تشتغل داخل متن الجسد[1] نقرأ خصوصيتها في مجتمعنا البحثي، مجتمع يتكلم فيه الجسد الأنثوي بلغة مزدوجة: لغة الأمس المُحَمَّلَة بثقل الأعراف ولغة اليوم المُتَحَرِّرة التي صنعها المظهر الجديد المنبثق من قاعات التجميل والصور الرقمية، والمنصات التي تخلق "**أنوثات**" هجينة لا تنتمي إلى المجتمع ولا إلى الفرد، بل إلى نظام عالميّ جديد يصنع الجمال كسلعة والهوية كعرض مسرحيّ دائم. هذا ما جعلنا أمام تساؤل جوهري:

- كيف تُبنى تمثلات الجسد الأنثوي في مدينة باتنة، في ظل رهانات الحداثة كما تتجلى في فضاءات الجمال والعناية الجسدية المختلفة ضمن سياق اجتماعي وثقافي متحوّل؟، وما انعكاس ذلك على إعادة تشكيل صورة الأنوثة والهوية الجندرية؟
- تندرج ضمن هذا السؤال الاشكالي أسئلة فرعية نسعى من خلالها لاستفاضة الفهم والتحليل لهذا المُركب الإنساني " **الجسد الانثوي**" وعليه:
- كيف يتم تدبير الجسد الأنثوي وضبطه في فضاءات صناعة الجمال واللياقة البدينة من حيث هو إنتاج اجتماعي؟
- كيف تساهم فضاءات صناعة الجسد والذوق الجمالي في إعادة تعريف الجسد الأنثوي باعتباره أداة للهوية الاجتماعية والجندرية؟
- كيف تساهم فضاءات التجميل والعناية بالجسد في تشكيل تمثلات المرأة لجسدها وبناء هويتها الأنثوية في سياق التحولات الحداثية؟

[1] الزهرة إبراهيم، **الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية "وجوه الجسد"**،الناشر للدراسات والنشر والتوزيع سوريا، دمشق، ط1، 2009، ص121.

لقد اكتفينا بالتساؤلات بدلا من **الفرضيات** لأن طبيعة عملنا تصب ضمن الدراسات الانثروبولوجية التي تعمل على التساؤلات بدلاً من الفرضيات، ولكون بحثنا كيفي –**اثنوغرافي**– مرن فضفاض لا يحتاج للفرضيات التي تحيلنا الى الجانب الكمي في أغلب الأحيان.

2. المبررات المنهجية لاختيار موضوع الدراسة

اشتغالنا بموضوع الجسد الأنثوي ليس بالجديد علينا وإن كان الحاضر والواقع يدفعنا بقوة للاهتمام به أكثر، هذا الاهتمام والعمل الحقلي جعلنا نجوب شوارع المدينة بحثاً عن مراكز التجميل وصالونات الحلاقة، ننبش عميقاً علَّنا نصل الى ما نريده، نجلس طويلاً في قاعات الحلاقة التي نعرفها ولا نعرفها مستمعين لحديث النسوة في قاعات الانتظار ربما نحصل على ما نبحث عنه حول ممارسات التجميل وعلاقتها بمفهوم الجسد الأنثوي والهوية. ومادام البحث ميدانياً فإنه يتوجب علينا كباحثين أن نختار **موقعاً** يَسْهُل الوصول إليه، أو أن يكون لنا صلة وثيقة بميدانه. وعليه فإن عملنا الأنثروبولوجي يُبنى على المشاركة الفعلية في قلب الحدث واقتحام مفهوم الجسد الأنثوي الممتد في فضاءات التجميل وصناعة الجمال، هذا الموضوع الذي لايزال بكراً في مجتمع بحثنا(باتنة) كغيره من المجتمعات العربية. اخترناه مختبرنا البحثي ومساحتنا الهامة للقراءة العميقة لامتداداته في فضاءات صناعة الأجساد والذوق الجمالي. واقتحامُنا إياه عَلَّنَا نضيف بُعداً لمفهوم الجسد الأنثوي وتمثلاته بعين الأنثى **(المُمَارِسَة والمُمَارَسُ عليها)** والذي لم نجد له في طيات الكتب والدراسات والأبحاث إلا بعض الإشارات. نحاول تِبْيَان التغيرات الحاصلة في مفهوم الجسد والجمال الذي يشهده المجتمع، وبذلك فان دراستنا نعتبرها هامة في فهم الجسد الأنثوي في بيئته وثقافته. وعليه تتعدد مبررات ودوافع اختيارنا لموضوع البحث بين الذاتي والموضوعي:

إن رغبتنا **الذاتية** في اقتحام موضوع الجسد تنبُع من انتمائنا أولاً للمجتمع المدروس "**جِنْساً وجغرافية**" مدينة "**أنثى– باتنة** " مسقط رئسنا، التي فيها تربينا وأخذنا كل مفاهيم الأنوثة والذكورة وخَبِرْنَا حقلنا البحثي مبكراً منذ مرحلة الماجستير.*

* وقفنا في مذكرة الماجستير الموسومة "**ممارسة المرأة الشاوية لعادات طقوس الزواج بين الثبات والتغير مقاربة انثروبولوجية بمدينة باتنة**"2018 على ممارسات الجسد الطقوسية في احتفالية الزواج وآليات ضبط الجسد والجنسانية. حيث لامسنا من خلالها جماليات الجسد وطقوس العناية به كطقس عبور مهم في دورة الحياة وعلاقته بمفهوم الهوية الجندرية وذلك هو مفتاح اقبالنا على الدخول من باب الجسد لفك شفرات العناية الجسدية داخل فضاءات صناعة الجسد.

وها نحن اليوم نقف على عتبة الجسد الذي شغلنا منذ لحظة الانطلاق فأبقينا عليه " **الجسد الانثوي**" مدخلا بحثيا، وعلى نفس الرقعة الجغرافية **(باتنة)**.

أما الأسباب **الموضوعية** فهي تتعلق أولا بقلة الدراسات التي تُعنى بالجسد الأنثوي سواء الاجتماعية أو الثقافية في مجتمع البحث على حسب اطلاع الباحثة، هذا الفضاء الذي ما يزال ميداناً خصباً ومادة خام للبحث والتقصي في حين لاقى حظّه الوافر في باقي المجتمعات الغربية والعربية على غرار "**مصر، لبنان، تونس المغرب**" وغيرها من الدول العربية كما اقترب منه بعض الباحثين الجزائريين ممن اطلعنا عليهم من أطروحات ومقالات سنتخذها نقطة هامة في التحليل.

أما **المبررات** الأخرى الدافعة لتناول هذا الحقل البحثي فهي حقيقة الجسد في الوقع الإنساني والبحثي ضمن حقول المعرفة والحقل الأنثروبولوجي خاصة، فهو متعلق بملاحظاتنا لإقبال النساء على التجميل والعناية بالمظهر من جهة ومن جهة أخدى الانتشار الواسع لفضاءات التجميل **(عيادات التجميل، مراكز العناية الجسدية، صالونات الحلاقة، نوادي الرياضة)** مما غذى رغبتنا في ولوج هذا الميدان وهذه الفضاءات بالوقوف على التمثلات كمدخل هام وأساسي لفهم الجسد الأنثوي المتغلغل فيها وفهم كيف تبني الأنثى تمثلاتها لجسدها، الأنوثة والهوية الجندرية من عمق تجربتها الجمالية.

إننا بكل بساطة نحاول فك شِفْرات الجسد، كشف المسكوت عنه والمخفي فيه من خلال تحليل تمثلات أفراد مجتمع البحث**(الانثى)** لهذا الموضوع الذي هو خاصيتهم **(الجسد)** هذا المعطى الإنساني هو من فتح شهيتنا للنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى –**بصورة أعمق**– والاستماع الى تفسيرات الأنثى التي ترتاد هذه الفضاءات، مفهومها للعناية الجسدية ولأهم الممارسات اقتراناً بالجسد المقبول اجتماعياً. ثم تحليل الرموز المتضمنة للممارسات الدائمة والمؤقتة التي تُقبل عليها الأنثى بلاوعي والمُتخفية في لغة الخطاب. وعليه تسعى هذه الدراسة إلى تحليل " **الجسد** " باعتباره **جهازًا من التمثلات الرمزية التي تُشَـرْعِنُ الهيمنة – الناعمة– على الجسد الأنثوي**، وتفكيك دورها في خلق صور نمطية حول الأنوثة والجندر. وأن عملنا هذا جاء إيماناً منا أنه يمكن أن نضيف شيء لسيل المعارف لعلنا نسهم في انتزاع موضوع الجسد الأنثوي من الهشاشة والتعريف به وبخصوصيته واعطائه مساحة شاسعة من الفهم والبحث كموضوع علمي بامتياز.

➢ **لماذا مدينة باتنة دون غيرها من المناطق؟**

لقد تَعَمَّدْنَا اختيار المدينة فضـــائنا ومُختبرنا البحثي لانتمائنا لها، نعرفها وتعرفنا ونعرف كم هي بِكْراً تحتاج للكثير من الأبحاث الأنثروبولوجية والاثنوغرافية خاصـــة ما تعلق منها بالأنثى. إنها مدينة شَـــكَّلَتْ اهتمام الدارســـين الأنثروبولجيين منذ المرحلة الكولونيالية لزخمها الثقافي والاجتماعي كما بدا واضحاً في أعمال كل من(**Germaine Tillion – Thérèse Rivière**) الذين اعتبروها ميدان خصب غني بثرائه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وبخصوصيته، يستحق منا ومن الدارسين الانتباه له أكاديمياً خاصة من المنظور الانثروبولوجي بأدواته المنهجية كمختبر حقيقي.

➢ **لماذا المرأة الباتنية دون سواها؟**

إن انتمائنا لنفس الجنس باب لا يوصد للانخراط دون قيد أو منافس، أما اختيارنا للمرأة **الباتنية** لم يكن اختياراً من عدم إنما هو رغبتنا المبنية على الملاحظات المتعلقة بهذا التواجد والانخراط لهذا الجسد في الفضـاء العام ونعني مظهرها وزينتها، الاهتمام المتزايد بشكلها وبذلك الانخراط اللامتناهي في لعبة التصنيفات الجسدية البادي للعيان في لون **شعرها** وشكل **حاجبيها** المرسومين بدقة **ورموشها** الكثيفة **وشفتاها ووجنتاها** المنتفختين، في شكل ولون **اضافرها** وسمك **بشرتها** وغيرها من المظاهر. لكن يستحيل أن نُعالج مسألة الأنثى دون انحياز فكل الصفات تطرح قِيماً وتتطلب وصفاً موضوعياً لا يقوم على خلفية أخلاقية أو قيمية. وهكذا لا نجد أنفسنا مُرغمين على أن نُفسر في كل صفحة من هذا البحث المعنى المُعطى لكل ممارســة وكلمة، بل نرى أنه لا مصــلحة إلا المصــلحة العلمية ولا نعني مصلحة بقدر ما نروم للمعنى الحقيقي لهذا الموضوع " تمثلات الجسد الانثوي " في علاقته بممارساته التجميلية.

3.أهمية واهداف الدراسة

1.3. أهمية الدراسة

إن أهمية هذا العمل الذي اســتغرق قرابة الأربعة ســنوات **(04)** من العمل والبحث المحكوم بالسياق الثقافي والاجتماعي، السياسي والاقتصادي وبالتغير المستمر لا ينفي عنه أهميته للمهتمين به "**الباحثين والباحثات**"، " **الدارســـين والدارســـات**"، فهو ممتد يوجِب النبش فيه، مُركَّب يتطلب تفكيكه وقراءته كأحد الأقطاب الهامة في حقل السوسيولوجيا ومقاربته انثروبولوجيا بشكل خاص. يكتسي أهمية

تتقاسمها كل الحقول المعرفية المرتبطة بالجانب البحثي. وعليه فإننا نُسلط الضَّوء على الدَّور المحوري للجسد كوسيط للهوية والسلطة والثقافة. فمن خلال فهم هذه الديناميات يمكن أن تُسهم النتائج في تعزيز النقاشات حول مفهوم الجسد، الهوية والجندر وتقديم رؤى جديدة حول كيفية معالجة هذه القضايا في السياسات العامة والممارسات الاجتماعية. وتفتح المجال لفهم الضغوط التي تتعرض لها النساء كما قد تساهم في تطوير رؤى نقدية حول الجمال، الجسد والتمكين الرمزي للمرأة. وأخيراً فإن هذا البحث يحاول قدر الإمكان المساهمة في سدّ الفراغ في الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالجسد والأنوثة في السياق الجزائري والمحلي بالخصوص، وتُثري النقاش حول الجمال والهوية الجندرية عمومًا.

2.3. أهداف الدراسة

لا تخلو دراسة سواء كانت نظرية أو حقلية إلا وتتحرك نحو بلوغ مقاصد علمية بالدرجة الأساس. وأن اختيارنا لموضوع الدراسة لم يكن بمحض الصدفة أو اعتباطياً،إنما هو توجه تبنيناه منذ اختيارنا " **الجسد الانثوي** " موضوع للاشتغال، إذ يعتبر بحثنا إضافة علمية إلى حصيلة المعارف في موضوع التمثلات حول الجسد الأنثوي. واتفاقاً مع هذا المبدأ يليق بنا ونحن نلج هذا الموضوع بالذات أن نعمل وعن تبصر لتحقيق الأهداف المرجوة من البحث:

لقد سعينا منذ البداية للمساهمة في إضافة لبنة إلى اللَّبنات الموضوعة في مجال انثروبولوجيا الجسد مُسلطين الضوء على تمثلات الأنثى حول مفهوم الجسد والعناية الجسدية في وقت مازالت مقاربات النوع الاجتماعي تسير بخطى متثاقلة في مجتمع البحث" **باتنة** " على حسب اطلاع الباحثة لوضع **اثنوغرافيا** للممارسات الجسدية التجميلية وتمثلات الأنثى الفردية والجماعية" **المُمَارِسَة والمُمَارَسُ عليها**" ودورها في بلورة مفهوم الجسد، وابراز تمثلاته اعتماداً على فضاءات صناعة الجسد والذوق الجمالي للمرأة **الباتنية** بحد ذاتها دون سواها. كما نحاول أيضا الكشف عن الدور الذي تلعبه مراكز التجميل وطقوس العناية الجسدية في تغيير تصور الأنثى لجسدها في ضوء الجندر فضلاً عن دور الرياضة في تعزيز معايير الجمال مما يفتح المجال لفهم أعمق للدور الذي يلعبه الجسد في تشكيل الهوية الشخصية والاجتماعية وإبراز تحولاته في تمثلاته تحت تأثير الوسائط الحديثة والمعايير الجمالية **المُعَوْلَمَة** داخل الفضاءات الحميمية. وإبراز الدور الذي يلعبه الخطاب الأنثوي في رسم ملامح الجسد. هذا الأخير التي حَفَّزَ فُضُولَنَا وحَرَّكَنَا لاكتشاف قوانينه وقراءة معانيه. كما جعلنا أمام ضرورة وضعه على المحك لاستجلاء وضعيته واشكالاته المرتبطة **بالعائلة والمجتمع**، محاولين قراءته من

العمق بالوقوف على مفارقاته وتحولاته العميقة التي تشـكل الخيط الناظم لمضـامينه الظاهرة والخفية. كما سـنعيد قراءته انثروبولوجياً " **فكراً وواقعاً**" إسـهاماً منا في تِبْيَان خصـوصـية مجتمع البحث (باتنة) باعتبار هذا الأخير (الجسد الانثوي) من الظواهر **الماكروسوسيولوجية**، مختوم بالعرف ومسيج بالطابو جَعَلْنَا منه المحطة الأولى والمُنطلق للفهم العميق والخوض في طقوسـه وممارسـاته في الفضـاءات الحميمية. بالتالي قررنا خوض غمار هذه المعركة واقتحام الفضـاءات الحميمية للنسـاء التي تبدوا لك للوهلة الأولى سهلة الاختراق غير أن مُهْمَّتَنَا لم تكن سهلة ولا بسيطة، إنها –**صعوبة لا مرئية**– حاولنا مراراً أن نجيد فهمها وفهم هذا الحقل المُلغَّمُ علَّنا نرسـم جغرافيةً وأطلسـاً لتجلياته الثقافية والاجتماعية والانثروبولوجية التي تُؤسِّس له كحقل ظاهر وخفي.

4. الجهاز المفاهيمي للدراسة

يسـتعين الباحث في صـياغة موضـوع بحثه على مفاهيم للإشـارة الى جزئيات البحث باعتبارها رموزاً لما يتم دراسـتها تمد الباحث بالمعلومات عن موضـوعه. ولقد اسـتخدمنا في عملنا هذا مجموعة من المفاهيم قسـمناها لمفاهيم جوهرية وأخرى ثانوية، **فالأولى** لا يمكن الاسـتغناء عنها ولو نُزع أحدها لاختل العمل وفقد معناه كمفهوم " **التمثلات والجسـد الأنثوي، الهوية الجندرية**" وهي مفاهيم أسـاسـية توجه البحث وتُلازمه نظرياً ومنهجياً من سـؤال الانطلاق حتى النهاية، أما **الثانوية** فهي على قدر من الأهمية تظهر في فصول البحث ولا تقل إحداهما عن الأخرى في الأهمية.

1.4.مفاهيم متعلقة بالجسد

- **الجسـدbody:** من المفاهيم بالغة التعقيد شـغلت اهتمام العديد من الباحثين والمنظرين، على أنه موضوع بيو– ثقافي واجتماعي في الآن نفسه، يمنح الوجود للأفراد أو الجمعات.[1]
- **الجسد الأنثويFemale body :** يُبنى على البعد التشريحي الفيزيولوجي والبعد السسيو–ثقافي والسيوكو–انثربولوجي والذي يميزه ويحفظه.

[1] عبد الرحيم عنبي: **انتقال استخدامات الجسد الانثوي في المجتمعات العربية من الإنتاج البيولوجي الى المتعة**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،2018، ص16.

- **الأنوثة Féminisme** : مصطلح مظلة لكل الطرق التي تعرف بها النساء من قبل الآخرين ومن قبل أنفسهن وكخاصية نصف مستقلة للنفس، غير متطابقة مع الجسم المُجَنَّس بيولوجياً. بالفعل إن الأنوثة بمفهومها أكثر بعداً لكن ربما الأكثر تواجداً. هي مجاز.[1]
- **الجندر: Gender** أو النوع الاجتماعي تعرفه الباحثة "**ماجي**" مجموعة من الخصائص والسلوكيات التي تشكلت ثقافيا ويتم إضفاؤها على الإناث والذكور.[2]
- **الهوية الجندرية: Gendre Identity** شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، ومفهوم الفرد عن نفسه رجل أم امرأة، هل وَلَد أم بِنْت؟ حيث تقول الموسوعة البريطانية إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية. وهذه الهوية تتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية.[3]

2.4.مفاهيم متعلقة بالجمال

- **الزينةDécoration**: في المنظور الأنثروبولوجي هي ممارسة اجتماعية ورمزية تُسهم في تشكيل الهوية الجندرية والتعبير عنها، إذ تعكس تمثلات المجتمع لمعايير الجمال وتعيد إنتاجها عبر أنماط التجميل والزخرفة التي تحمل دلالات ثقافية وتاريخية، وتُشكل وسيطًا بين الجسد الفردي والنظام الرمزي[4].
- **العناية الجسديةPhysical care** : هي مختلف الممارسات اليومية الروتينية أو الدورية التي تعنى بنظافة الجسد وصحته بهدف الحفاظ عليه وعلى مظهره، وتشكّل انعكاسًا للتمثلات الاجتماعية والثقافية للجمال والصحة، حيث تتداخل فيها الأبعاد الوقائية، العلاجية، والتجميلية[5].
- **الفضاءات الحميمةintimate spaces** : هي مجالات مادية أو رمزية يَختبر فيها الأفراد علاقات خاصة وشخصية تتسم بالخصوصية والسرية، وتتيح التعبير عن الذات بعيدًا عن الرقابة

[1] ديفيد غلوفر كورا كابلان، **الجنوسة**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2008، ص58.

[2] Butler,Judith**. Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity**. New York, 1990, p.25

[3] حسين أبو رياش واخرون، **الإساءة والجندر**، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2006، ص223.

[4] عبد الدايم شكري، **الجسد الأنثوي: رؤى متقاطعة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015، ص 134.

[5] عبد الدايم، شكري، المرجع نفسه، ص 112.

الاجتماعية. وهي تشـــمل أماكن الجســـد، البيت، أو العلاقات العاطفية، وتُبنى دلالتها وفق السياقات الثقافية والاجتماعية[1].

ويحضـر مفهوم الفضـاء كمجال عام وآخر خاص يُستعمل من كلا الجنسين، ولسنا في موقف مقارنة بين الجنسين ولا بين نساء المدينة ونساء القرية، ولا قوة الاقبال عليها من عدمه بقدر ما نحن متهيئون للوقوف على مرحلة مهمة، **الحضـــور والتعلق** ونقارن فيها تمثلات النســـاء أنفســـهن لا أحد غيرهن. هذه الفضـــاءات تترجم مفهم الجندر والهوية الأنثوية وتفتح مجالاً للأنثى لإثبات ذاتها والتحكم بجسدها، غير أنها تخترق حدود المقبول والمسموح أحيانا (سنتطرق له لاحقا).

التمثلات: représentation هي تصورات اجتماعية تتأسس في شكل قيم ومعايير للسلوك، ويمكن اعتبارها تيارات رمزية تُســيطر داخل مجتمع معين وتُنَظِّمُ ضِــمنها المواقف والســلوكيات، بحيث تمثل صورة ماضي الجماعة وتعكس صورتها ووعيها بشرط وجودها.[2]

5.منهج وأدوات الدراسة " نماذج وتقنيات منهجية"

1.5. منهج الدراسة

ماذا نعني بالمنهج؟

" **المنهج Méthodes** " في معناه العام يشير إلى مجموع الخطوات التي توجه عملية التفكير نحو اكتشاف حقائق أو الحصول على نتائج معينة، إذ يُعتبر أساسياً في جميع المجالات المعرفية. وتحتاج كل دراسة ميدانية إلى منهج أو مجموعة من المناهج تتناسب مع موضوع الدراسة والنتائج المستهدفة. لذا فإن اختيار المنهج المناســب يُعد نجاحاً في اتباع الطريق الصــحيح والمناســب من أجل الدراســة والتحليل والتفســير باعتباره الأنســب لمقاربة الجســد وكلية بيو_ثقافية[3] حيث يُمَكِّنُنَا المنهج من فهم المعاني الظاهرة والخفية والتفاعلات التي تزخر بها فضــاءات النســاء الحميمية التي اخترناها مســاحة للبحث والتقصـــي «**صـــالونات الحلاقة، مراكز العناية الجســـدية، عيادات التجميل، قاعات الرياضة**» عمق وقلب التفاعلات الأمر الذي يتطلب منا اختيار المنهج المناسب لتقصي الموضوع:

[1] العساف عبد الله، **الجسد والفضاء: مقاربات أنثروبولوجية**، **دط**، المركز الثقافي العربي بيروت، 2018، ص87.

[2] مريم نريمان نومار، **الدراما الاجتماعية والمرأة في الفضاء الافتراضي**، الآن ناشرون وموزعون الأردن، 2021، ص26.

➢ **المنهج الجينيالوجي:** ظهرت أهمية هذا المنهج في تفكيك تاريخ التمثلات والتغيرات التي لحقت بتمثلات الجسد الأنثوي والجنوسة. وتتبع **أصول** الممارسات، المفاهيم والقيم الاجتماعية باعتبارها نتاج تراكمات تاريخية يتم من خلالها كشف مسارات تشكله (الجسد) وفهم كيف لعبت التفاعلات الاجتماعية والعلاقات دوراً في إنتاج تمثلاته الحالية التي ساهمت في تشكلها آليات الضبط المُتعيِّرة تبعا للرهانات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. كما منحنا هذا المنهج مساحة لقراءة التحولات التي لحقت بتمثلات صناعة الجسد الأنثوي وجعلت منه معيارًا للقيم الاجتماعية " **الجمال، الرشاقة، الشباب**" وكيفية انتقاله من" **الأمومة الإنجاب** " من الخطاب الديني إلى الجسدي «**الفتنة، الغواية**" ثم إلى " **الاستهلاك، التشييئ**" وتحليل ذلك الخطاب " **Discours** " لفهم كيف تُنْتِجُ الكلمات والممارسات دلالات ومفاهيم الجسد.

➢ **المنهج المقارن:** يعتبر **مالينوفسكي(B.Malinowski)** من الانثروبولوجيين الذين أعادوا توظيف المقارنة من خلال الملاحظة بالمشاركة والتحليل المقارن، حيث ركّز على المقارنة لعدة مؤسسات في ثقافات مختلفة. وفي سياق تمثلات الجسد الأنثوي يسمح لنا هذا المنهج بفهم كيفية تَشَكُّل الجسد في مجتمع البحث بالوقوف على الفوارق في مماسات التجميل بين الفضاءات لا بين نساء المدينة والوافدين إليها. وان المقارنة لا تهدف إلى التفضيل بقدر ما نسعى من خلالها إلى الفهم العميق لتأثير تمثلات الأنثى حول جسدها وحول ممارسات العناية الجمالية وكشف الديناميات الانتقالية بين الهويات التقليدية والحديثة بالوقوف على ذلك الصراع بين ثقافة المنشأ " **المحافظة، ضبط الجسد** " وثقافة الحداثة " **تحرر استعراض الجسد**" والذي يكشف لنا عن تحولات عميقة في المعايير الجمالية والرموز السوسيو ثقافي. مستندين على هذا المنهج "**المقارن**" الذي ظهر في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ثم انتقل الى الثقافية من خلال المقارنة بين مختلف الثقافات والكشف عن التنوع الثقافي والسمات المميزة لكل مجتمع مع كل **من ألفرد كليف براون (Alfred Radcliffe Brow) جيمس فريزر (James Frazer)**، لويس هنري مورغان**(Lewis H. Morgan)** وبالتالي فان المقارنة تسمح باستخراج السمات الثقافية والاجتماعية.

➢ **المنهج الوصفي:** يتيح المنهج الوصفي لنا فرصة مقاربة موضوع **الجسد الانثوي** باعتباره فضاءً تتجسد فيه التمثلات الفردية والاجتماعية، وتنعكس من خلاله تصورات الأنثى حول الهوية الجندرية ومعايير الجمال، كما يسمح المنهج الوصفي من خلال المقابلات والملاحظات الميدانية، بجمع بيانات نوعية غنية تساعد على تفكيك البُعد الرمزي للعناية الجسدية بوصفها ليست مجرّد فعل

جمالي بل ممارسة اجتماعية وثقافية تعكس مواقف النساء من معايير الجمال السائدة، وتكشف عن أشكال التفاوض أو المقاومة التي تمارسها تجاه هذه المعايير.

➢ **المنهج الكيفي:** نعتبر المنهج الكيفي خيارنا البحثي المهم والمناسب في جمع المعطيات الميدانية واستكشاف المعاني التي تمنحها النساء لتجاربهن الجمالية مما يسمح بإنتاج معرفة ثرية تكشف عن آليات بناء الأنوثة وإعادة تشكيلها في مجتمع البحث، ولتحقيق ذلك سيتم توظيف أدوات بحثية نوعية تشمل المقابلات نصف الموجَّهة، والملاحظة بالمشاركة داخل فضاءات التجميل مما يسمح بإنتاج معرفة غنية تكشف عن آليات بناء الأنوثة والجندر وإعادة تشكيلها في مجتمع البحث.[1]

إن دراسة تمثلات الجسد الانثوي في مدينة باتنة، نعتبرها دراسة **للجماعات الصغيرة** لا تتطلب الوقوف على الممارسات فقط، انما تبحث في التناقضات الخاصة بالتمثلات والممارسات ما جعلنا نقف على عتبة الفهم **الكيفي** الذي لا نقدر على تجاوز أدواته. فلم نختار ولا ننتقي المنهج والتقنيات حسب ما تمليه رغبتنا الشخصية بل طبيعة الموضوع وخصوصيته كانت الموجه في اختيار المنهج الأنثروبولوجي دون غيره من المناهج والتقنيات، خاصة وأن البحث الانثروبولوجي وليد الحقل مرتبط بالميدان متميز بتقنياته وأدواتها المنهجية التي شكلت **الاثنوغرافيا** أحد مرتكزاته لشساعته وخصوصيته، ولانفتاحه على كل المجالات مما أدى بنا إلى تبني **الوصف الاثنوغرافي** ضمن البحث الانثروبولجي بأدواته البحثية:

ماذا نعني بالاثنوغرفيا؟

الاثنوغرافيا هي دراسة الأفراد والجماعات عن طريق المعايشة المباشرة في الميدان على مدى فترة زمنية محددة باستخدام الملاحظة بالمشاركة أو المقابلة الشخصية بقصد التعرف على أنماط السلوك الاجتماعي.[2]

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مادة علميّة مختارة من عدد من الدراسات والمقالات التي أُجريت على الجسد الأنثوي في عَلاقتها بالزينة والتجميل والجندر، حيث تختلف مناهجها وتقنياتها باختلاف طبيعتها وموضعها. وقد ارتئينا الاعتماد على **المقاربة الأنثروبولوجية النوعية "كيفية"** كونها

1. *John W. Creswell, Qualitative Inquiry and Research Design : Choosing Among Five Approches, 4th Ed. Thou Sand Oaks, CA : Sage Publications, 2018, p. 45.*
https://revistapsicologia.org/public/formato/cuali2.pdf[1]

2 أنتوثر غدنز، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصباغ، دراسات الوحدة العربية، مؤسسة الترجمة، بيروت، 2005، ص681

الأنسب لمثل هذه الدراسات التي تُعنى بفهم وتحليل تمثيلات الجسد الأنثوي والجندر ضمن سياقات ثقافية واجتماعية متنوعة، بالاعتماد على آليات وأدوات منهجية تشمل الملاحظة الميدانية والملاحظة بالمشاركة والمقابلة غير المنظمة متكئين على الاخباريين حسب متطلبات البحث في كل مرحلة من مراحله "**اثنوغرافيا– اثنولوجيا وانثروبولجيا**" مستعينين بالتسجيلات الصوتية والموارد البصرية "**الصور، فيديوهات**" بهدف استكشاف الرموز والمعاني، والدلالات الثقافية المرتبطة بتمثلات الجسد والجندر وكيفية تَشَـكُّلِهَا عبر الممارسات والطقوس. ولقد سمح المنهج **الانثروبولوجي** لنا بالانغماس والغوص في عمق المجتمع المدروس ودخول الفضاءات دون استئذان، فنحن جزء منها بَنَيْنَا علاقتنا مع أفرادها واكتسبنا مكانة فيها تسمح لنا بالبقاء أيضا والانسحاب وقت ما نريد، فهذا النوع من المناهج يُعطي المكانة للباحث ويزيد من فهمه للموضوع المبحوث فيه، فجاءت المنهجية التي ترسم معالم المنهج الانثروبولوجي كما يلي:

➢ **تحديد حالات الدراسة:**

طبيعة الموضوع حَتَّمَت علينا اختيار عينتنا حسب ما تَوفَّر لدينا من حالات"**مبحوثات**" أثناء تواجدنا بالميدان في تلك الفضاءات التي حددناها حسب خريطة العمل المُعدة مُسبقاً، فوجدناها متعددة منها المُرخصة وغير المُرخصة تتوزع بين **أربع** مجموعات " **صالونات الحلاقة مراكز العناية الجسدية عيادة الطب التجميلي، نوادي رياضية** "حيث نعتبرها عينتنا المضبوطة منذ البداية، بالاعتماد على **42 فضاء** بحثي يرافقنا طيلة البحث.

أما أفراد المجتمع **المبحوثات** الحقيقيات هن أولاً مالكات ومُسَيِّرَات لهذه الفضاءات **(مولات الشي– المُمَارِسَة)** والنساء الوافدات من أجل **التجميل** إما **(زبونات– مرافقات)** هن وقود البحث ومُحَرِّكُهُ في كل التفاعلات والممارسات وتأشيرة عبورنا للكثير من التمثلات حول الجسد والأنوثة. في حين شكَّل شرط **انتماء المبحوثات** للمدينة عَقَبَةٌ حقيقية أمامنا، فبحكم طبيعة المُمَارَسَةُ **(التجميل)** التي قد تُعجل أو تُؤخر في بقاء **الزبونات**[1] (جلسة، جلستين، عدة جلسات) يصبح اللقاء صعب خاصة

[1] للإشارة فإننا في الكثير من المرات نستخدم عدة مفردات (مبحوثة، زبونة، حالة، ممارس عليها) من اجل ان نعبر عن حالات الدراسة فنعني بذلك كل امرأة أو أنثى قابلناها او لاحظناها في فضاءات التجميل لذلك فان ورود أيا من هذه الكلمات تحمل نفس المدلول والمعنى الي يساعدنا على فهم اشمل، فلا ترتبك او تبحث عن معنى لدلك فان المعاني كلها تعني الانثى.

مع أن طبيعة الموضوع فرضت علينا اختيار المرأة **الباتنية** تحديداً دون غيرها من النساء ليصبح ضبط العينة أصـــعب ما واجهنا، الأمر الذي أجبرنا في كثير من المرات الانتظار طويلاً، لأيام نَرْقَبُ قدوم مفردة من مفردات البحث **(مبحوثة)** التي يشـــملها البحث **(باتنية)** وبذلك فإن عملنا يتطلب الكثير من الحذر والصـــبر لبلوغ المُراد. وعليه لم نتمكن طيلة هذا التَّرَقُّب والاقتراب من اقتناص إلا **85 مبحوثة** ما بين "**مُمَارِسَة زبونة ومرافقة**" تمت مقابلتهن والاستماع لتجربتهن من خلال اشتغالنا على **42 فضاء** للحلاقة والتجميل وبعد عدة مقابلات أبقينا على **38** فضـــاء لتوفر خصـــائص البحث التي تســـمح لنا ببلوغ الأهداف المســـطرة قبل البدء، أما **العيادات الطبية** فلقد اخترنا عند الانطلاق ثلاثة03 عيادات وبعد عدة مقابلات تبين لنا أنها ليسـت عيادات طبية مرخصـة وانما عيادات للطب التكميلي تعمل في مجال التجميل، مرخصـــة من مديرية التجارة (ســـجل تجاري) الذي لا علاقة له بمجال الطب والعلاج (مديرية الصـحة) وبذلك أبقينا على عيادة واحدة **01** فقط تعود لدكتورة متخصـصـة في الطب التجميلي لحاجتنا الى التحليل العميق للعناية بالجسـد ما بين الطبي والتجميلي (مقارنة) أما نوادي الرياضـــة فإن حضـورها في عملنا شمل **اثنين (02)** من النوادي التي فرضـت نفسـها علينا باحتشـام كبير وعليه فإن خارطة عملنا تتوضح كما يلي:

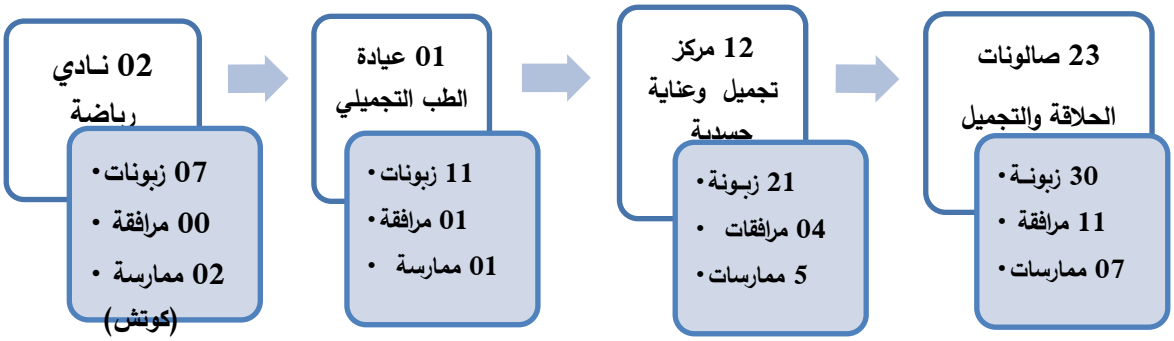
42 فضاء للتجميل والعناية الجسدية واللياقة البدنية سمح لنا بمقابلة ومرافقة موزعة كما يلي:

- **38** فضاء للتجميل والعناية الجسدية بما فيها نوادي الرياضة وعيادة طبية.
- **12 مُمَارِسات هن** مالكات الفضاءات التجميلية او مسيرات لها (حلاقة، خبيرة تجميل).
- **69 زبونة** المترددات على فضاءات التجميل.
- **01 طبيبة تجميل.**
- **02 كوتش رياضة.**
- **16 مرافقة للزبونات** المتردّدات على فضاءات التجميل.

أما المُمَارِسة، فهي مالكة فضاءات التجميل او التي تعمل في هذه الفضاءات فإننا نعني بها اما الحلاقة، خبيرة التجميل، كوتش وحتى العمالة بها او الممرضة المعاونة في عيادة الطب حتى نفرق بينها بين التي يُمارس عليها فعل التجمل وهي الممارس عليها، ويسهل على المتلقي فهم المراد بها في متن البحث.

إن هذا الأماكن الموزعة على **أربعة 04** فضـــاءات حميمية بَدَت كمســـاحات تتحكم في لعبة التجميل وفي تواجدنا الحقلي وبزخم ممارســاتها وتنوع زبوناتها اللواتي ينحدرن من عدة جهات ومناطق "**ريف حضر** " وذاها فرصة مناسبة ومهمة في التحليل تم جمعها في الشكل التالي:

الشكل رقم 1: توزيع عينة البحث حسب فضاءات صناعة الجسد (من اعداد الباحثة)



نريد أن ننوه أن **المُمَارِسَـــات** أو مالكات الفضـــاءات "**الحَفَّافَت، خبيرات التجميل** " ممن **قَبِلْنَ** المشـــاركة في البحث بلغ عددهن **12** من بين **22** التي زرناهن وقابلناهن، وهن الفئة التي قبلت التفاعل معنا وجميعهن ينتمين لمدينة باتنة، في حين انسحبت العديد من منهن لأسباب لاتهمنا، غير أنهن سمحن لنا بإجراء المقابلات مع **العاملات** اللواتي رحَّبن بذلك وساعدننا كثيراً في أثناء عملنا أما "**الزبونات ومرافقات** " ممن يخضـــعنا لطقوس العناية بالجســـد من مختلف الأعمار والمســـتويات الاجتماعية والمناطق "**مروانة، واد الماء، عين التوتة، فيســـديس، تازولت، حملة 3**" وهي المناطق الأكثر تردداً على هذه الفضـــاءات كما تبين لنا. وأن وقوفنا على هذا التوزيع الجغرافي ليس من أجل التصنيف لا والتخصيص ولكن لنبين فقط أن هذا الفضاءات الحميمة تجذب اليها الانثى التي لا تبالي ببعد المســـافة من اجل إرضـــاء ذاتها وبلوغ مرادها في الاعتناء بجمالها، او أن هناك أمر خفي ربما سيتكشف لنا لاحقا. أما الفضاءات فقد تحفَّظنا على أسمائها وعناوينها لعدة اعتبارات نراها مفتاحنا في التحليلي في الآتي من البحث.

2.5.أدوات وطرق جمع البيانات

" طرق البحث بوصفها أداوت بحث"

تُعتبر طريقة البحث أسـلوباً لجمع الشـواهد والأدلة، وإن بإمكان المرء أن يقول- **بحق**- أن كل أساليب جمع الشواهد تندرج ضمن واحدة من الفئات الثلاث التالية: **الإنصات** إلى الاخباريين أو **سؤالهم** أو **ملاحظة** السلوك ومشاركتهم.

➢ ماذا نعني بطريقة البحث؟

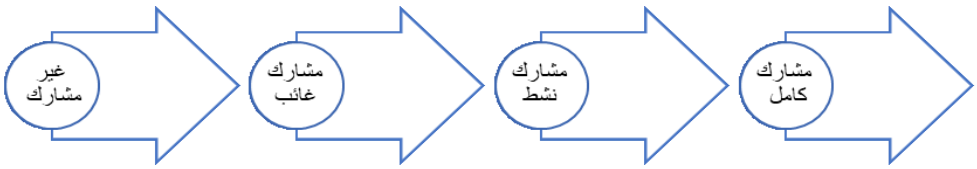
إن طريقة جمع البيانات ترتبط بشكل وثيق بالبحث الميداني الذي يسعى الباحث من خلاله إلى تأسيس نوع من العلاقات العضوية أو الرابطة المتينة بالمجموعة المُراد دراستها. أي ملاحظة ومشاركة مُنظَّمة ومقصودة حسب ما تسمح به الظُّروف في أنشطة المبحوثين ومشاركتهم اهتماماتهم. والانغماس الفاعل ومباشـرة في كل الظروف وأدق التفاصـيل التي تسـتلزم المشـاركة والملاحظة عن كثب. حيث يسعى الباحث من خلالها ليصبح عضواً في مجموعة بحثه، وحتى يصبح عضواً فاعلاً يضطر تعلم لغتهم ومشاركتهم الأنشطة الجسدية والاجتماعية وفي الغالب تكون مناقضة لاعتقاداته الشخصية، لكن المشـاركة التامة تفسـح المجال لدراسـة الأحداث التي لا يمكن الوصـول إليها بطريقة أخرى، ولقد اسـتخدمنا في هذا العمل المعاينة الأنثروبولوجية والملاحظة بالمشـاركة، كما اعتمدنا على الإخباريين حسـب متطلبات البحث في كل مرحلة من مراحله "**اثنوغرافيا- اثنولوجيا وانثروبولجيا**" فجاءت المنهجية التي ترسم معالم المنهج الأنثروبولوجي وأدواته كما يلي:

- **الملاحظة:** تعتبر تقنية الملاحظة من أقدم تقنيات جمع البيانات وأكثرها استخداماً في مختلف

الحقول المعرفية قبل أن تنتقل إلى العلوم الاجتماعية، حيث تُبنى على المشـاهدة والاسـتماع ومُتابعة تفاصـيل الموقف الملاحظ[1]والمراقبة للأحداث والسـلوكيات التي لها علاقة بالموضـوع دون المشـاركة في الأنشـطة التي تقوم بها المجموعة المراد ملاحظتها أو مَوْضِـعَ الملاحظة. فهي تُمكِّن الباحثين من دراسة السُّلوك عند حدوثه ولا يضطر إلى توجيه الأسئلة للمبحوثين، إنما يستطيع مراقبتهم عند تفاعلهم وحدوث السـلوك مما يُسـهل عليه جمع المعلومات كما تحدث في الواقع. ولكي نُلاحظ ما

يحدث فعلا في هذه الفضاءات لابد أن نكون جزءاً منها كما نحرص على الاستمرار في الانخراط فيها والمشاركة والتي تسمح بتغيير دور الباحث بحرية أثناء وقت الملاحظة بناء على **تصنيفات**[1] **Spardly** لطبيعة دور الباحث في الملاحظة النوعية:

الشكل رقم 2: دور المشارك الملاحظ في العمل الحقلي (من اعداد الباحثة)



لقد اعتمد عملنا هذا في **مرحلته الأولية** على **الملاحظة من غير المشاركة**، وهي التي يقوم فيها الباحث بمراقبة المبحوثين "**في عين المكان**" عن كثب. فملاحظاتنا لم تكن وليدة اللحظة البحثية وإنما سبقت البحث والتفكير فيه، ولدت مع الأنثى التي تسكننا ومع فطرة البحث المرهون بالتقصي العميق في ثنايا الجسد و طقوس العناية الجسدية وممارسات التجميل وانماط القولبة التي نراها في محيطنا القريب وفي كل المجتمع، ونُطِلُ عليها من نافذة التكنولوجيا عبر منصات التواصل الاجتماعي "**فيسبوك – تيك توك – انستغرام**" ملاحظات تحمل الكثير من التساؤلات والاستغراب أحياناً، إنها تمثلات للجسد الأنثوي وللأنوثة في هذا المجتمع الذي عرف عنه أنه مُحافظ مُهيمِن، يُطْبِقُ على أُنثاه ذكوري بامتياز.

- **الملاحظة بالمشاركة(المعايشة):** هي جوهر البحث الأنثروبولوجي، وأهم تقنياته المنهجية

للوصول إلى أقصى درجات الفهم كون الباحث عضواً ممثلاً في البيئة المدروسة مما يسمح له الكشف عن الواقع لأنه يكون عضواً طبيعياً في مجموعة الأفراد قيد الدراسة، ومن خلال التعمق الذي تمنحه المشاركة للتأكد من صحة البيانات التي يحصل عليها الباحث من بقية الأدوات البحثية "**مقابلة**

– **اســـتمارة**" حيث عن طريقها يتمكن الباحث الأنثروبولوجي من متابعة ســـلوك الأفراد أو المبحوثين ومشاركتهم حياتهم ورويتهم اليومي ويصل إلى كشف المستور. إذ يفيد هذا التقارب في اختزال الكثير من التأويلات الذاتية والتخلص من الأحكام التي تُوَجِّهُ تحليل المعطيات وِجْهَة غير موضـوعية[1] فعندما يتبنى الباحث هذا الدور فإنه يُعْلِمُ مجموعة البحث أنهم موقع دراسة وتقصي، يُشارك المجموعة كعضو فاعل ويحاول إقامة علاقات وثيقة مع أعضـــاء المجتمع الذين يتوقع أن يقومون بدور المخبرين[2] وأن اعتمادنا على هذه التقنية في ميدان بحثنا مَكَّنَنَا من مشـاركة المبحوثات تجربتهم الفعلية، فلقد مارسـنا الحلاقة وتعلمنا فن التجميل "**من خلال الدورات التكوينية التي حضرناها وحَظَّرْنَا لها** " وحسب "**راسل برنارد Russell Bernard**" من الضّـروري مكوث الباحث في مجتمع بحثه وإقامة علاقات معهم ويمارس أعمالهم ...فحســبه اذا كنت مشـــاركاً ناجحاً فانت ســـتعرف متى تضـــحك على ما يعتقد الناس انه مَضحك، وعندما يضحك الناس على ما تقوله، فسيكون ذلك لأنك قصدت أن يكون مزحة. [3] فالمعايشة ضـرورية مكَّنتنا من الانخراط في هذه الفضـاءات والمشـاركة في مختلف الممارسـات والأحداث التي كانت تحدث أمام أعيننا. كما مهَّدت أمامنا الطريق للفهم حتى وصلنا لمرحلة الانغماس والمعايشة. فكُنّا طيلة البحث مشاركين ومنخرطين في الممارسات التي تمس العناية الجسدية والتجميل دون الإفصـاح في بعض الأحيان لمن هن تحت الملاحظة والتفاعل معهن بشـكل طبيعي كممارسـين فعليين للإحدى التقنيات التجميلية أو كمنخرطات في نوادي الرياضـة متتبعات لتوصـيات الكوتش ومسـتمعات لحديث النسـوة المشـاركات في التدريبات اهتماماتهن بالجسـد وتمثلاتهن لمفهوم الاعتناء والجمال بالجسـد وأن هذه المشـاركة فسـحت لنا المجال للوصـل الى كسـب ثقة المبحوثات وبناء علاقات اجتماعية أوصـلتنا الى أهداف البحث. كما سـمحت اقامتنا المطول في قاعات الانتظار الخاصـة **بطبية التجميل** من فهم أهم العمليات التجميلية وأكثرها اقبالا بين اللاهثات وراء المظهر أو الراغبات في التعديل أو العلاج فالانخراط في الحديث بين الحاضـرات والممرضـات ينقل الخبرة ويكشـف المفاهيم ويوجه الذوق ويسـمح لنا بتعلم الكثير من المفاهيم والتمثلات حول الجسد والانوثة.

---

1 موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية " تدريبات عليمة**"، تر: بوز د ي صحراوي وآخرون دار القصبة للنشر والتوزيع الجزائر، سنة 2004، ص ص 186،187.

2 شافا فرانكفورت ناشمياز دايفيد ناشمياز، **طرائق البحث في العلوم الاجتماعي**، بترا للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004، ص، ص 280،282

3 Russell Bernard, **Research Methods in Anthropology**, Fourth Edition, AltaMira Press, 2006, p 344

ما نريد قوله أيضـــا أن **معايشـــتنا** للميدان ارتكزت في بداية البحث على المبحوثات" **زبونات**" اللواتي يُخْضِـــعْنَ أجســـادهن لتقنيات العناية الجســـدية لكن فيما بعد تبين لنا جلياً أهمية الوقوف على المُمَارِسَات"**خبيرات**" ونقصد بذلك **مالكات الفضاءات** لطقوس العناية الجسدية باعتبارهن المحرك الفعلي والحقيقي للتقنية والمُتحكم في الذَّوق الجمالي والمُوجّه، والذين قدموا لنا دعما كبير ســـهل علينا الكثير من المحطات لهذا البحث. فاختيارنا لم يكن مقصـوداً وانما فرضـته علينا الضـرورة البحثية التي تُبنى على تمثلات المرأة في حد ذاتها ســواء كانت "**مُمَارِسَـــة او مُمَارَس عليها**"، لما لها من مُســـاهمة في فهمنا للتمثلات وفهم الفعل والممارسة وشفرات الجسد.

- **تسجيل الملاحظات:** إن تسجيل ما عشناه كباحثين في الميدان تجربة من نوع آخر، مَكَّنتنا من

اعداد تقارير يومية تَصِـفُ تلك الملاحظات والمشـاركات التي جمعناها. والتي سـلَّطت الضـوء على أحداث وطمســت أخرى بدون وعي أو قصــد منا، لأنه بكل بســاطة لا يمكن لنا أن ننغمس فيها جميعاً وقد يرجع ذلك لأننا لاحظنا أشـياء لم نألفها مختلفة عما عهدناه، كما تتضـمن جوانباً من الفهم والتفسير لتلك الملاحظات كاهتمامنا ببعض الجزئيات على أن لها دلالات وتجاهُلنا لأخرى على أساس أنها غير مهمة وذلك ما عَطَّلَ عملنا لســـنوات، ففي كل مرة نتقدم في البحث نعود أدراجنا لنبدأ من جديد وقد أزحنا كل ما قُمنا به من قَبْل لشعورنا بضياع ما يصبو إليه البحث "**تمثلات الجسد**" لا لشيء إلا لأن ما دونَّاه لا يخدم أهداف بحثنا فنحن نتحدث ونصـف أشـياء وتسـقط أخرى دون قصـد، نختار مضـــامين لنتحدث عنها ونتغافل ونتجاهل أخرى. فما نقدمه كباحثين هو محتوى وثمرة لما قمنا عليه بأنفسـنا وبخبرتنا نعرف جيداً متى نبدأ الحديث ومتى نُنْهِيهُ، ومتى نَضَـعُ علامة تعجب واسـتفهام ومتى نُنهي الحديث. وإن ما نُدوِّنه من أحداث وملاحظات نبتغي منها إضـــافة المعنى للحدث، صَـــبُّهَا في قالبها العلمي الذي يَحفظها. ونُريد أن نُنَوِّه على أن تســـجيل **الملاحظات** عند وقوع الحدث في نفس المكان أمرٌ مهم وحتمي أحياناً. فقد يرغب الباحث في تسـجيل ملاحظاته دون لفت انظار المشـاركين حتى لا يؤثر على سلوكهم أو يحد من إمكانية مشاركتهم في النشاط الذي يقومون به، لكن يتعذر عليه ذلك الأمر في بعض الأحيان. وذلك ما اعترضنا طيلة مسارنا البحثي، حيث أننا اكتفينا في الكثير من الأوقات بالتسجيل الصوتي حتى نسجل أحاديث النساء إلينا في قاعت التجميل ومراكز العناية الجسدية ولا يفوتنا شيء من الحديث، ونترك لهن أيضا حرية الحديث دون قيد حتى يشعرن بالأريحية ولا يخفينا علينا اتجاهاتهن وتمثلاتهن الحقيقية، وفي بعض المرات يمنحنا التسـجيل مسـاحة شـاسـعة لتحليل تلك

الكلمات والمعاني متى عدنا إليها لنفك كلماتها التي باللهجة **الشـــاوية** ولم نفهما لحظة الحديث. وفي بعض الأحيان **مُنِعْنَا** من أخذ الصور بأنفسنا **بكامرات هواتفنا** أثناء جلسات العناية الجسدية إما لرفض المبحوثات وخوفهن أو لخوفنا نحن أيضـاً، فكِلانا خائف مُتوجس يرقب الآخر وذلك ما قد يكون سـبباً في تغيير المبحوثات لسلوكياتهن لشعورهن أنهن محل مراقبة، فالمُمَارَسات التجميلية مُحاطة بالسرية تخص مناطق حميمة في الجسد. وفي كلتا الحالتين فإن تقنية **التسجيل الصوتي** فَعَّالة في حفظ المادة **الاثنوغرافية** ومهمة حتى تكون الاستجابات حقيقية. وعليه فإن الكثير من الصور في متن البحث إما مرفوعة من صفحات المُمَارِسَات " **فيسبوك**– **انستغرام**" أو من صفحات **الانترنت** لأنه تعذر علينا حقيقة التصوير أثناء الجلسات لخاصيتها المتصلة بمناطق حميمة تخص الجسد الأنثوي**(الطابو)** وذلك ما نعتبره خصوصية المجتمع والأنثى ومن الصعوبات البحثية الحقيقية التي واجهتنا.

- **المقابلة:** أداة بحثية هامة لجمع البيانات، تُمكن الباحث من الحُصول على أراء الأفراد واتجاهاتهم وقيَّمهم حيث يقدمون عوناً كبيراً للباحث، وهي كأداة بحثية تُعرف بأنها حوار لفظي وجهاً لوجه بين القائم بالبحث "**الباحث**" والمبحوثين "فرد، مجموعة"[1] ولقد استخدمنا في الكثير من المرات تقنية **المقابلة الحرة** التي تمتاز بالمرونة بعيداً عن الأسئلة المخصصة واحتمالات الإجابة، بحيث يترك فيها للمبحوثات الحرية للإدلاء بآرائهن والحديث عن المعلومات التي يحوزونها. ولقد استندنا على دليل المقابلة المصمم خصيصا لبلوغ اهداف البحث. كما أن مقابلاتنا في الكثير من الأحيان كانت **جماعية** الغرض منها التعرف على تمثلات الفاعلين الاجتماعيين والتي تعني لنا الكثير في بحثنا هذا، وضمت المقابلة الجماعية كل من **الزبونات المُقْبِلَات** على هذه الفضاءات أو كما أسميناهم طيلة هذا العمل بـ " **المبحوثات** " دون أن ننسى " **المرافقات**" من النساء اللواتي شَكَّلْنَا المادة الخام والهامة لنسج واستجلاء المعاني الظاهرة والخفية حول تمثلات المجتمع لهذا المعطى الإنساني **(الجسد)** لغرض استخلاص التمثلات الجماعية وكشف المستور الذي أحياناً ما يتعذر علينا الوصول إليه في باقي المقابلات **المنفردة**. حيث تم إعدادها مسبقاً لأجل هذا الغرض، متفق عليها بيننا على أنها محاطة

بالســرية وذلك واجبنا. كما تتطلب نوعاً من الوصــف المكثف والدقيق في لحظة اللقاء والفعل للتحقق مما تم الوصول إليه مُسبقا فيظهر المخفي والمتناقض ويُزال اللُّبْسُ أمام الباحث.

لقد لعبت **المقابلة التفاعلية** في سـياق **الاثنوغرافيا** الدور الحاسـم في مواصـلة إجراء بحثنا في الميدان، حيث يجريها الاثنوغرافي أثناء رغبته في وصــف المعاني الدقيقة والمتخفية التي يســتخدمها المبحوثين، والكشـــف على كل النواحي المراد ملاحظتها والتي تحتاج إلى الكثير من التحري لأنها لا تزال غير واضــحة ومُبهمة بالرغم من أنها كانت موضــع ملاحظة مباشـرة ودقيقة.سـمحت لنا باجراء الكثير من الحوارات التي تمت بيننا وبين المبحوثات "**زيونات، خبيرات ممارســـات، مرافقات**" مقابلات عميقة وحميمية مطولة وحساسة، نعتبرها نوعاً من الشراكة في المعنى والخصوصية وليدة الألفة التي وصلنا اليها، نتبادل فيها الحديث والنظرات والايماءات ونبوح بالمشاعر والأحاسيس ونتشارك الخبرات. لقد كانت وســيلتنا الثانية في جمع المعطيات من مختبرنا الصـــغير هذا حيث ســمحت لنا من إيجاد أجوبة على الكثير من التســـاؤلات المتعلقة بالتمثلات والمفاهيم والســـلوكيات والمعلومات المتعلقة بموضــوع البحث. ولقد تخلل هذه المقابلات تفاعل وحوار على المســتوى اللَّفظي والرَّمزي ســاهم في تكوين علاقات من خلال تطبيقنا لتقنية"**المقابلة المعمقة** " التي نعتبرها أمر حاسـم يجعلنا مدركين لما نريده بشكل واضـح. وبذلك فهي أحد أهم آليات جمع المعلومات...فالمقابلة والمجتمع شيئان جوهريان تأسيسيان بالتبادل للدرجة التي تجعلنا نعلن أننا نعيش الآن في مجتمع المقابلة".[1]

تمت **المقابلة** مع **الحالات** في فضاءات صناعة الجسد إثنان **(02)** منها نادي رياضة، وعيادة **(01)** واحدة طب تجميلي. وتم اختيارهن كما ذكرنا آنفاً بناء على عدة اعتبارات بحثية تخدُم الهدف العام للبحث بالاستناد على شبكة المعارف التي كانت لنا السند الأساسي في الوصول إلى النساء اللواتي يَمْتَهِنَّ صناعة الجسد وممارساته الحديثة، واخترنا الممارسات الأكثر انتشاراً بين النساء **(فيلر بوتوكس ميكروبلديدينغ، بيرســـينغ ...)** دون إعطاء قيمة للعمر ولا المكانة الاجتماعية، وهذا ليس محور اهتمامنا. إنما حرصنا على أن يكون التنوع في مقياس الاختيار لهذه الفضاءات ما بين التقليدية والعصـرية وما بين الطبية والرياضـية فهي من جيلين، جيل يعتني بالجسـد ويُزيّنه وجيل يخدمه ويُقِمه فضـاءات عصـر الحداثة والتقدم التي بات يعرفها المجتمع وألفها. أما نوادي الرياضـة فهي جيل جديد

[1] جيا مبيترو جوبو، تر، محمد يسري، **اجراء البحث الاثنوغرافي**، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2006. ص3.

رواده من كل الأعمار، تَجْذِبُنَا للبحث في خباياه عَلَّنَا نجد إجابات شافية لما يراود فِكرنا. كما لا العيادة الطبية التي تكشف فيها المستور الذي لم نكف نصل اليها لولا مرورنا عليها وانغماسنا فيها. ننسى تلك **المقابلات** التي جمعتنا ببعض الصـــديقات اللواتي لهن خبرة بمثل هذه المُمَارَسَـــات ونعتبرهن **مُخْبِرَات** حقيقيات لولاهن ما تمكنَّ من الولوج للفضـــاءات بكل أريحية ومُخاطبة النســـاء بلغتهن، لغة الموضـــة والجمال.

نريد أن ننوه أننا **أقصـــينا** الكثير من المبحوثات اللواتي لا ينتمين إلى مُختبرنا البحثي(باتنة) وأبقينا فقط على المنتميات للمناطق المجاورة من **بلديات و دوائر** المدينة، واللواتي كان لحضـورهن دفع قوي للبحث، فلقد شـــكلن أهمية كبيرة في الفهم والتحليل ســـنقف عليها في مجريات هذا العمل، وأن الاقصاء كان لتفادي ضياع الهدف الأساسي الذي أقيم عليه البحث (دراسة أنثروبولوجية بمدينة باتنة) فلقد كان الأمر مُتعباً جداً، إذ لم نتمكن طلية سـنوات دخولنا وخروجنا ومقابلاتنا الفردية والجماعية في هذه الفضاءات الحصول إلا على **(69)** حالة فقط تنتمي للمدينة من بين كل المقابلات التي أجريناها. ففي كل مرة كنَّا نتحقق من انتمائهن بالسـؤال قبل البدأ في العمل إن كن يسـكن المدينة **(عمل، دراسـة زواج...الخ)** أم ينتمين حقا لها (باتنية) فالجهد كبير ولكنه مُمتع، تعرَّفْنَا من خلاله على تنوع النســـيج الاجتماعي والثقافي لمجتمع البحث**(باتنة)**.

- **دليل المقابلة:** الدليل عبارة عن قائمة من الموضوعات تتضمن أسئلة مكتوبة ضمن مجال البحث للوصـــول الى المعلومات المرجوة بالتحليل الكيفي. ولم نقم بضـــبط هذا الدليل إلا بعد العديد من المقابلات المعمقة وتحليل بياناتها. فحســـب ما بينه " **دافيد كاربا David Carb** أن إجراء المقابلات المعمقة وتحليل بياناتها هما عمليتان مهمتان تفيد وترشـــد كلاهما الأخرى، فعلى الباحث أن يكتب التعليقات انطلاقا من المقابلة نفســـها ثم يعيد صـــياغة دليل المقابلة بعد إجراء عشـــر مقابلات، وعند الانتهاء من المقابلات يستحسن وضع عناوين أو مفاهيم لتصنيف البيانات.[1]
- **الاخباريين**: يتوقف نجاح العمل الحقلي إلى حد كبير على حسن اختيار" **المُخبرين**" الذين يعرفون المجتمع ويتعاونون مع الباحث. إذ نعتبرهم أداة البحث ومفتاحه، بوصـــلته ووقوده طيلة مســـيرة البحث يختارهم الباحث بعناية فائقة، يقومون بدور المرشـــد بما يوفرونه من معلومات خاصـــة

1 شارلين هس بيبر، **البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية**، تر: هناء الجوهري وباتريشيا لفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2001، ص141.

بمجتمع البحث الذي هم جزء منه ونشئوا فيه. لهم معرفة دقيقة بعاداته وأعرافه وممارساته وقواعده وبكل المعايير الأخلاقية والدينية، ويختار الباحث بدقة وعناية مخبرين **موثوق فيهم** يكونون ملمين بموضوع البحث وعلى معرفة بالمجتمع ونظمه وأنساقه، **باعتبارهم** الذاكرة والترسانة التي تحفظ جزء من ثقافة المجتمع الذي نشئوا فيه. حيث يقضي الباحث مدة طويلة في مقابلتهم للحصول على أدق المعلومات التي انتهت أو تغيرت قبل وصول الباحث إليهم، كما يستوجب على الباحث الاستعانة بأكثر من **مخبر** للوصول الى معرفة دقيقة وتمييز الخاطئ منها والتي قد توجه مسار البحث الى مسار آخر.

في عملنا هذا كانت الاستعانة **بالمخبرين** قليلة جداً وهذا لكوننا من مجتمع البحث وعلى معرفة بأهم **الفضاءات**، ورغم ذلك فقد استعنَّ في بداية المرحلة **الاستطلاعية** على بعض الصديقات اللواتي اعتبرناهن **مخبراتنا** في الوصول إلى الفضاءات التي تعتمد على مختلف تقنيات التجميل **(فيلر،بوتكس بليدينغ، تقشير كربوني، ميزوتيرابي...)** وغيرها من ممارسات التجميل الحديثة. فبعض الممارسات مُتكتم عليها باعتبارها ماتزال عيباً **وطابو** في مجتمع البحث. وذلك ما سنقف عليه خلال فصول هذه الدراسة فلم نلقى صعوبة في التوصل إلى **المبحوثات والفضاءات** معاً مما اقتصر علينا الجهد والوقت ويَسَّر عملنا، فلم يُرافق العمل غير مخبرتان اثنتان**02** اللتان نعتبرهما **بوصلتنا** لهذا العمل. إنهما على دراية كبيرة بهذه الفضاءات والمُمَارَسَات، وهن من اقترحن علينا ولوج إحدى **عيادات التجميل** لتكون فضاء بحثي يرونه مهم ليتبين لنا فيما بعد أنها ليست عيادات طبية وانما فضاءات للحلاقة والتجميل وأن مجريات البحث بينت لنا ضرورة ترتيب أمورنا وأضفنا عيادة التجميل الطبية لخارطة العمل كفضاء يُفْصِحُ عن العديد من المضامين البحثية التي لولا **المخبرتان** لسقطت من عملنا. فلا ننكر أن المخبرتان كانتا **تُرْجُمَانُنَا** في العمل لسانهما **شاوي** يجيد الفهم وقراءة المضامين ونقلها بأمانة. فلا مانع من أن تكونا عيننا التي نرى بها ولساننا الذي نتحدث به.

- **المدونات المرئية:** تَتْقُلُنَا المُدَوِّنَاتُ المرئية "**التسجيل الصوتي، الصور الفوتوغرافية، الفيديو**" من لغة الصورة الى الكلمة واللفظ " **صوت، صورة**"، حيث نعتبرهما تقنيتان مهمتان إلى جانب **الفيدو** فهي قائدُنا في رحلة اكتشاف المعنى وفك الرموز وتوثيق المعلومات المتحصل عليها من الميدان حيث يلتقطها الباحث بنفسه و/أو من مساعديه، وقد يتحصل عليها من المبحوثين أنفسهم. فبعض معدات التصوير والتسجيل التي يستخدم فيها **الهاتف النقال** تختزل الكثير من الوقت والجهد، كونها الأقرب للواقع والموضوع الحقيقي. وأن تدوينها بمثابة إعادة صياغة للفروض وفهم للميدان، تعطي معنى

للأحداث. ولن تتم إلا بإجراء مقابلات تسمح بتصوير تلك اللقطات وتسجيل المقاطع التي تحوي الكثير من المعاني والحقائق، وأن المقابلة لا جدوى منها في غياب المبحوثين، ولا تكتمل إلَّا بموافقتهم والقدرة على الوصف لكل تلك الجزئيات والسؤال عنها.

لقد استخدمنا في بحثنا هذا تقنية **التصوير الفوتوغرافي** والفيديو باستخدام **الهاتف النقال** الذي نعتبره تقنيتنا الفعالة والسهلة نحملها معنا أينما ذهبنا دون عناء أو تعب. ونستعين به في اللحظة ذاتها بكل أريحية. وعليه فلقد استخدمنا هاتفنا طيلة مجريات البحث من دون إفراط في لحظة تواجدنا في الميدان وأثناء المقابلات في الفضاءات المخصصة للعناية بالجسد. وأصبحت هذه النصوص البصرية بالإضافة إلى انتاجها ومناقشتها جزء من المعرفة الاثنوجرافية[1]. وبذلك يكون **الفيديو** تسجيلاً عميقاً لكل ما يُقال من كلمات وما يَصدر من حركات وايماءات تكشف عن الكثير المُتستر. وأن عملنا هذا محفوف بالسرية في الحصول على الصور والفيديوهات، فالسماح لنا بالتصوير في الكثير من الأحيان مُحاط بالسرية يسمح لنا فقط بالتحليل ويتعذر معه **وضع الصورة** في متن البحث لخصوصيتها، وأن بعض الصور المُدرجة في متن هذا العمل تم حجب ملامحها لكوننا تحصلنا عليها من دون إذن أصحابها لأغراض البحث. وذلك لأن مجتمع البحث يتأرجح بين القبول والرفض، وفي الغالب يرفض التصوير لاعتبارات اجتماعية عُرفية، ودينية أخلاقية. لأن الصورة تخص الجسد والجسد **طابو** حسبهن يُمنع كشفه وتَعْرِيَتُه أمام الآخرين حتى وإن كان لأغراض علمية. فلم يُمنع منا التصوير ومُنع منا استغلال الصور التي تخص مناطق حساسة في الجسد. كما لم يُسمح لنا بوضعها في ملحقات بحثنا **وأُخذ علينا العهد** أن تظل الصور محفوظة في هواتفنا لا يراها غريب ولا توضع في البحث حفاظاً على حرمة الجسد وصاحبته، فوافقنا على ذلك وتعهدنا على أن تُستخدم صورهن لأغراض البحث وفقط، ويستعان بها في التحليل لا غير، وتُحذف من أجهزتنا فور الانتهاء من ذلك. فلقد رفضت أغلب المبحوثات تصويرهن من طرفنا أثناء الجلسات رغم الثقة المتبادلة بيننا، في حين قبلن أخذ صورهن من طرف **الممارسات** أنفسهن أثناء الجلسات (المالكة) والتي في الغالب توضع على صفحات التواصل الاجتماعي **(فيسبوك، انستغرام)** للترويج لها عبر هذه الوسائط الإعلامية. وأن هذا التناقض الصريح نعتبره نقطة ارتكازنا في التحيل، وبالتالي استعن بهذه الصور المعروضة على **الميديا** لنضفي على

[1] Dipesh Kharel , Visual Ethnography, Thick Description and Cultural Representation , p148
file:///C:/Users/HPVpro001/Downloads/admin,+14026-47702-1-CE.pdf - -consulter:24-08-2024

البحث عمقاً في الوصف والتحليل **(وصف مكثف)** على حد تعبير **جيلفورد غيرتز** وبالتالي فإنها تظهر كلها (الصـور) في متن هذا العمل كشـاهد على التجربة البحثية وتحمل أثراً بصـريا للواقع الذي وُجِّهت اليه الكاميرا... وأن اسـتخدام الفيديو كأداة بحثية أفادانا في التحليلات اللاحقة من عملنا الميداني حيث جعل التحقيقات الميدانية أكثر سـهولة كأداة بحثية لانخراطنا في الملاحظة بالمشـاركة. وبالتالي فهي تُعتبر سِجِلاًّت أكثر دقة.

6. ميادين ومجالات مختبر الدراسة

ماذا نعني بالميدان والمختبر؟

يميز " **ليفي ستروس" الميدان**" عن " **المختبر**"، فالميدان هو مكان **الاثنوغرافي** لجمع المعطيات والمختبر هو مقر عمل **الاثنولوجي والأنثروبولوجي،** لكن لا يمكن لأحدهما المضـي دون الآخر. ففي المخبر يتم تحليل المعطيات والوقائع التي جمعت من الميدان.[1] ويُعتبر الميدان أو الحقل ميزة البحث الانثروبولوجي ووسيلته الأساسية التي تُمكِّنه من جمع قدر ممكن من البيانات المتعلقة ببحثه ووصفها وصفاً مكثفاً ودقيقاً تسمح له إعداد تقرير متكامل عن المجتمع المدروس وخصوصيته.

1.3. المجال المكاني

مفهوم مجتمع البحث يرتبط بالجماعة، هذا الحيز هو ما يُعرف بالفضـاء المكاني أو الإطار الجغرافي الذي يتم العمل في حدوده، حيث مثلت مدينة باتنة جغرافيتنا البحثية وحيز مكاني مهم تاريخياً وسوسيو ثقافياً في ظروف زمانية متعلقة بالبحث في حد ذاته.

هنا نريد تبيان أن مدينة باتنة التي تقع في الشرق الجزائري بين خطي طول 4° و7° شرقاً بين خطي عرض 35° و36° شـمالاً تعتبر من كبريات المدن الجزائرية بترتيبها الخامس وطنياً، حيث تتربع على مساحة تقدر بـ 12.038.76 كم2. وهي عاصمة الأوراس. إذ يحدها شمالاً بلدية فيسديس ومن الجنوب بلدية تازولت ومن الشـرق بلدية عيون العصـافر ومن الغرب بلدية وادي الشـعبة. أما بالنسبة للولايات المجاورة فهي تقع في ملتقى طرق هامة كبوابة للمدن المجاورة. فمن الشمال ولاية ميلة وأم البواقي، سطيف. ومن الشرق ولاية خنشلة. ومن الغرب ولاية المسيلة. ومن الجنوب ولاية بسكرة.

1 محمد عبيدة: **الانثروبولوجيا من البنيوية الى التأويلية**، افريقيا الشرق الدار البيضاء، 2014، ص24.

وبالتالي فهي تلعب دوراً هاماً في أهميتها وموقعها بالنسبة للمدن، كونها بوابة ومفصل بين الجنوب والشمال وقطب هام في محيط الشرق الجزائري والتي يمكن الاطلاع عليها من خلال الصور المأخوذة من الأنترنت كما تبينه الاقمار الصناعية التالية:

https://www.wilaya-batna.gov.dz/conten https://aoglh.blogspot.com/2016/12/blog-post_38.html



الصورة رقم1 : خريطة مدينة باتنة مستمدة من الانترنت

أما أصل **تسمية** المدينة فهو يرجع إلى العديد من الروايات، منهامايقول أنها **لومباز** غير أن هذه التسمية ما لبثت أن استبدلت بتسمية "**باتنة**" و تتوارد الأقوال إلى أنها مركبة من حروف **B.A.T.N.A** والتي تعني **BATAILION ANTI TERRORISME DU NORD AFRICAIN** ولعل أهم من سموها هم **البدو** الذين كانوا يقضون الصيف والربيع بمروج المنطقة فأطلقوا عليها هذا الاسم بقولهم كل ماحل الفصل " **نْرُوحُوا وِينْ بَتْنَا** " فالروايات كلها تصب في كلمة " **المَبْيتْ** " كما تُعرف المدينة بأنها ذات نسيج اجتماعي وثقافي متنوع يضُم العديد من السمات ما يُترجم الدور المجالي للمدينة التي كانت محوراً حضارياً للعديد من الحضارات " **الرومانية، الوندالية، البيزنطية، الإسلامية** " ولقد قطن المدينة منذ الماضي البعيد **الامازيغ** البربر الساميون الملقبون حاليا **الشاوية**، وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد.**فالمدينة** لم تبرز إلا مع الحملة الفرنسية سنة **1844** وذلك بإقامة مخيم عسكري محاط به أربع أبواب **(شمال، جنوب، شرق، غرب)**. ولقد عرفت المدينة توسعاً عمرانياً قبل الاستقلال مسَّ كل المجالات الحضرية. فظهرت العديد من الأحياء في تلك الحقبة كان أولها **حي الزمالة** وبعدها حي Stand "الأمير عبد القادر" ثم حي الفوريار بالقرب من محطة السكة الحديدية. ويليها حي شيخي وبوعقال. ثم ممرات بن بولعيد وHLM. وبالمقابل حي كشيدة، بارك افوراج، بوزوران.

وبعد الاستقلال ازداد توسع المدينة إلى غاية سنة **2005** وهي مرحلة تنمية عمرانية ملحوظة أدت الى ديناميكية حضرية وهيكلة المدينة **(مناطق حضرية جديدة، سكنات فردية وجماعية)** وبروز

أحياء جديدة منها قطب **حملة 1،2،3** وذراع بن صباح في بارك افوراج وغيرها من الأحياء التي تتوزع على المنافذ الأربعة للمدينة لتشمل معظم الأحياء التي تأسس عليها عملنا الحقلي في توزيع فضاءات صناعة الجسد، والتي سنقف عليها في متن هذا العمل.[1]

بالعودة الى التقسيم الحضري للمدينة المقسم منذ الفترة الاستعمارية لنشوء هذه الرقعة الجغرافية المقسمة إلى أربعة منافذ رئيسية " **شرق ،غرب شمال، جنوب**" فإننا نسير بنفس الخُطَّة مركزين على المناطق الجغرافية التي تعرف حركية واقبالاً كبيراً على فضاءات صناعة الجسد واخترنا منها **(لاري اش او بوعقال ، ليزالي، ستان، 1020، لاسيتي شيخي، دوارالديس، الزمالة، لاقا، بوزوران، بارك افواراج، كشيدة حملة3)** وأن اختيارنا لهذه المناطق تحديداً لم يكن اختياراً ذاتياً إنما حسب اعتبارات بحثية وبونوجيه من **مخبرينا** في الميدان والذين حددوها لنا حسب أهميتها على جميع الأصعدة اجتماعياً، ثقافياً واقتصادياً، فهي تمثل من جهة أهم شوارع المدينة وأعرقها، أكثرها حركية إما كونها تجمعات شعبية لها تفاعلاتها الخاصة أو لتوفرها على معظم المرافق **(جامعة، محلات ومراكز تجارية، مؤسسات. الخ)** مما يجعلها منطقة جذب مهمة تُغَطي ولو الجزء اليسير من المدينة وبالتالي فان هذا التنوع كان مبررنا الأول في توزيع العينة واختيار الفضاءات التي ستُشكِّل مختبرنا البحثي فيما بعد. ولقد اكتفينا بهذه المناطق لعلها تساعدنا لأهميتها من جهة ومن جهة أخرى لدورها في ضبط الموضوع والإجابة عل مختلف المسائل التي تجيب عن الكثير من التساؤلات. كما أن العمل في حد ذاته على المدينة فرض علينا اشراك الأنثى دون أي تمييز (قروية- حضرية) بل إنه يزيد من فهم الخصائص الثقافية والاجتماعية والتمثلات موضوع دراستنا.

2.3. المجال البشري

من أهم ما يشتغل عليه الباحث في تصميم بحثه اختيار مجتمع بحثه الذي يرغب في دراسته، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع البحث وبالهدف المرجو منه، غير أن اختيار العينة في البحوث الانثربولوجية أمر آخر يضعنا أمام مجتمع البحث الذي نختاره بمحض ارادتنا [2] والذي يضم

[1] سهيلة خمري وآخرون، **مدينة باتنة نشأتها ومراحل تطورها المجالي**، مؤسسة الاشغال العمومية باتنة، مركز البحث العلمي والتقني للمناطق الجافة بسكرة، ص، ص153، 156.

2*تتردد على الفضاءات التي اخترناها مجال عملنا نساء من عدة مدة واللواتي منهن متزوجات من رجال من باتنة او مقيمات فيها بحكم العمل أو الدراسة، وعليه فإننا نحرص دوما قبل بدأ العمل أن تكون المبحوثة تنتمي الى باتنة أي أصولها باتنة ولا يهم ان كانت من أي دائرة أو بلدية

المبحوثات اللواتي يرتبطن بموضـــوع الدراســـة. ولقد اخترنا **المالكات لهذه الفضـــاءات والزبونات مع مرافقاتهن**، ونعني النســـاء ممن قابلناهن في مراكز العناية الجســـدية وعيادات التجميل وصـــالونات الحلاقة ونوادي الرياضة باعتبار أن موضوعنا محصور في المرأة الباتنية دون غيرها من النساء اللواتي ينتمين الى المدينة من حيث الانتماء الهوياتي (باتنية) ونســـتثني بذلك كل منتمية بالإقامة خاصـــة **الزبونات** اللواتي يركز عليهن عملنا البحثي هذا. وأن اختيارنا للنساء دون الرجال مبني على الرغبة في التعرف على تمثلات المرأة في عين المرأة كونها القائم على حفظ الإرث الثقافي المتعلق بمفهوم الجسد والأنوثة وإعادة انتاجها خاصـــة ما تعلق بالتمثلات وعليه إننا نتحدث عن هيمنة من نوع خاص، هيمنة الأنثى على الأنثى. أما تقســيم الفضـــاء البشــري فإننا نعتبره الخطوة المهمة في هذا العمل أردناها أن تكون أولاً من خلال الدراســـة الاســـتطلاعية من أجل إحصـــاء العدد الإجمالي لهذه الفضـــاءات وهذه المرحلة مهمة بالنسبة لسير البحث سنقف على أهميتها لاحقاً في هذا العمل. وعليه فإن العدد الإجمالي لا يهمنا احصائياً بقدر ما يسهل عملنا التعرف على العناوين الصحيحة عند الرغبة في زيارتها ومعرفة مالكيها وأوقات عملهم.

3.6. المجال الزماني

بدأ الاشـتغال على موضـوع البحث بداية من التسـجيل الأول في الدكتوراه 2019/2018 وهي المرحلة الهامة والخطوة الأولى في عملية تفحص الميدان واقتناص المعارف وجمع الدراسـات السـابقة. والتي استغرقت منا ما يقارب السنتان من التقصي الببليوغرافي وجمع البيانات وتبويبها إلى حين النزول الفعلي للميدان الذي كان بعد جائحة كورونا أي 2021 غير أن هاذان الفترتان –قبل كورونا وبعدها– لا يمكن فصـلهما عن بعض بل هما متداخلاتنا وفرت لنا بحثا معمقا لموضـوع الدراسـة وحددت مسـار البحث إلى حين بدأ المقابلات الفعلية في الميدان الذي مَكَّنَنَا هو الآخر من رصـــد الممارســـات وجمع مادة **اثنوغرافية** مهمة ومعطيات تفصـــيلية ودقيقة تخص الموضـــوع ونعتبرها تراث فكري مهم. والتي قاربت الأربع سـنوات من الحضـور والمشـاركة الفعلية لمجتمع البحث إلى حين خط نتائجه. وبناء على ذلك فقد بُني البحث على ثلاث **مراحل:**

المرحلة الأول: المرحلة الاستطلاعية (دخول الميدان):

وتبين لنا لا حقا ان الكثير من الزبونات ينحدرن من عدة قرى أكثر منهن اللواتي يسكن في الولاية وعليه ابقيناهم ضن العينة مما سيضفي على البحث بعداً اخر في التحليل سنقف عليه لاحقا.

العمل الاستطلاعي مرتبط بالميدان وبالعمل البحثي في شكل سؤال مبدئي يعرف بسؤال **الانطلاق** الذي يحتاج لمعلومات تُبنى من خلال القراءة والمقابلات، فهي ليست بأداة جمع بيانات ولا اختبار فروض بل منفذ الباحث للتعرف على أبعاد ومحاور بحثه وتُجَنِبُهُ الوقوع في الأحكام المسبقة، حيث أجرينا 04 مقابلات مبدئية مع مبحوثتان **(حلاقات)** لنا معرفة بهن ولهن معرفة بمختلف فضاءات التجميل بالمدينة كممارسات لهن باع في الميدان، وأن هذا الاختيار يصبوا بالدرجة الأولى الى معرفة أهم الفضاءات في مدينة باتنة وأكثرها اقبالاً وسمعة بين النساء للوصول إليها دون عناء، والانطلاق مباشرة في العمل الحقلي بآلياته وتقنياته.

لقد تمت دراستنا الاستطلاعية تحديداً في سنة 2021، أي بعد سنتين من التسجيل في الدكتوراه (2019/2018) وان هذا التأخير لم يكن لنا فيه مبرر غير انشغال العالم بفيروس **كورونا** وهو ما أجَّل عملنا منذ البداية. غير أننا قُمنا ببعض المحاولات للتعرف على الفضاءات ومالكيها كمرحلة أولية اثناء الجائحة، غير أنه لم يكن للقرب فيها حضور، ونعتبرها المرحلة **الأولية** التي سبقت العمل **الميداني** حيث ذلَّلت أمامنا الكثير من الصعاب مع مالكي الفضاءات خاصة قاعات الرياضة المثقلة بمعايير وقيم يصعب اختراقها، ومقاومة للجهود البحثية في مجتمع يُقْبِل ويُدْبِر ويتوارى، الشيء الذي كنَّا نخشى أن يكون له أثر على إتمام البحث. وما نريد قوله إن انتمائنا لمجتمع البحث ومعرفتنا بمختلف الفضاءات، لا يُعَتِمُ نظرتنا للواقع وإلا ما قمنا بالبحث فيه كما لا يعني تخلينا عن الدراسة الاستطلاعية، لذلك أصرينا على استطلاع الميدان واعتبرناه ضرورة منهجية ومعرفية لتوجيه عملنا وجهته الحقيقية.

المرحلة الثانية: التواجد بالميدان (الأساسية):

النزول للميدان مرحلة حاسمة بالنسبة للباحث والبحث معاً وأصعب مرحلة في البحث الأنثروبولوجي، حيث أن نجاحها مرتبط بمدى قبولنا واندماجنا كباحثين في الميدان كما تتطلب أيضا الحذر والانتباه. حضور يتطلب ملاحظة أدق التفاصيل لحظة التواجد والمشاركة بفاعلية ودون ان يُطلب منا ذلك، وفي المقابل لا ننسى أن ندون كل ما نراه ويقع تحت أعيننا بشكل دوري ومنتظم، هكذا يَبنى الباحث الأنثروبولوجي وينُسج علاقاته الاجتماعية مع مبحوثيه ويبني بحثه من خلالهم. ومن خلال مشاركته لهم ومشاركتهم هم فيه. ليُصبح عمله معرفة علمية ذات دلالات ورموز ومعاني تحفظ

الحدث وتنقله بكل أمانة. لكن قبل ذلك لا بد أن يُلم الباحث بكافة الأطر المعرفية والمنهجية التي تُمكنه من انتاج بحثه استناداً على أدوات العمل الميداني.

لقد استغرق عملنا الحقلي فعليا قرابة أربع سنوات (من ماي 2021 الى جوان2025) من الحضور الفعلي والمتقطع في ميدان البحثوهذه المدة نظن أنها كافية لأننا حددنا إطارها المكاني قبل الزماني فلقد حصرنا عملنا داخل حدود مدينة باتنة محاولين الحصول على **بيبلوغرافيا** الفضاءات الحميمية التي يُصنع و يُقولب فيها الجسد الأنثوي والتي تمثلت في " **صالونات الحلاقة، مراكز العناية الجسدية، نوادي الرياضة**" و دون تخطيط مسبق وجدنا أنفسنا مجبرين على اقتحام **عيادات الطب التجميلي** التي باتت ملاذ النساء كحل علاجي وتجميلي في نفس الوقت تُنافس فضاءات صناعة الجسد الأخرى. والتي اقتضت منا هي الأخرى ما يقارب **السنتان02** من الزيارات المتقطعة للتعرف على أكثرها ملائمة واتساقاً مع موضوع بحثنا ليقع اختيارنا على عيادة **01**واحدة، بعد البحث والتمحيص اقصينا بعض العيادات بعدما تبين لنا أنها ليس في اختصاص الطب انما مالكتها هن خبيرات تَكَوَّنَ في التجميل على يد خبراء ومكونين (محليين ودوليين) كما وَجَّهَت البحث في الوصول لمختلف الدراسات السابقة التي تخدم موضوعنا. ونعتبرها وقودنا في ذلك والمُحرك الفعلي، كما وفرت لنا التكنولوجيا الكثير من الجهد والمال والوقت في الوصل إلى الكثير منها. ولقد حاولنا قدر الإمكان ونحن في الميدان أن نتنصل من ذاتيتنا ونتجرد من أحكامنا ونحقق مبدأ الحيادية.

المرحلة الثالثة: مغادرة الميدان

لا يتعلق البحث باختراق المكان وبالتفاعل وبناء العلاقات إنما يمتد إلى الانصراف المبنى على نوع العلاقات الاجتماعية التي نُسجت وتطورت خلال البحث، وذلك ما تحدث عنه **WAX** قائلا: **لقد خططت انا Murray للبقاء ستة أشهر في الميدان وستة أشهر أخرى لكتابة التقرير، لكن مع مرور الوقت بدأت أشعر بصلة وثيقة مع أصدقائي الهنود في هذه المجموعة وطلبت من Murray البقاء شهراً إضافياً معهم رغم أن درجة الحرار كانت دون 30° تحت الصفر إلا أنني لم أرغب في المغادرة.** الأمر الآخر عند المغادرة يتعلق بالأثر الذي تتركه في المشاركين نفسهم وأن ما قمت به لم يضيف لهم شيء ولم يُحقق لهم أي نفع.[1]

1 شاقا فرانكفورت: **مرجع سابق**، ص285.

إن الاندماج في مجتمع البحث والإقامة فيه أمر مهم وأساسي لإتمام البحث جعلنا نبني علاقات تدوم. لتتحول تلك اللقاءات والمقابلات إلى صداقات يصعب تجاهلها أو انهائها حتى بعد اتمامنا لهذا العمل. إلا أن مغادرة الميدان أصعب من دخوله حسب رئينا، فبعد أن ينتهي العمل الميداني يعود الباحث لمجتمعه تاركاً ورائه أصدقاء ألفهم وألفوه وتعودوا رؤيته. ذلك ما عشناه حقاً ويصعب علينا وصفه فالصداقات التي بنيناها طيلة سنوات البحث مع مالكي الفضاءات يصعب الانسحاب منها دفعة واحدة أو انكارها، إذ يصعب علينا وعلى مالكيها الانسحاب فجأة بلا رجعة. لكن هذه هي أخلاقية البحث وواجبنا بعد الانتهاء من العمل الذي عقدناه بيننا وبينهن من أول لقاء، على أننا دارسين نطمح لمساعدتهن لنا ونلتزم بالسرية في التعامل مع خصوصياتهن، ونعود لمجتمعنا بعد أن نكمل رحلة البحث. ورغم مغادرتنا الميدان إلا أننا نقوم بزيارات إلى بعض المراكز الخاصة بالعناية الجسدية لمقابلة الممارسات التي ربطتنا بهن علاقات صداقة، دون أن ننسى تلك العلاقات التي نسجناها مع بعض النساء **(زبونات)** ممن كن يترددن على هذه المراكز، وتوطدت علاقاتنا في الفضاء الافتراضي (فيسبوك، انستغرام). وأحيانا أخرى نتلقى بعض الدعوات في مناسباتهن الخاصة " **نجاحات، واحتفالات وأعياد**" فلقد أصبحن صديقات مقربات.

7.المقاربة النظرية للدراسة

يصعب حصر موضوع الجسد داخل حقل معرفي معين من حقول المعرفة العلمية، أو في وجهة نظر واحدة. فدراسة الجسد الأنثوي من منظور انثروبولوجي تستوجب الانتباه إلى تلك **التفاعلات بين الجسد والهوية الجندرية، والانساق السوسيوثقافية**، إنه يتجاوز كل ما هو محسوس ومجرد أو يجمع بينهما، باعتباره كينونة طبيعية مركبة حاز حضوراً عميقاً في المقاربات التي طالها الفكر الإنساني. حيث يتيح لنا تحليل التمثلات الاجتماعية، وفهم كيف تتشكل **العناية الجسدية والممارسات التجميلية، والهوية الأنثوية** عبر المؤسسات الثقافية والنظم الرمزية. وعليه فان عملنا استند على:

1.7 البنائية الوظيفية

انطلقنا من المقاربة الوظيفية لثراء فضاءات البحث بالممارسات التي تُشكل وعي الأنثى حول جسدها وتُؤدي وظائف متعددة ومتنوعة، ثرية ثراء التقنيات والممارسات النابعة من خصوصية الجسد وطبيعته الفضفاضة والقابلة للاستثمار حسب تمثلات المجتمع المدروس. وللإشارة فإننا لا نكتفي بهذا المدخل ولن نتفرد بهذه المقاربة، فدراستنا تقتضي بعض العناصر وتحتاج لبعض الطرق المنهجية

لمعالجتها وتفسيرها، وعليه فانه من الأجدر بنا قبل استخدام هذه المقاربة الوقوف على مرتكزاتها في الدراسات الانثروبولوجية لكل من **مالينوفيسكي B.Malinows وراد كليف براون R.C.Brawen .** لتفسير الظواهر الثقافية من خلال وظيفتها والكيفية التي تربط بعضها مع بعض في إطار النسق الثقافي والاجتماعي الواحد وكيفية ارتباط هذا النسق بالبيئة الطبيعية[1]

إن المقاربة **الوظيفية البنائية** لازمت بحثنا من أوله الى آخره، حيث ركزنا على مختلف العمليات والتقنيات التي تخص الجسد بكل آلياته، فكل حدث فيها وممارسة لحظة بناء نفسي اجتماعي وثقافي واقتصاد له وظيفته في المجتمع. وللفهم أكثر ركزنا على تحليل مفهوم التمثلات وفق منظورين أحدهما **بنائي** والأخر **وظيفي** للكثير من الفضاءات الاجتماعية الخاصة بصناعة الجسد كبناءات تستحق النظر والفهم والتفسير. فهي متشعبة ومتداخلة في أغلب الأحيان لها وظائف متعددة "**الجمال، الاغراء، المكانة المظهر، الراحة**" وتمنح الجسد العلامة والدمغة التي تبقيه "**مشتهى، مقبول**" وبالتالي فهي تؤدي وظيفة الاستمرار والديمومة من خلال تنوع تقنيات وآليات القولبة والتنميط التي أوجدتها الثقافة الحديثة في هذه الفضاءات لاستمرار سحر الأنوثة والجاذبية ونعتبرها طقوس عبور تخلق الاستقرار لكلاهما "**الجسد، الفضاءات**" وهذا ما يهمنا كأنثروبولوجيين ولن نُفلح إلا حينما نستخرج **التمثلات الفردية والجماعية** حول تقنيات صناعة الجسد بين الفرجة والمتعة.

7.2. التأويلية الرمزية

لقد اعتمدنا **على المدخل التأويلي** الرمزي "**التفسيري**" إرث الأنثروبولوجيا الاجتماعية. فلقد أضحى البحث في بعده الرّمزي مطلباً فرضته التّحوّلات التي عرفتها الدراسات الأنثروبولوجية، و يعد **كليفورد غيرتز(Clifford Geertz)** من القائمين على بلورة المقاربة التأويلية الرمزية من خلال دراسته الحقلية المعمقة التي ظهرت في دراسته " **اندونسيا، المغرب**" حيث قام بتحليل المعاني وتفكيك الرموز التي تنتجها الثقافة واعتبرها " **شبكة من المعاني**" تمنح للباحث مساحة لقراءة التفاعلات كما يُقرأ النص، ويفهم الرموز والمعاني والدلالات التي تحكم التفاعلات والممارسات الاجتماعية المشبعة بالمعاني والمُؤَطَّرَه ثقافياً. وبهذا يصبح الجسد الأنثوي مجالاً غنيًا بالرموز والمعاني التي يُقْرَء منها

[1] إكرام عدنني: **سوسيولوجيا السياسة عند ماكس فيبر**، منتدى المعارف، بيروت لبنان، ط1، 2013.، ص13.

باعتباره نصـــاً حاملاً للرموز وخزاناً للتمثلات الاجتماعية. وأنّ هذه الأخيرة تقوم على آليتين جوهريتين وهما:

أ- **الثقافة نصًا:** قراءة الثّقافة كنص تُمكِّن من فكّ أسرا الحركيّة الثّقافيّة والاجتماعيّة للمجتمع

ب- **الوصـــف المكثف:** جوهر المدخل التأويلي الرمزي التي يعتبرها **غيرتز** الدراســـة الاثنوغرافية. [1]

يصبح بذلك الجسد الأنثوي في مرآة **الاثنوغرافيا والوصف المكثف** أكثر من حقل تعبيري تتقاطع فيه الهوية والسلطة والخطاب والتمثلات. لا يُنظر له على أنه بنية بيولوجية فحسب، بل يوصف بأنه **نصًا ثقافيًا** لمعاني يُقرأ منها الاجتماعي والثقافي.

3.7. الممارسة لبيير بورديو"Pierre Bourdieu"

تعتبر الممارسة الاجتماعية موضوعاً أساسيا في أعمال **بورديو** السوسيولوجية، فلقد حاول الكشف عن طبيعة العلاقات وكيف تتولد الممارسات تحت تأثير هذه العلاقات، مطوراً عدة مفاهيم " **الهابيتوس، المجال، الممارسة، الرأسمال الرمزي الرأسمال الثقافي العنف الرمزي، إعادة الإنتاج**"[2] حيث تُتِيحُ لنا مقاربة **بورديو** فهماً عميقاً للممارسات الجمالية بوصفها نتاجًا لعلاقات معقدة بين البنية الاجتماعية والفعل والممارسة التجميلية الأنثوية.

4.7. النسوية

ترى النسويات "**اللبيراليات، الراديكيليات، مابعد الحداثة**" أن الجسد الأنثوي فضاء اجتماعي تترسَّخُ فيه القوى السوسيوثقافية والتوقعات الجندرية. فلقد أعادت النسويات صياغة مفاهيم الأنوثة واثبات حقوقها " **الصـــحة، الانجاب، العمل الجنس**" وفي امتلاك جســـدها عبر مختلف الآليات والاستراتيجيات وتحريرها من أشكال الهيمنة والسيطرة، كما ترى أن المجتمع لا يُراقب أجساد النساء فحسب وإنما يسعى للسيطرة عليها والتحكم فيها عبر ترسانة من القوانين والممنوعات تجعله تحت الرقابة المستمرة التي تُقيّده وتَحُدُّ من تُحرُّكاته في البيت وفي الفضاء العام، داخل أماكن العمل والدراسة وفي كل انخراط الاجتماعي. فهي تنظر إلى الجسد على أنه مساحة لإنتاج المعاني والجندر وبالتالي

[1] الاسود حافظ، **الانثروبولوجيا الرمزية، منشأة،** المعارف، الإسكندرية، 2002.ص ص 116، 118

[2] دناقة أحمد، **الممارسة الاجتماعية وكيفية تشكل الفعل والبناء مقارنة بين بوردية وغيدنز-قراءة تحليلية نقدية**- مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد03، العدد01، 2017 (بتصرف)

له حرية اختيار مظهره. متجاوزة كل أشكال السيطرة والسلطة، معتبرة إياه وعاء للمعاني والدلات التي تَتَشَكَّلُ داخل البناء الاجتماعي والثقافي، مما يساهم في تفسير كيفية انتاج المعاني والتمثلات ومقاومة الصور النمطية المفروضة التي تسعى لتمجيد الجسد والاحتفاء به وباختلافاته الجسدية، وأن ذلك يعكس قوة الفردية ويعزز حرية الامتلاك للجسد.

- **صعوبات البحث:** لقد شكلت **اللهجة** الشاوية التحدي الكبير بالنسبة لنا في الكثير من المرات أثناء سير هذا العمل حيث أن اللغة المحلية المعروفة **بالشاوية** عصيَّة علينا، نفهم القليل منها رغم انتمائنا لمجتمع البحث لكن لساننا عربي. وخوفاً من تَعَسُّرِ جمع البيانات وضياع المفردات اللازمة والمهمة لعملنا البحثي كانت الاستعانة بالتسجيل الصوتي مهمة وفعالة طيلة سنوات تواجدنا بالميدان، حيث اننا وبعد العودة الى المنزل نعكف على فهم التسجيلات مستعينين بالوالدين الكريمين حفظهما الله **(الأب، الأم)** اللذان لسانهما أمازيغي**(شاوي)** وخبيران بمعاني الكلمات والمفردات المنطوقة فكان لهما الفضل الكبير في الفهم والتحليل مما وفر علينا الجهد والوقت في فهم المقابلات التي تحيلنا الى تفسير الملاحظات المسجلة وبذلك نعتبهما مخبرين حقيقين في فك شفرات اللغة أساس فهم المجتمع. وفي الكثير من المرات كانت الاستعانة بالأفراد أنفسهم **(الأنثى)** في شرح ما تعذر علينا فهمه أثناء الحديث- **ماذا تقصدين**- أما **المخبرتان اللتان رافقتا البحث** فإننا نعتبرهما المسيرتان الحقيقيتان لهذا العمل من بدايته الى نهايته. وعليه فعدم فهمنا لما يقال في بعض المرات اثناء الحدث نعتبره من أهم نقاط الضعف التي طبعت عملنا، غير أنها لم تَحْرِمنَا السعي والبقاء على الاتصال بالمبحوثات **وبالميدان** وترتيب خطة العمل.

كما أن خصوصية العينة (الجسد الأنثوي) منعتنا من توثيق الكثير من مظاهر صناعة الجسد وتجميله التي ظهرت لنا في بداية العمل أنها يسيرة بحكم انتمائنا لنفس الجنس غير أن الأمر لم يكن سهلاً كما كنَّا نظنُّ في البداية، أقول لم يكن سهلاً لأنه حقيقة تعذَّر علينا في الكثير من المرات حضور جلسات العناية بالجسد ، وإن حضرنا فانَّه يستحيل التصوير لا لشيء إلَّا لأن الجسد حرمة وطابوا يتطلب الحيطة والحذر في التعامل معه فما بالك وأنت تنظر إليه وتوثق لحظاته الحميمية وتختلس النظر إليه، إنَّه طابو يستوجب ستره، بل والتعامل معه بحذر لخصوصيته الدينية والقيمية والاجتماعية، وذلك تبريرنا في الشُّح في استخدام الصور التي تخص بعض الممارسات في الكثير من المرات أو طمس بعض الملامح لما لها من خصوصية التي تمس أعضاء حساسة في الجسد، أو

لكوننا لم نستأذن من أصحابها. بينما الأصعب من ذلك أن يجد الباحث نفسه باحثاً ومبحوثاً في الآن ذاته وبكل المقاييس.



الفصل الأول



بناء الموضوع والمقاربة المنهجية للدراسة

تمهيد

في قلب كل مجتمع تنبض التمثلات الاجتماعية، تلك الصـــور الذهنية والرمزية التي تُشـــكل الطريقة التي يرى بها الأفراد أنفسهم ويراهم الآخرين وكل العالم من حولهم. لقد حظيت باهتمام الباحثين والدارسـين في مختلف العلوم النفسـية والاجتماعية والانثربولوجية وغيرها من العلوم لأهميتها في حياة الأفراد وقدرتها على التحكم في مواقفهم وتوجيه أفكارهم وسلوكياتهم اتجاه موضوع أو شيء أو شخص ما. وتعد البحوث الانثربولوجية مجالاً خصباً في تقصي تمثلات الأفراد والمجتمعات ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية وحتى النفسـية ليسـت كمجرد آراء فردية أو انطباعات عابرة بل كأنسـاق ثقافية تتكون ضـمن سـيرورة اجتماعية يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها " **توريثها**" وتعديلها باسـتمرار عبر مختلف الوسـائط الاجتماعية المتداخلة " **العائلة، المدرسـة، الدين، وسـائل التواصـل الاجتماعية، فضـاءات صـــناعة الجســـد...الخ**" كونها حلقة وصـــل بين كل ما هو فردي وجماعي، تُقرء من خلالها القيم والمعتقدات وتُترجم المواقف والمفاهيم المشتركة كنسق معرفي وثقافي يُتيح للأفراد والجماعات التصرف في إطارها بهدف تنظيم وتفسير الواقع وتوجيهه. وذلك ما سنقف عليه من خلال هذا الفصل محاولين الوقوف على صيرورتها التاريخية ومضامينها الاجتماعية ومحتواها في مجتمع الدراسة.

أولا: البنية المفاهيمية للتمثلات الاجتماعية

مفهوم التمثل من المفاهيم المعقدة في تعريفها وفي تحديد مدلولها وبنيتها وقد يرجع هذا إلى تنوع اختلاف المقاربات المهتمة به أو إلى تعدد التخصصات العلمية التي تناولته واهتمت بدراسته. فهو يتقاطع مع ميادين معرفية متباينة مثل علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والفلسفة والأنثروبولوجيا مما أدى إلى إنتاج تعريفات متعددة تعكس الخلفيات النظرية لكل حقل للدلالة على ما نتصوره أو على ما يكون عليه المحتوى المحسوس لفعل التفكير. ويستعمل خصوصاً لاسترجاع أو استحضار إدراك سابق.[1] فالتمثلات نوع خاص من المعرفة وخصوصية الجماعات الاجتماعية. هي ما يشبههم ويُطابق معلوماتهم وآرائهم ومعتقداتهم التي نسجوها حول ذلك الشيء وتعارفوا عليها وتوارثوها، تزودهم بكل المفاهيم الجاهزة للفهم ونسج العلاقات الاجتماعية.

1. مفهوم التمثلات

1.1. التمثلات لغة

ترد صيغة الفعل " **تَمَثَّلَ**" على وزن " **تَفَعَّلَ**" الذي مصدره " **تَمَثُّلْ**" وجمعه "**تَمَثُّلَات**" فهو ثُلاثي مزيد بحرفين ومن دلالات هذا الوزن المطاوعة والتكلف، ويأتي معنى التكلف للدلالة على أن الفاعل يعني حدث الفعل، ليحصل عليه بمعاناة ورغبة.[2]

- **في لسان العرب:** التمثُّل من مَثَّلَ، يُمَثِّلُ، مُثُولاً ومثَّل التماثيل أي صورها، ومَثَّل الشيء بالشيء أي شَبهه به [3] ومثَّل له الشيء صوَّره حتى كأنه ينظر اليه، وتكاد التعاريف اللغوية تلتقي حول مفهوم التمثل على استحضار الشيء الغائب.
- **في القرآن الكريم:** لقد ورد مفهوم التمثل في قول الله سبحانه وتعالى ﴿**فأرسلنا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ (سورة مريم الآية17) أي تمثل لها على صورة انسان تام كامل.

---

[1] جان لابلاش وجانبر ترندبو نتاليس: **معجم مصطلحات التحليل النفسي**، تر: مصطفة حجازي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2011، ص20

[2] منى فياض، **مرجع سابق**، ص89.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، دار صاد، بيروت، لبنان ،2000، ص436.

2.1. التمثلات اصطلاحا

التمثلات من المصـطلحات التقليدية في علم النفس والفلسـفة وعلم النفس الاجتماعي تسـتعمل للدلالة على ما نتصوره ونَتَمَثَّلُه، وتُشكل المحتوى المحسوس لفعل التفكير خاصة.

فالتمثل اصـطلاحا هو **الصورة أو البنية الذهنية** التي يبنيها الأفراد أو الجماعات حول موضـوع معيّن، سواء كان ماديًا (كالجسد) أو معنويًا (كالهوية أو الجمال) وأن هذه الصورة ليست مجرد انعكاس للواقع بل هي **نِتاج تفاعل بين الخِبرة الشخصية، والسِيَّاق الاجتماعي، والرُّموز الثقافية**. حيث تتوسط بين الواقع والتجربة فتُحَوِل الأحداث أو الظواهر إلى معانٍ مُنظمة يسهُل تداولها اجتماعيًا وتتشكل على شـكل قيم ومعايير للسـلوك، تُنَظَّمُ ضِـمنها المواقف والسـلوكات بحيث تمثل صـورة ماضـي الجماعة وتعكس صورتها عنهم. [1]

2.التمثلات في حقل العلوم الاجتماعية

يُشَـــكِّلُ مفهوم التمثلات أحد الركائز النظرية الهامة في العلوم الاجتماعية وفي فهم كيفية بناء المعاني وتداولها داخل المجتمعات خاصة فيما يتعلق بالموضوعات ذات البعد الرمزي والحمولة الثقافية مثل الجسـد الأنثوي والعناية الجسـدية ومعايير الجمال. وأن تَتَبُعْ المسـار التاريخي والفكري لتطور هذا المفهوم يتيح لنا إدراك آليات إنتاج وتحوُّل التصـورات الاجتماعية حول الجسـد، وكيف تتشـابك هذه التصـورات مع الأدوار الجندرية وسياقات التجميل المعاصـرة... التي تُبَلْوَّرُ بشكلٍ رمزي ومعنوي مُوجه وتشكل البنية الأساسية للوعي الفردي والجماعي. وعليه فالتمثلات الاجتماعية تعني ذلك التدفق الدائم من الصور التي لا تبقى عل حالها وتتغير بتغير الحياة الاجتماعية ونتمكن من خلالها على التواصل[2]

1.2. التمثلات في علم الاجتماع

تعود الجذور الأولى لمفهوم "التمثلات" في الفكر الاجتماعي إلى المرحلة التأســـيســـية لعلم الاجتماع في القرن التاســـع عشـــر. ويعتبر **إميل دوركهايم** من المنظرين الأوائل الذين تناولوا هذا المفهوم بدراسة ما أسماه "**التمثلات الجمعية**" (**Représentations collectives**) باعتبارها شكلاً من اشكال التفكير ونسـقًا من الأفكار والمعتقدات المشـتركة التي تَفْرِض نفسـها على الأفراد، وتوجه إدراكهم للعالم

[1] مريم نريمان نومار، **مرجع سابق**، ص 26.

[2] مصطفى، عبد الله" **تمثلات الجسد والجندر في المجتمع العربي**". مجلة العلوم الاجتماعية العدد 45، 2017، ص 135.

وتحفظ تماســـك المجتمع واســـتمراريته.[1] ولقد اعتبر **دوركايم** التمثلات الاجتماعية واحدة من الحقائق الاجتماعية والمعتقدات التي يعنى بها علم الاجتماع،" **الأفكار القيم، الرموز، والتوقعات**" التي تشـــكل طرق التفكير والشـــعور و تتســـم بالعمومية والديمومة ضـــمن مجتمع أو مجموعة اجتماعية ما، والتي يتشاركها أفراد المجتمع باعتبارها خاصيتهم الجماعية.[2] وقد بين **ليفي ستروس** أن التمثلات تعبر عن تصورات ذهنية اجتماعية تشكل الإطار الذي يتم من خلاله تفسير الواقع وتنظيمه، بدلاً من أن تكون انعكاساً مباشراً للتجربة الفردية[3].

2.2. التمثلات في علم النفس الاجتماعي

التمثلات أنظمة معرفية مُشـتركة تسـمح للأفراد بفهم بيئتهم والتواصـل فيما بينهم كونها تتوسـط العديد من المفاهيم النفسـية والاجتماعية، وبذلك فهي تُسـهم في تنظيم الواقع وتفسـيره، كما تعمل على توجيه السلوك والمواقف باعتبارها تعبير عن "**الذهنية الجماعية**" التي تحملها فئة أو جماعة معينة في لحظة تاريخية وســـياق ثقافي محدد. وبالتالي فان **التمثلات** تعتبر أحد الأدوات التحليلية المركزية لفهم المعاني التي تمنحها المجتمعات للظواهر الاجتماعية باعتبارها بناءات رمزية وثقافية تتشـــكل عبر الخطاب الاجتماعي والتفاعل اليومي بما يتماشى مع القيم والمعايير الجماعية.

حسـب **فيرجي P.Verges** التمثل سِـجل ثقافي تفسـيري تتشـكل من خلاله الممارسـات اليومية المشتركة بين أفراد الجماعة الاجتماعية، بعيداً عن الخصوصيات الفردية.[4]

3.2. التمثلات في الانثروبولوجيا

التمثلات في **الأنثروبولوجيا** وخصـــوصًـــا في مقاربة الأنثروبولوجيا **الرمزية** تُفهم كآلية لإنتاج المعنى وتثبيت الرموز داخل نسق ثقافي محدد. حيث ترتبط بكيفية بناء المعاني حول **الجسد، الصحة الجندر** باعتبارها تعبيرات عن البنى الثقافية السائدة، وأداة لترسيخ أو مقاومة التصورات الجندرية.

---

[1] عبد الغني مغربي، ***التمثلات الاجتماعية: المفهوم والنظرية والمنهج***، دار الأمان الرباط، 2018، ص 17

[2] سكوت جون، **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص32.

[3] احمد جلول، مومن بكوش الجموعي، **التصورات الاجتماعية مدخل نظري**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة محمد لخضر الوادي، الجزائر، العدد6, أفريل 2014 ص169.

[4] P.Verges **Représentation socileS.de l'économie** : une forme de connaissance dans Denise Jodelet les RS. Paris 1999.p407.

لقد وَظَّف الباحثون الأنثروبولوجيون مفهوم التمثلات في فهم الأبنية والأنساق الاجتماعية والمعاني الثقافية التي تُمنح للممارسات والطقوس داخل المجتمعات. كما تُستخدم لتأكيد الحدود الأخلاقية والثقافية. ويعتبر طرح كل من كلود **ليفي–ستروس Claude Lévi-Strauss وماري دوغلاس Mary Douglas من** المداخل الهامة والأساسية في ربط التمثلات بفهم البُنى الرمزية والمعاني الثقافية التي تُمنح للأشياء والطقوس داخل المجتمعات معتبران إياها " **التمثلات**" أنها تعمل ضمن نسق من الثنائيات" **الطبيعة–الثقافة**" "**الخام–المطبوخ**" التي تُنظم إدراك الإنسان للعالم وتُوجّه ممارساته الرمزية[1].

وعليه فان التمثلات التي تُنسج حول الجسد الأنثوي كثيرة ورمزية يمكن رصدها في خطاب وممارسات التجميل من:" **الطبيعي–المصطنع**"، "**الشباب– الشيخوخة**"، "**الجمال–القبح**" "**الطهارة–النجاسة**" "**المقبول– غير المقبول**" وهي ليست مجرد تصنيفات جمالية إنما رموز ثقافية تكشف عن نظام قيمي عميق يرتبط بالهوية الجندرية ومعايير القبول الاجتماعي يعاد فيها إنتاج **تمثلات الجسد الأنثوي**. و**توجيه** إدراك النساء لأنفسهن، وتؤطر ممارسات العناية الجسدية. وذلك ما وقفنا عليه في العديد من المقابلات في مراكز التجميل وفضاءات العناية الجسدية التي شملها عملنا **(المقابلة رقم1)**

" الوَحْدَة كِي تْرُوحْ لَلْحَفَّافَة وَلَّا مَرْكَزْ تَجْمِيلْ لَازَمْ مَتْفَنَعْشْ فِي رُوحْهَا

سَاعَاتْ تْشُوفِي نْسَاء يَالَطِيفْ لَمُلْطَفْ مُبَدْلَاتْ تْقُولْ عْرَايَسْ قَرَقُوزْ "

كما أكدت لنا إحدى المبحوثات ممن قابلنهن في احدى مراكز التجميل **(المقابلة رقم02)**

" مَابْقَاتْ حَتّى وَحْدَه في وَقْتْنَا مَتَعْدَلْشْ رُوحْهَا حَتّانْ وَلّينَا

مَانْفَرْقُوا لاَ بِينْ الصْغِيرَة وْلاَ الكْبِيرَة كَامَلْ وَلَّاوْ يْشَبْهُوا لْبَعْضَاهُمْ "

ما توصلنا إليه من خلال المقابلات والملاحظات في تلك اللقاءات انه تُبنى العديد من التمثلات في هذه الفضاءات حول مفهوم الجسد الأنثوي ليس باعتباره مجرد موضوع للتزيين فحسب، بل حقلًا للتفاوض الرمزي حول القيم والمعايير التي تتداخل فيها **التمثلات** الفردية مع الأنساق الجمعية بوصفها أداة لفكّ **شيفرة** الرموز الثقافية واستكشاف علاقتها بالسياق الاجتماعي. بما يعكس تداخل البعد الرمزي مع البنية الاجتماعية في تشكيل الهوية الجندرية. فالجسد في الفكر الانثروبولوجي والسوسيولوجي أكبر من كونه كيان مادي ومعطى بيولوجي إنما هو كيان وبناء رمزي تنتجه الجماعة، وتبمي تمثلات لها

[1] كلود ليفي–ستروس، **الأنثروبولوجيا البنيوية**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، دار الجنوب للنشر، تونس، 1991، ص 45

علاقة وثيقة بالقيم والمعايير والرموز الاجتماعية والثقافية للجماعة التي تُنظم وتُوجه العلاقة بين الذات والآخر كأداة مركزية في انتاج المعاني المرتبطة بالجسد " **القبول، الرفض، الاندماج، الاقصاء...**" وشكل من أشكال المعرفة المشتركة للجماعة **حسب دنيس جودلي Denis jodelet**[1] التي تتصف بالمرونة لها دلالات رمزية.

3.أهمية وخصائص التمثلات

التمثلات لها طابع اجتماعي، إذ تعتبر الوعاء الحاوي للأفكار والمعتقدات التي تعطي معنى للموجودات، فهي بمثابة **نواميس وقوانين** تسري على كل المجتمعات ومستبطنة في اللاوعي الجمعي تحمل من القداسة ما يجعل الأفراد والجماعة يمتثلون وينقادون لها، يُقدسونها ويُؤمنون بها وبذلك فالخروج عنها خروج عن الجماعة، يجعل الفرد موصوم وموشوم، مُعلَّمٌ يطوله النبذ والاقصاء والعزلة لما لها من علاقة بكل مناحي الحياة "**الزواج، الانجاب، العمل، الموت، اللعب...الخ**" في حالة الصحة والمرض. انها مقدسة موثوق بها.

يبني الجسد الأنثوي قيمه وينسجم معها من خلال التمثلات التي تتحكم فيه وتشكله لينسج مع القيم الجمالية والاجتماعية التي يرسمها المجتمع حول الجسد الأنثوي. حيث تختلف تمثلات الجمال ومعايره في علاقتها بكل مكون من مكونات هذا المعطى الإنساني المُشكل اجتماعياً وثقافياً فلم يترك مجتمع البحث عضواً أو مكوناً من مكوناته إلا وحددوا مسار قبوله أو رفضه "**الانف، العين، الشفاه الصدر...الخ**" أو من حيث المعاير الجسدية "**الطول، السمنة، النحافة...الخ**" التي باتت ذات بعد كوني عالمي وأصبحت الصور متشابهة تتلاشى معها الخصوصيات الثقافية، تتحكم فيها ثقافات وافدة متعددة تُمارس سلطته وتدجن الجسد، حيث حولت الجسد الأنثوي الى **دمية** متحركة بفعل التشكيل الدائم لها تُعدل وتُركب بيد الفاعلين الذين يجيدون تشكيلها ، و/أو التسويق لنماذجهم الجمالية، وكأن الأجساد سلعة "**بضاعة**" تباع وتشترى.

ترتبط التمثلات ارتباطاً وثيقاً بالموضوع والشخص بينهما علاقة تفاعلية تُضْفِي على الفرد طابعها الخاص وفق ثقافته لتصبح حقيقة خاصة به. ولقد حدد **جودلي D. Jodele** مجموعة من

[1] شهيناز بن ملوكة، **التمثلات الاجتماعية من الأبعاد النظرية إل نظرية النواة المركزية، مجلة الحوار الثقاف**، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، العدد 2، المجلد 2، الجزائر، 2012، ص 1.

الخصـــائص التي تميز التمثلات، واعتبرها انها ذات وجْهان أحدهما رمزي والآخر دلالي لا يمكن الفصل بينهم:

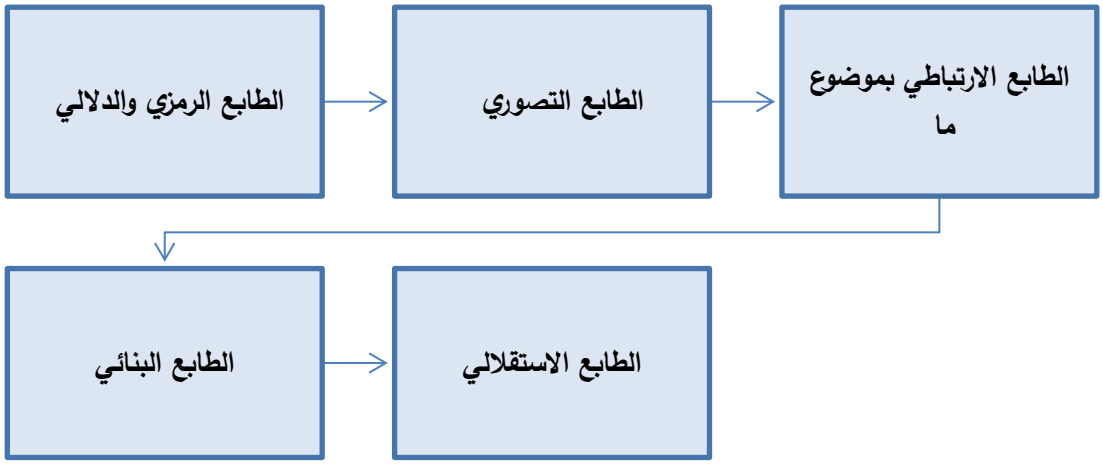
- **الدلالة والرمزية:** في بناء التمثلات يســتخدم الفرد صــوراً واشــارات، و/أو رموز لتفســير المواضــيع واعطائها معنى، بحيث يُســهِّل عملية الاتصــال بين الأفراد والجماعة والتحكم في التفاعل.
- **الدلالة الصـورية:** التمثلات بوابة فهمنا للعالم، تحول الآراء والأفكار والمفاهيم وتصـبح قابلة للتبادل، ليست مجرد إعادة الواقع إنما استخدام الخيال الاجتماعي والفردي في إعادة البناء.

تتميز التمثلات وفق هذا المنطلق بخاصـيتها **البنائية** التي تظهر في ترابط الموضـوع الخارجي بباقي المواضـيع، بحيث يُحذف ويُوظف وفقاً للخصـائص الذهنية. وبالتالي فهي مُستقلة تتميز بالإبداع تؤثر على سلوكياتهم وهذا ما يسهم في تكوين سيرورة السلوكيات.[1] وبالتالي فإن التمثلات ليست إدراكاً للواقع كما هو فحسب، إنما هي أيضا إعادة بناء لهذا الواقع وفقاً لقوالب ذهنية تُحدد معالمها المعتقدات الاجتماعية التي تتسم بالدينامية حسبما يقتضـيه تطور السياق الاجتماعي مما يجعلها مقبولة دون أي عناء نفســي. وبالتالي فإنها تعيد انتاج المفاهيم الذهنية من خلال **التكيف والتلاؤم** مع الأنماط الثقافية الســائدة رغم ما يحيط بها من تناقض.[2] فحســب **موســكوفيســيMoscovici** التمثلات الاجتماعية كشـكل من أشـكال المعرفة الاجتماعية تعني طريقة فهم الفاعلون الاجتماعيون مظاهر الحياة المادية، وهي بمثابة جسر بين ما هو فردي وما هو اجتماعي. حدد لها خمس خصائص كما تتضح في الشكل التالي:

[1] شهيناز بن ملوكة، **مرجع سابق**، ص20.

[2] عبد الحميد بودبار وليلى العرباوي، **التمثلات الاجتماعية وقيمتها في الحقل المعرفي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، المجلد 11، العدد 22، 2023، ص65.

الشكل رقم 3: خصائص التمثلات حسب موسكوفيسي



نستنتج مما سبق أن التمثلات تنظيم مشكل من قبل الفاعلين الاجتماعيين يتضمن:

- تنظيم أو بنية معرفية ضمنية.
- نمط تفسيري يبنيه الفرد وهو قابل للتطور.
- مصدرها إما فرديا أو جماعيا.
- تتميز بالحركية والدينامية فهي قابلة للتطور.
- نموذج تفسيري فردي يتأثر بتمثلات الاخرين.

4.أبعاد وسيرورة التمثلات الاجتماعية

1.4. أبعاد التمثلات الاجتماعية

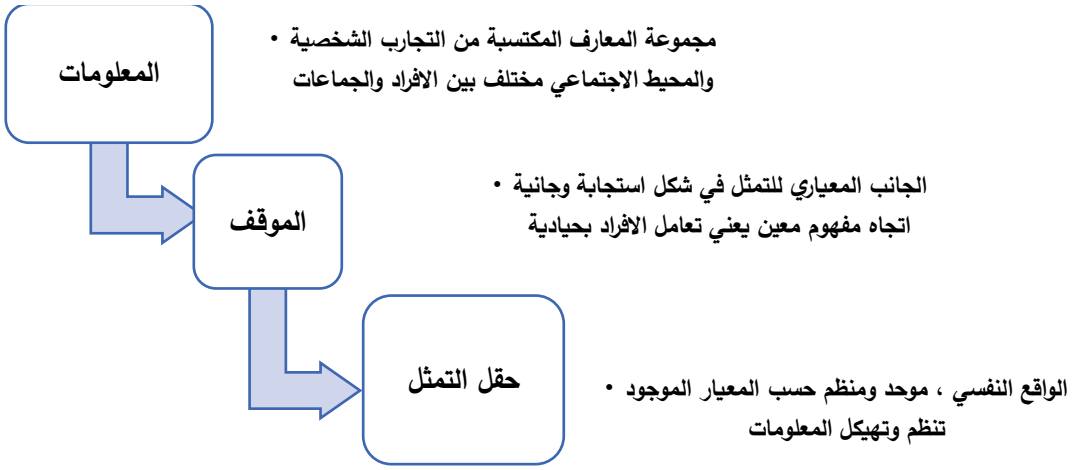
التمثلات مفهوم متعدد الأبعاد، تختلف اتجاهاتها باختلاف التوجهات الفكرية ووفقا لـــــ**موســكوفيتشــي Moscovici** ، الذي صــاغ هذا المفهوم محددًا إياه كشــكل من أشــكال المعرفة الاجتماعية التي تهدف إلى جعل الغريب مألوفًا، وتنظيم التواصـــل بين الأفراد وفهم العالم الاجتماعي عبر ثلاث أبعاد «**المعلومة الموقف، حقل التمثل**". ومن خلال أنماط إدراك جماعية متداولة.[1] وعليه فان تنظيم المحتوى خاضـع لعملية انتقاء **و/أو** اختيار أي جانب من جوانب الموضـوع واغفال الجوانب

[1] موسكوفيتشي، **التمثلات الاجتماعية: بحوث في علم النفس الاجتماعي**، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 2007، ص22

الأخرى. وتصـــبح بذلك حقلاً رمزياً ودلالياً على التمثلات التي توجه الســـلوك وتُهيكل المعلومة كما يوضحه الشكل التالي:

تنطبق هذه الأبعاد الثلاثة "**المعلومة، الموقف، حقل التمثل**" في موضـوع اشـتغالنا على الجسـد الأنثوي من خلال المعلومات التي تكتســـبها الأنثى من محيطها عبر مختلف الوســـائط الاجتماعية وتتبناها كمفهوم لأنماط الســـلوك والممارســـات الجســـدية وتبني من خلالها معايير " **القبول والرفض**" المتعلقة بمفهوم الجسـد والعناية الجسـدية عبر المواقف التي تتعرض لها خاصـة المواقف التجميلية في فضاءات صناعة الجسد الأربعة التي اخترناها مساحتنا ومختبرنا الحقلي الذي ينبني عليه الفهم. حيث تصـبح فضـاءات هامة لِتَبَنّى مواقف جديدة إما **تَحِيدُ** عما تم اكتسـابه أو **تتماهى** مع الجديد منها عبر السيرورات النفسية لتذوب في **تمثلات** الجماعة حول مفهوم الجمال والجسد كما يبينه الشكل التالي:

الشكل رقم 4: أبعاد التمثلات



2.4. سيرورة التمثلات الاجتماعية

تُعتبر التمثلات الاجتماعية نتاجًا ديناميكيًا لعمليات معرفية ورمزية تتفاعل ضـــمن ســـياق اجتماعي وثقافي خاضـع للخصـوصـية. فهي لا تظهر بصـورة عفوية أو فجائية، بل تتشكّل عبر آليات ذهنية واجتماعية تُســـهم في إنتاج المعنى، تُثَبِّتُ القيم وتُنظم الواقع من خلال آليات تســـهم في بناء سيرورتها واستمرارها.

تشـــير **ســـيرورة التمثلات** الاجتماعية "**عمليات تكوين التمثلات الاجتماعية**" إلى الكيفية التي تتشـكل بها هذه التمثلات وتتطور وتنتقل بين الأفراد والجماعات لتصـبح جزءًا من المعرفة المشـتركة التي تؤطر الممارسـات اليومية وتحدد أنماط السـلوك. وفي سـياق الجسـد الأنثوي تُسـاعد دراسـة هذه السيرورات على فهم كيف تتحول المعايير الجمالية ــ سواء كانت " **تقليدية أو حديثة'** ــ إلى تصورات جماعية تُنظم الممارســـات الجمالية في فضـــاءات مثل صـــالونات الحلاقة ومراكز التجميل ونوادي الرياضـة، وحتى عيادات الطبي التجميلي، وذلك يؤكد و يوافق ما ذهب اليه **موسكوفيتشي** في تحليله للتمثلات **Représentations** التي حسبها أنها ليست فقط جمعية"**collectives**" تتكون عبر الأجيال وغير قابلة للتغير بل وأيضـــا اجتماعية"**sociales**" قابلة للمراجعة والتجديد، كما انها قابلة لإعادة البناء من طرف المجموعات التي تكون المجتمع الواحد [1] **لِتُنْتِجَ** بذلك معارف الحس العام "**savoir de sens commun**" أو التفكير الاجتماعي تبعاً لسيرورتين أساسيتين:

أ- **التوضيع:** وهي عملية تحويل المفاهيم المجرّدة إلى صور محسوسة قابلة للتداول الاجتماعي التي تُبنى على الانتقاء والتخلي على المعلومات، بحيث تسـمح العناصـر المنتقاة من تكوين مخطط شـكلي يعطي للأشـياء المجردة بعداً ملموسـاً ويُصـبح حقيقة مُوجهة لإدراكاتنا وأحكامنا وفق ثلاث مراحل:[2]

1. **البناء الانتقائي:** مُرتبط باختيار معلومات وتخلي عن أخرى تبعا لأهميتها.
2. **التخطيط البنيوي:** يعني تكوين مخطط من العمليات المنتقاة وتحويل المجرد إلى ملموس.
3. **التطبيع:** مرتبط بانتشار المخطط الشكلي المنتقى ويصبح طبيعي وحقيقة موجه لأحكامنا وادراكاتنا.

ب- **الترسيخ:** هو ربط الظواهر الجديدة بنظم المعنى المنتشرة في المجتمع، لتسهيل استيعابها ثقافيًا بما يسمح بفرز المعلومات المهمة في بناء التمثلات وفق ثلاث أشكال:

1. **الشـكل الأول:** يعتمد على إدماج المعلومات والقيم التي تسـاعد الفرد والجماعة على تفسـير علاقته بمحيطه وربطها بمعارف معيارية وتوقعات الاخر.

[1] السويسي كوثر: **التمثلات الاجتماعية: مقاربة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية**، المجلة العربية لعلم النفس، المجلد1، العدد1، 2016، ص49.

[2] سمية حاج الشيخ، **التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدة الأطباء**، ماجستير علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2012 ص50،47

2. **الشـــكل الثاني:** يهتم ببناء التمثلات من خلال الطريقة التي يتمثل بها الافراد الوضـــعيات والفئات العمرية.

3. **الشكل الثالث:** يهتم تحليل العلاقة بين التمثلات والانتماءات الاجتماعية المكانة التي يحظى بها الفرد.[1]

وعليه فان هذه التمثلات الاجتماعية لا تنشأ إلاّ حين يواجه الأفراد أو الجماعات موضوعًا جديدًا أو معرفة علمية أو ظاهرة اجتماعية جديدة، فيســـعون إلى إدماجها في منظومتهم المعرفية والذوبان معها. عن طريق التثبيت لتأخذ طابع ومعايير قيم الجماعة. وفي حالة الجســـد الأنثوي فان موضـــة التجميل اقتحمت تمثلات المجتمع حول الأنثى وعملت على إعادة إنتاج تمثلاتها وقولبة جســـدها وفق معايير جديدة وليدة التقنيات والممارسـات الحديثة، التي تمس **الوجه** حيث بينت لنا إحدى النسـاء ممن قابلنا على أهمية التجميل خاصة التقنيات الجديدة قائلة **(المقابلة رقم 03)**

مستحيل تستغناي اليوم على الفيلر، البوتوكس،

أو الميكروبلادينغ والتقشير الكربوني، الليزر..."

وغيرها من الممارســـات التي تســـتخدم أحدث التقنيات في حين بينت لنا اخريات عن أهمية الاعتناء بجسـدها قائلة **(مقابلة رقم04)** لازم تهتم **بالجسـم "شـد البطن تكبير الاثداء والمؤخرة، شـد الفخذين..."** وغيرها من الاعتناء بتفاصـيل الجسـد ومكوناتها عضـواً بعضـو التي تُقبل عليها الأنثى **"بتردد" كما تبين لنا من خلال المقابلات التي جمعتنا بمالكات الفضاءات سواء الحلاَّقات أو خبيرات التجميل،** حيث أن الانخراط في الممارسـات التجميلية الحديثة العهد بها تعرف حذراً وتوجسـاً كبيرين، إما لجهلها بفعاليتها أو لتخوفها من نظرة المجتمع لها. لذلك فهي تسعى إلى فهمها وإعادة صياغتها بما يتماشى مع تصوراتها المسبقة عن الجمال والأنوثة. وبما يتلائم وقيم ومعتقدات وتمثلات المجتمع الذي تنتمي اليه. وعليه فان التقنيات الحديثة تلعب دور المحرك لإعادة تشـكل **التمثلات** حول مفهوم الجسـد والأنوثة حسبما صرحت به العديد من المبحوثات **(المقابلة رقم05):**

" انْتَشْرَتْ فِي بَاثْنَة كِيمَا كَامَلْ دْزَايَرْ عَمَلِيَّات اتَّجْمِيلْ بَزَّافْ خَاصَه الْفِيلَرْ فْي لُوجَهْ وَالْشْوَارَابْ (الشفاه) النْسَاء أُكُلْ لْيُومْ نَافَخِينْ ارْوَلحْهُمْ وَقَّامْهُمْ صَحْ هَذَا الشِي عَاجَبْنِي مِي يْخَوَّفْ، مَهْمَا حَاوْلُوُ ايْقَنْعُونِي بَلّي يْوَاتِينِي ومَافِيهَشْ أَضْرَار

[1] مليكة قويدري، **تمثل صورة الآخر في العلاقة العلاجية**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2،2024، ص18.

والله أنا الصَّحْ مَدْخَلْشَ هَذَا التْبُودِيغْ لْزَاسِي ومَنَقْدَرشْ نْرِيسْكِي بْرُوحِي وبْسُمْعْتِي "

إن سـيرورات **التوضـيع، الترسـيخ** مرحلتين هامتين لفهم دور التقنيات في بناء مفهوم تمثلات الأنثى حول جسدها. فمن خلال **التوضيع** تتحول التقنية إلى صورة ملموسة أو "**أيقونة**" مرتبطة بفكرة محددة للجمال، فمثلا تعتبر تقنيتي " **البوتوكس Botox والفيلر Filer**" من أحدث التقنيات في عالم التجميل التي عرفها مختبرنا البحثي، تعرف رواجا واقبالاً كبير عليها في مختلف الفضاءات التجميلية، والتي تُعرف في المجتمع المدروس (باتنة) على أنها مواد **كيميائة** مضـرة للجسـم. في التقينا بمن يستخدمنها ويُقبلن عيها ويرون أنها تقنيات آمنة تستخدم لإزالة التجاعيد واستعادة الشباب والمظهر الجميل، وبالتالي فإن تمثلات الأنثى لهذه التقنيات المانحة للجمال تترنح بين القبول والرفض **(المقابلة رقم06)**.

" مَايَدُّوكْ مَايْجِيبُوكْ أَنَا دَايْرَا فِيلَرْ وبُوتُكْسْ وْحَاجَة مَا صْرَاتْلِي ونْقُلَّكْ حَاجَة مَا كَانْ حَتَى خُطُورَة فِيهُمْ أَسَاسًا المُخْتَصَة قَارْيَا عْلِيهُمْ وْزِيدْ دْيِرْهُمْ قُدَّامَكْ وفِي كَامَلْ النّظَافَة "

أما الترسيخ: فهو ينطوي على عدة معاني تذوب في المفاهيم الطبيعية عبر مختلف السلوكيات والممارسـات التي تظهر من خلال الممارسـات التجميلية التي تقبل عليها الأنثى خاصـة ما تعلق **بالوجه** الذي توليه اهتماما عن باقي الجسد، وتعتبر أن كل ما تقوم به طبيعي ويحدث في إطار ثقافي مألوف ففي مجتمع البحث ومن خلال معايشتنا للنساء في فضاءات صناعة الجسد اتضح لنا جلياً أن العديد من المُمَارَسَـاتْ التجميلية الحديثة قد يُسـوّق لها على أنها مُعتادة تشـبه المتعارف عليه قديماً، لكننا نتحدث عن آليات جديدة ومنها تقنية "**الميكروبلادينغ** " التي تلاقي إقبالاً كبيراً أكثر من أي تقنية ، موجودة في معظم الفضاءات التي زرناها، تُستخدم لتقويم الحاجبين ورسمهما ليكونا أكثر انسجام مع شـكل العينين والوجه ، تُقبل عليها الانثى دون إعطاء اعتبار للسـن لتحافظ على مظهرها، وترى أنها تحاكي فعل نتف الحاجبين **(تلقاط)** تماماً كما كانت تفعل أمهاتنا وجداتنا ، وتشـبه رسـم **الحاجب** بالكحل. غير أنهن جميعا يشـترطن على الممارسـة ثبل البدأ في رسـم الحاجب وتحديده الإبقاء على الانسـجام الطبيعي، شـرط أن تبقى رسـمة الحاجب طبيعية أو أقرب إلى الطبيعي وألا تتغير **الخِلْقَةُ** وتحافظ على ملامح الوجه الذي يتماشـى مع مفهوم المجتمع للأنوثة. وعليه فإن هذه التقنية الجديدة "**الميكروبلادينغ**" وغيرها من التقنيات التي غزت ميدان التجميل تُقبل عليها أنثى دراستنا، وتفسر كعملية

إعادة انتاج لمفهوم الجمال المدمج في النظام الرمزي لمفهوم الأنوثة في المجتمع حسب مفهوم المبحوثات(**المقابلة رقم07**):

" مَنْ بَكْرِي والمَرأه تْلَقَّطْ وَتَرْسُمْ حْوَاجَبْهَا بَالْكُحْلَ وذُرْكْ تْبَدَلَتْ

الحَالَة وَلاَّتْلْحَقَّافَه دّير التَاتُوَاجْ المَعْرُوفْ بِاسْمْالمِيكْرُوبْلَايْدِينْغْ

بَاهْ يَبْقَا مُدَة طْوِيلَةيايْوَفَرْ الوَقْتَوهَذَا تَغْيِيرْ فِي خَلْقْ الله وَاشْ نْقُلَّكْ

رَبِي يَهْدِيهَمْ الحَقَّافَاتْ وَالنْسَاء اَلّي يْدِيرُوا الشّيء هَذَا "

من منظور أنثروبولوجي فإن استخدام هذه التقنيات الحديثة التي تعنى بالجمال الأنثوي عملية تأهيل ثقافي **للتكيف** مع هذه الممارسات حتى تتلاءم مع القيم المتوارثة والسائدة في تمثلات الأفراد والجماعة. مما يجعلها **متوافقَّة** مع ثقافة العناية الدائمة بالجمال والحفاظ على الشباب للأنثى العصرية. باستخدام كل الآليات والتقنيات الحديثة التي تمنحها جمالاً أكثر دوام بأقل جهد ووقت، تُغنيها عن المُداومة التي أحياناً يمنعها عنها المرض ويشغلها الوقت، فيذهب بريقها. وبذلك فإنها تَقبلها بحداثتها وتُقبِل عليها وتعتبرها المانحة للحياة المتجسدة على جمال الجسد، فهي تربت على الاعتناء بالمظهر وما التقنيات الجديدة الا امتداد لما ألفته وتعلمته عن التجميل وفن الانوثة، تعتبرها جواز السفر لعالم الجمال والمكانة في عين الذات والآخر.

5. وظائف التمثلات الاجتماعية

2.5. الوظائف الإدراكية المعرفية

تتيح التمثلات الاجتماعية للأفراد فهم الواقع وتفسيره وفق إطار معنوي مشترك في تفسير وتأويل الواقع داخل شبكات من الأفكار والمعتقدات، بما يتوافق مع قيمهم ومعاييرهم الاجتماعية، والتصرف بطريقة تكيُّفِية تتماشى مع خبراتهم السابقة ونظامهم القيمي. حيث تسبق الفعل الاجتماعي وتؤثر عليه وتتيح للأفراد صياغة واقعهم انطلاقًا من بُنى ذهنية تستند إلى الذاكرة الجماعية.

وفي مراكز التجميل، **تَسْتَبْطِنُ** النساء مفاهيم "**المعرفة**" الاجتماعية المسبقة المتوارثة عبر عملية التنشئة الاجتماعية حول مفهوم العناية الجسدية ومعايير الجمال" **البشرة البيضاء، شكل الجسم، حجم الشفاه والانف...الخ**" هذه المعرفة ليست علمية أكاديمية انما "**مُفكَّر فيها جماعيًا**"، ويُعاد انتاجها من خلال الأسرة، الأقران، الإعلام ووسائل التواصل. غير أن فضاءات صناعة الجسد مدرسة من نوع لآخر مختبر حقيقي تتعلم فيه الأنثى كيف تعتني بجمالها وتبعثه ففيها يعاد تشكيل الجسد الانثوي

لينسجم مع المعايير والقيم الحديثة التي تفرض نفسها عليها وعلى المشهد العام حسبما صرحت به العديد من الزبونات(المقابلة رقم08):

" أَنَا نَعْرَفْ بَلّي المَرْأَة الزِينَة هيَ البَيْضَه عَلَا بِيهَا

رَانِي نْدِيرْ تَقْشِيرْ لْوَجْهِي وتَنْظِيفْ عَمِيقْ لَلْبَشْرَة

وْهَذَا وِينْ حَسِيتْ رُوحِي وَلّيتْ اَمْرَاةكِي نْتَجَاتِي"

2.5وظيفة شخصية (الهوياتية)

من خلال هذه الوظيفة تتشكل الهوية الاجتماعية للأفراد والجماعة، كما تسمح لهم بالتعرف على أنفسهم في السياق الثقافي. فمن خلالها يميزون بين "**نحن**" مقابل "**هم**"، أي من يذوب في النسيج الاجتماعي ومن يخرُج عن معاييره. حيث تعمل على إنشاء مختلف الروابط الاجتماعية والمحافظة عليها بل وتتعدها إلى الترميز الهوياتي للجماعات وتحدد انتمائهم مما يسمح بإقامة المقارنات بالجماعات الأخرى.

إن تمثلات الجمال تلعب دورًا هامًا في بناء الهوية الجندرية لأنثى المجتمع الباتني، حيث **تُوسَمُ** المرأة بحسب اعتناها بمظهرها وجسدها، فتنظر لذاتها من خلال جسدها. وما بين " **الاعتناء به والإهمال له**" ترسم أنوثتها وهويتها كما بينته لنا إحدى العاملات بصالونات الحلاقة وتجميل(المقابلة رقم09):

" الْمَرَاه اللّي مَا تَتْهَلاَّشْ فِي رُوحْهَا مَاعَنْدْهَا حَتَى قِيمَة

يْجُونِي سَاعَاتْ نْسَاء تْلْقَايْهُمْ بَالْمُوسْتَاشْ وَحْوَاجَبْهُمْ

غَابَة تْقُولْهُمْ رْجَالْ وَلَّا الرَّاجَلْ خِيرْ مَنْهُمْ "

إن التبريرات التي تتبناها الأنثى لهذه الممارسات من خلال تمثلاتها التي تسمح لها بالتبرير وتحديد المقبول من غير المقبول من الفعل التجميلي أو الاعتناء بالجسد. بحيث تلعب دورًا هاماً في توجيه الغايات وتحديد نمط العلاقة بالجسد التي تتقاسمها مع بنات جنسها وكل من تتقاسم معها تلك التمثلات حول مفهوم الجسد والجمال. وبالتالي فان عملية الإقبال والأخذ والانخراط في الفعل التجميلي هي عملية تأويل للمعاني والرموز المشتركة.

3.5. وظيفة التوجيه

تعمل التمثلات على توجيه سلوك الأفراد وتحديد كيفية التصرف في مواقف معينة بناءً على "**المتوقع**" منهم اجتماعياً. ففي مراكز التجميل تُترجم التمثلات إلى ممارسات توجه لمختلف أعضاء الجسد من: " **تركيب الأظافر، إزالة الشعر، تبييض البشرة، تركيب الرموش...الخ**" فهي تشعر ان طقوس العناية بالجسد المخصصة لكل عضو تُشْعِرُهَا بالمسؤولية اتجاه ذاتها ومن واجبها إعطاء هذا الجسد حقه من العناية كما بينت لنا **(المقابلة رقم10)**.

" المَرَأه الفَحْلَة مَا تَغْفَلْشْ عْلَى نَظَافَتْهَا وْزِينَتْهَا تْلَقَطْ احْوَاجَبْهَا وَحَدْهَا

تْنَحّي شْعَرْ جَسْمْهَا وَتْنَقّي وَتَتْهَلَّى في رُوحْهَا مَتْخَلّي ظْوَافَرْ، شْوَافَر

شْعَرْ غِيرْ تَنْوِي بَرْكْ تَلْقَى كُلَشْ تْقَلْشَكْ لْحَفّافَه عَنْدْهَا مَتَرْيَالْ خيرْ مَنْ الطَبِيبْ "

لقد نسجت الثقافة حول الأنثى وجنسانيتها العديد من التمثلات التي من شأنها أن تُسَيِّجَهُ بمختلف المرغوبات والممنوعات. فلقد هيمنت عليه وفرضت قيوداً تحُد من تفاعلاته فاختزلته في الانجاب وإعادة الإنتاج وأخضعته **للهيمنة الناعمة** المُستبطنة لمنطق الهيمنة الذكورية التي طالما جعلت منه تابعاً **(الاب، الزوج الأخ...)** ثم اختزلته في جسد **المتعة** تارة وجعلته يذوب في المتخيل الاجتماعي المتوجس منه باعتباره وعاء **للفتنة والاغواء** تارة أخرى ، كما بين ذلك **عبد الله الغذامي** أنه: " **ليس في طبع الثقافة الذكورية أن تتحمل أو تتقبل (واقعية) الجسد الأنثوي، ومن الضروري لهذه الثقافة أن يكون التأنيث قصيا ووهميا لكي تظل الأنوثة (مجازا) ومادة للخيال، وفي هذه الحالة–فقط– تكون الأنوثة جذابة ومطلوبة في المخيال الثقافي وتنتهي جاذبيتها بمجرد تحولها إلى واقع محسوس.**[1] ولما كان المتخيل الاجتماعي يرى الأنثى على أنها وعاء للفتنة وباب للمتعة فان الافراط في العناية به وتجميله من شأنه ان يُقصيه ويجعل منه جسداً مباحاً يستوجب ضبطه، وتصبح بذلك كل مُمَارِسة لعملية التجميل غير مرغوب فيها باعتبارها لعبت بحرمة الجسد، وسبب لهذا التصدع لمفهوم الأنوثة.

4.5. وظيفة التبرير

[1] عبد الله الغذامي: **المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي**، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006، ص 42

تُســـتخدم التمثلات لتبرير الســـلوكيات والقرارات بعد وقوعها أمام الذات أو الآخرين لإعطائها معنى مقبولًا. وذلك ما وقفنا عليه بأنفسنا في مختلف الفضاءات التي شملها بحثنا من خلال المقابلات في جلسات **التجميل** وما صرحت لنا به المبحوثات **(المقابلة رقم11)**:

عُمْرِي لَا خَمَّمْتْ نْدِيرْ البُوتُوكْسْ مِي كِي رُحْتْ لَلْمَرْكَزْوْلْقِيتْ النْسَاء

كَامَلْ يْدِيرُ فِيهْ تْشَجَعْتْ وْدَرْتُو فِي فُمِّي وَخْدُودِي، صَحْ مَحَسِّيتْ بْوَالُو

بَصَّحْ بَعْدْهَا تْتْنَفْخِي وَيَحْكْمَكْ السْطَرْ وَمْبَعْدْ تْوَلِّي بَاهْيَة وْزِينَة بُوبِيَّه "

تلجأ الأنثى أحيانًا إلى تبرير اقبالها على مختلف الممارســـات التجميلية الحديثة أو المبالغة في العناية الجسدية بأنها "**ضرورية**" وتساير المجتمع من جهة وتمنحها المكانة والقبول المؤسس للاختيار الزواجي من جهة أخرى أوما تســميه بالقبول الاجتماعي، هذه الممارســات التي قد تكلفها أمولا طائلة وتصيبها في الكثير من الأحيان **بالألم** والتعب الجسدي قبل الحصول على النتيجة المرجوة.[1]

[1] عيساوي، نوال.: **التمثلات الاجتماعية للتجميل في الوسط النسوي الجزائري**، مجلة *الفكر الاجتماعي*، جامعة الجزائر، 2022، ص 54.

ثانيا: التمثلات الاجتماعية في مختبر الثقافة

1.العلاقة بين التمثلات والممارسات

الممارسات مرتبطة بالتمثلات الاجتماعية والثقافية، بينهما علاقة غير أن هذه العلاقة ليست خطِّية بل **تفاعلية** و**متغيرة عبر الزمن** يُفهم من خلالهما الجسد: **الجمال** "البشرة الشعر الاظافر العينين الرموش... الخ" **الجندر** "المرأة الجميلة، الفاتنة، المرغوبة... الخ" **الطبقة** "الرفاه، المكانة الرقي...الخ" **الهوية** "الانتماء، التعبير عن الذات ...الخ" فالتمثلات تُنتج مفاهيم تجميلية تدفع الأفراد لتبني من الممارسات ما يتماشى مع المعايير الاجتماعية والأخلاقية وبالمقابل تعمل هذه الأخيرة على إعادة تشكيل التمثلات. لتصبح أداة اجتماعية **للامتثال** أو **المقاومة**. وتعيد رسم حدود "**ما هو طبيعي**" أو "**ما هو مقبول**" وعليه فإنه كلما تغيرت الممارسات تتغير التمثلات وتُعيد هذه الممارسات بدورها تشكيل التمثلات باستمرار، في ضوء التحولات الثقافية والتكنولوجية.

إن هذه الممارسات التجميلية خاصة المستمرة منها، تُعد وسيلة لإعادة إنتاج التمثلات المرتبطة بالمظهر والجمال، وتؤثر بشكل فعال على التصورات الذهنية حول الذات والمجتمع. وعليه فإن تواجد الأنثى في فضاءات التجميل وتفاعلها مع مختلف التقنيات الحديثة التي تمس الجسد والمظهر تساهم في إعادة تشكيل مفاهيم الجسد والهوية الجندرية مما يعكس علاقة ديناميكية بين الممارسات والتمثلات.[1] وعليه فإن أنثروبولوجيا التمثلات والممارسات ما هي إلا بناءات اجتماعية وثقافية تؤثر وتتفاعل مع بعضها البعض بشكل دائم، كشكل من أشكال المعرفة الخصوصية ذات الطابع المشترك.

2.مقاربات التمثلات الاجتماعية

تتعدد وتختلف المقاربات التي تناولت التمثلات الاجتماعية حسب تنوع الحقول العلمية والتخصصات المعرفية، وآليات الكشف عنها بوصفها نتاجاً للتفاعل الفردي والجماعي الذي يرتبط بأنساق المعنى وأبعاده الرمزية داخل المجتمعات. ولقد أصبح مفهومها من المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجيا، لما له من قدرة تفسيرية لفهم كيف يَبني الأفراد والجماعات تصوراتهم عن مختلف الظواهر الاجتماعية، وتوجيه السلوكات والممارسات. وأن فهم هذه المقاربات يوفّر فهما لهذه التمثلات كمدخل هام لفهم " **الجسد الأنثوي، الجندر، والهوية**"، باعتبارها إطاراً مرجعياً

[1] عبد الله القصيمي: **الثقافة والجسد: دراسة سوسيو ثقافية عن ممارسات التجميل في المجتمع العربي**، دار الفكر العربي، 2015، ص.122.

خصباً للبحوث السوسيو ثقافية والانثروبولوجية المعاصرة. ونعتبرها **أداتنا** المنهجية والفعالة لفهم **الرموز والمعاني** المرتبطة بالجسد الأنثوي خاصة في فضاءات التجميل والعناية الجسدية وما تشتمل عليه من تقنيات وممارســـات أين تتداخل الأبعاد الجمالية والثقافية والاجتماعية والجندرية. ولقد تطور مفهوم **التمثلات** الاجتماعية عبر عدد من **المقاربات** التي حاولت تفسـير آليات تشـكلها ووظائفها، ومن أبرز هذه المقاربات:

1.2. المقاربة الكلاسيكية

أسّس **سـيرج موسـكوفيتشـي** الإطار النظري للتمثلات الاجتماعية في سـتينيات القرن الماضـي حيث يرى أنها عبارة عن نســـق من المعارف المُنظمة التي يُطورها الأفراد والجماعات لفهم الواقع والتواصـل من خلال تركيزه على مفهومي "**التوضـع والترسـيخ**" كآليتين أسـاسـيتين في تكوين التمثلات ومنحها القدرة على التكيف والاستقرار.

ففي فضـاءات العناية الجسدية يعاد انتاج مفهوم الجسد الانثوي وفق هذين المفهومين من خلال دمج التمثلات التقليدية التي تربط الجسـد الأنثوي بمفهوم الشـرف والقيم الحداثية. وفي سـياق **الجسـد الأنثوي**، تسـمح هذه المقاربة من خلال هذين المفهومين من فهم الطرق التي يُعاد فيها تشـكيل مفهوم الجسـد أو صـور الجمال من خلال الاعلام والسـوشـل ميديا خاصـة، وادماجها في انماطهم الثقافية المحلية وكيف تتحول مفاهيم الجمال والمظهر إلى صـور نمطية متجسـدة "**الجسـد المثالي**"، وكيف تُربط هذه التمثلات بالقيم والمعايير الثقافية السـائدة "**متربية، بنت فامليا**" مما يجعلها مرجعًا للحكم الاجتماعي. وبالتالي فإنها تربط مفهوم الجسـد الانثوي **بالحشـمة والعفة** التي تتطلب **الحياء والسـتر**، وتُبنى من خلالها تمثلات الانثى حول جسدها. المتجسدة في معايير الجمال المقبولة اجتماعيا "**النحافة البياض... الخ**" من خلال الممارسات التجميلية وطقوس العناية الجسدية.

2.2 مقاربة النواة المركزية

لقد قدم **جان كلود أبرك Jean-Claude Abric** تعريف للتمثلات الاجتماعية واعتبرها سيرورة خاصة بنشـاط عقلي بواسـطتها يقوم الفرد أو الجماعة بتشـكيل الواقع.[1] مميزاً بين عنصـرين مهمين في فهم

[1] J. C., Abric" **pratic sociales et représentation** "P. Paris, PUF. 26.

التمثلات الاجتماعية " **النواة المركزية المنظومة المحيطية** " ودورهما الهام في منح التمثل الاستقرار والقدرة على التكيف من خلال وظيفتين:

أ- **وظيفة مولدة:** تتكون من عناصر أساسية تمنح **التمثّل** معناه واستقراره، وهي ثابتة داخل حقل التمثل وترتبط مباشرة بالرموز والمفاهيم المجتمعية التي تمنحه الثقل والاستقرار ومقاومة التغيير خاصة ما تعلق منها بموضوع بحثنا في فهم الجسد الأنثوي الذي يعتقد بأن "**الأنوثة**" مرتبطة بالقوام الممشوق وبالبشرة البيضاء النقية وصافية مما يجعل الانثى تتبناها وتحافظ عليها عبر مختلف ممارسات التجميل سواء التي تقوم بها بمفردها أو التي تسعر عليها المُمَارِسة او الحفافة عبر مختلف التقنيات والمستحضرات

ب- وظيفة منظمة: تعمل على حماية النواة المركزية من كل المؤثرات باعتبارها أكثر مرونة واستيعاب لمختلف التغيرات وتكييفها بما يتلاءم مع التمثل في محيطه وسياقه.[1]. ما يجعل التمثل مستقرا.

تُظْهِرُ المعايشة الميدانية في سياق بحثنا أن النواة المركزية لموضوع الجسد الأنثوي ومفهوم العناية الجسدية تظل محافظة على سمات معينة "**الشَعر الطويل - البشرة النقية... وغيرها**" من مظاهر الجمال المُقترن بالمفاهيم الجمعية التي يتبناها المجتمع ويتعارف عليها الصغير قبل الكبير، وتسعى الأنثى للحفاظ عليها أو بلوغها، بينما تخضع باقي المفاهيم حول الجسد لتأثير الموضة العالمية والاعلام "**مكياج، تجميل، رياضة... وغيرها**" بالإضافة الى ممارسات التجميل والعناية الجسدية الحديثة. بالتالي فان النواة المركزية هي التي تحدد طبيعة العلاقة التي تربط بين عناصر التمثل وتعمل على استقراره، مما يجعلها أكثر مقاومة لتغيير وأي تعديل يمسها يُحدث تغيراً في معنى التمثل، وذلك ما ذهب اليه " **كلود أبريك**" حينما اعتبر النواة المركزية للتمثل المنظم الأساسي والبنية التي تعطي للتمثل المعنى وتنظم عناصره.

3.2. المقاربة الدينامية – السياقية

يرى أصاحب هذه المقاربة "**جان أوديبه وفلورانس بولزاك**" أن التمثلات الاجتماعية ليست مجرد كيانات ثابتة، إنما هي أنظمة معرفية تتميز بالدينامية والتغير المستمر، تتأثر بالتغيرات الاجتماعية

[1] بن يحيى، سامية، **البنية المفاهيمية للتمثلات الاجتماعية**: دراسة ميدانية على عينة من طلبة علم الاجتماع بجامعة الجزائر 2، جلة العلوم الاجتماعية والإنسانيه، 2016، ص ص 105، 122.

والسياسية والاقتصادية. والتي تُبنى من خلال التفاعل المستمر بين الفرد ومحيطه الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه، وتخضع لعملية التغير والتحول المستمر نتيجة هذا التفاعل لتتلاءم مع التحولات التي تؤدي جذريا الى تغيرات في محتوى التمثلات.

هذه المقاربة تؤكد على الطبيعة الدينامية للتمثلات الاجتماعية التي تتغير تبعًا للسياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وبالتالي فان تمثلات الجسد الأنثوي في فضاءات التجميل في مدينة باتنة تتأثر بالتقاء أنماط الجمال المحلية المرتبطة بالهوية الثقافية مع معايير الجمال العالمية الموجهة لها عبر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

4.2. المقاربة الأنثروبولوجية – الثقافية

تُركّز هذه المقاربة على البعد الرمزي والثقافي للتمثلات، حيث تربط بين التمثلات الاجتماعية والرموز والمعاني الثقافية معتبرة إياها تعبيرًا عن البنية الرمزية للمجتمع. فلا يمكن فهم التمثلات بمعزل عن الثقافة التي تنشأ فيها، لأن الثقافة هي الإطار الذي يُنتج المعاني ويمكن الأفراد من تفسير واقعهم الاجتماعي من خلال تلك الرموز والمعايير المشتركة التي تعكس أحيانا علاقات الهيمنة. وبالتالي فالجسد الأنثوي لا يُختزل في بعده البيولوجي فحسب، انما مُحَمَّلٌ بمعانٍ اجتماعية ورمزية وجندرية، تتجلى في طقوس التجميل وممارسات العناية الجسدية. لا ينظر لها على أنها مجرد ذوق فردي، بل هي نتاج تاريخي وثقافي، ونوع من **طقوس العبور** نحو صورة مرغوبة اجتماعيًا تذوب في هيمنة ناعمة **(انثوية)** تستبطن مفهوم الذكورة والأنوثة، وتتأثر بالتفاعلات بين المحلي والعالمي وبين الثابت والمتغير، وبين الرمزي والمادي.

تتجاوز المقاربات الأنثروبولوجية والثقافية للتمثلات البعد المعرفي النفسي لتضعها في سياقها الرمزي والاجتماعي الأوسع، حيث يُنظر إليها كنتاج لأنساق المعنى التي تنتجها الجماعات البشرية وتعيد إنتاجها عبر الممارسات والطقوس والخطابات حسبما أشار **مارسيل موس** إلى ذلك، معتبراً أن التمثلات ليست فردية بل اجتماعية بالأساس متجذرة في بنية المجتمع وتنعكس فيما يسميه "**الوقائع الاجتماعية الكلية**" التي تشمل الاقتصاد، الدين، واللغة ضمن وحدة رمزية متكاملة.

أما **كلود ليفي–شتراوس**، فيرى أن التمثلات تُبنى من خلال البنى الذهنية العميقة التي تنظم الرموز والأساطير، وهي تتكرر في ثقافات مختلفة وفق أنماط ثابتة، ما يكشف عن "بنية" مشتركة خلف التنوع الثقافي الظاهر. وفي السياق الثقافي، شددت **ماري دوغلاس** Mary Douglas على أن

التمثلات المرتبطة بالجسد على سبيل المثال، ليست حيادية، بل هي انعكاس مباشر للتصنيفات الاجتماعية، بحيث يصبح الجسد "**خريطة**" لقراءة النظام الاجتماعي، وأنها تحمل آثار السلطة والهيمنة الثقافية.

إن هذه المقاربات الأنثروبولوجية والثقافية تكشف أن التمثلات ليست مجرد أفكار أو صور ذهنية، بل هي منظومات رمزية متجسدة في الممارسات اليومية، وتتأثر بالبنية الاجتماعية، التاريخية والسياسية، وهو ما يجعل دراستها ضرورية لفهم قضايا مثل الجسد والجندر في سياقاتها الثقافية المتنوعة.

3.التمثلات الثقافية للجسد الانثوي

الجسد مادة مُصنعة انتجته مجموعة من التمثلات تستند الى مرجعيتين أحداهما دينية تستمد قيمها من الشريعة الإسلامية، والثانية اجتماعية مشبعة بالعادات والقيم الامازيغية تغرسها الأسرة في الناشئة منذ الطفولة حول مفهوم الجسد وحول مفهوم "**الانوثة والذكورة**" حيث يُقولب الجسد ويُنمط وِفْقَ سيرورة اجتماعية وثقافية خاضعة للخصوصية، تنحت هذا الأخير **(الجسد)** وصاحبته **(الأنثى)** حسب المقبول والمتعارف عليه من القيم والمعايير المستمدة من القيم الدينية الواضحة في كل مناحي الحياة الاجتماعية في مجتمع البحث، المُتجسدة في ثنائيات "**المقدس والمدنس**" " **الحلال والحرام**" " **المقبول والمستهجن**" كما تعمل موضة التجميل بكل تقنياتها وممارساتها على إضافة بعض المفاهيم الخاضعة لقيم عالمية تتحكم في مفهوم الجسد والأنوثة، تعيد ترتيب الموجودات التي اجدته وحافظت على قدسيته إذ لم يعد ينظر إلى الجسد بوصفه كيانا بيولوجيا، وطبيعة معزولة عن محيطه "**قيم وعادات**". بل أصبح الجسد الأنثوي اليوم مُدمج في واقع ثقافي واجتماعي جديد يفرض عليه قوانينه ويُسهم في تحديد مفهوم الأنثى لجسدها وتقييمها لجمالها، والقيم التي تعيد انتاجها مع مرور الوقت وتقبل بقوانينها كي تقولبه بما يتماشى مع الواقع الاجتماعي والثقافي وليتماهى مع الصور الجديدة. فبعدما كان مُعد مسبقا ليصبح موطن " **الفتنة الرغبة والشهوة**" محصوراً داخل قائمة من الممنوعات "**عيب، حرام، مدنس..الخ**" التي لا مبرر لها إلا المتعارف عليها عُرفاً ودِيناً لِيُعاد تشكيله وقولبته من جديد ليذوب في قوالب الحداثة والأجساد المُنمطة. وليمُر من الطبيعي إلى الثقافي لا بد أن يقفز فوق كل الممنوعات **والطابوهات** التي تُنسج حوله ولا مبرر لها– فوق النصوص الدينية، والقيمية، الجمالية

وغيرها- إلا أن إدماج الأنثى داخل الجسد الاجتماعي وتذكيره ببعد الاستقلال بنفسه".[1] إذ لا يحيد عن بقائه **مُراقباً** عبر الخِطابات ومُشـــكلاً بيد "**الهيمنة الناعمة**" التي تعيد انتاج النظام الأبوي من خلال خطاب " **الجمال، الطهارة، والأنوثة**". تسـعي من خلالها الانثى إلى بناء وضـع مشـترك أو ما أسـمته **دونيز جودلي D.Jodlet بأ**شكال المعرفة الخصوصية ذات الطابع المشترك التي تسعى غلى بناء واقعة مشتركة لمجموع مجتمعي.[2]

في الثقافة الجزائرية، وفي فضاءات التجميل التي شملها عملنا يرتبط الجسد الأنثوي بسلسلة من **الرموز الجندرية** التي تُحمّله عبء **الشـــرف والعِرض** ، من خلالها تُلزم الأنثى بالظهور بالمظهر اللائق وتُعلمها ضـبط الجسد والامتثال للمعاير الاجتماعية والقيمية "**كـــــرأسـمال رمزي**"، يُسـتثمر فيه لتحقيق القبول الاجتماعي أو المتوقع داخل فئات معينة[3] فتقيده بمختلف الممارســـات التي تحفظه وتحفظ ديمومته مقبولاً مشـــتهى في عينها وفي عين الآخر(**المجتمع**) وتُلزمها بالظهور اللائق عبر مختلف آليات وتقنيات الزينة وطقوس العناية الجســـدية في مختلف الفضـــاءات التي تعنى بالمظهر والذوق الجمالي ، غير أنها اليوم باتت أكثر تحرراً من خلال موضـــة التجميل التي امتلكت وعيها واعتبرتها على أنها **مؤشرات على امتلاك الجسد و/أو التحرر** مما يجعل الجسد الأنثوي والأنوثة مفهوم تلتقي حوله قيم تقليدية وأخرى عصـرية أو نسـوية. قيم تُعلي من قيمة الجسـد الذي يحافظ على ثوابته الاجتماعية والثقافية عند الاعتناء به حفاظاً على المتعارف عليه وحفظاً لكرامة الأنثى التي وجدت نفسها امام قيم لطالما حاربت من أجلها الكثير من النسويات العربيات والغربيات باسم الملكية والتحرر من قيود الأســرة والرجل تحديداً، ليُصــبح الجســد أكثر وانفتاح وحرية ورفاهية، وتصــبح الانثى أكثر انسجام مما يشعرها بالرضى ويمنحها القبول ويزيد من اندماجها الاجتماعي.

1.3. تمثلات الجسد في الفضاءات الجمالية

في قلب كل مجتمع تتأســس بنية غير مرئية من التمثلات والصـــور الذهنية التي تُســمى في أدبيات السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا "**التمثلات الاجتماعية**" هذه الأخيرة لا تُعد مجرد إدراكات فردية أو انعكاســات آنية للواقع بل هي بناءات ثقافية مشــتركة، يتقاســمها أعضــاء الجماعة لتفسـير الأحداث

[1] الزهرة إبراهيم، ***مرجع سابق،*** ص 119.

[2] D **Les représentations sociales**, Paris, PUF, 5e édition,1989. P36. . Jodelet

[3] مها محمد حسين، ***مرجع سابق،*** ص 66.

والمواقف والرموز وتوجيه الفعل الاجتماعي وفقًا لمنظومة من المعاني والمعتقدات الجماعية. وتُشـــكّل المادة الرمزية التي تبني بها المجتمعات تصـوراتها عن العالم، والذات، والآخر. وهي ليسـت انعكاسًـا بسـيطًا للواقع، بل بناء ثقافي يخضـع لتاريخ، ولسـلطة ومعان تُعاد صـياغتها باسـتمرار. حيث تعمل الثقافة على انتاج هذه التمثلات التي تظهر من خلال " **اللغة، الممارسات، الطقوس، التربية، الإعلام**" وتتغذى من " **الدين العادات التاريخ والإعلام، والمخيال الجمعي**" وبالتالي فان الثقافة تعتبر بمثابة "**مختبر لإنتاج المعنى**". في هذا الإطار تبرز الثقافة بوصـــفها "**مختبرًا رمزيًا**" فهي لا تنقل التمثلات بشكل محايد، بل تُعيد تشكيلها باستمرار من خلال مؤسسات التنشئة والوسائط والتربوية والإعلامية، بما يخدم توازناتها أو يكشـف عن توتراتها. وتُمارس وظيفة ضـبط ثقافي لا تقل أهمية عن القوانين أو الأعراف.

وفي مختبرنا البحثي "**فضاءات صناعة الجسد في مدينة باتنة**" تتداخل تمثلات الجسد الأنثوي مع منظومة القيم الجماعية المرتبطة بـــــ "**الحياء**"، "**الشرف**"، و"**العرض**" و"**الصون**"، حيث يُنظر إلى العناية الزائدة بالجســـد أحيانًا على أنها دليل تحرر مفرط أو "خروج عن القالب والنمط الثقافي والاجتماعي المقبول وذلك ما بينته لنا احدى(**المقابلة رقم12**):

" لْمَرَأه لَازَمْ عْلِيهَا تَحْشَمْ وَتْصُونْ رُوحْهَا فِي زَيْهَا وزِينَتْهَا لَكِنْ لَلْأَسَفْ لْيُومْ لاَحَشْمَة وْلاَ حْيَاء عَنْدْ لَكْبَارَاتْ وَالصْغَارَاتْ وَالله أَنَا نَحْشَمْ فِي بْلَاصَتْهُمْ

تعمل الثقافة على تشكيل الجسد الأنثوي وتحديد هويته، فيتحول بموجبها إلى علامة ثقافية تجعل منه مقراً للمعنى ومركزه، وموقعاً أساسياً يتم فيه التعبير والافصاح عن الثقافة والهوية الثقافية... وعليه فالجسد حصيلة من الالتزام والبنيان الاجتماعي.[1] الذي يعيد تشكيل المفاهيم والتمثلات وحتى التوقعات التي يعمل على إعادة التوازن للذات ولكل المجتمع.

2.3. البعد الأنثروبولوجي لسيرورة التمثلات في السياق الثقافي المحلي(باتنة)

سـيرورة التمثلات من منظور أنثروبولوجي لا تنفصـل عن السـياق الرمزي والثقافي، فالجسـد لا يرتبط بقيم الشرف والطهارة، العيب والحرمة والهوية الاجتماعية فقط، بل ما تزال الانثى تسعى للذوبان

1 تيم إدواردز ، **النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة**، تر: محمد أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012، ص 259

فيها وتؤسس لقبول مختلف الممارسات التجميلية ومختلف التقنيات الحديثة المرتبطة بمفهوم الجمال والمظهر الانثوي، والتي تلقى مقاومة شديدة من **مبحوثاتنا** والمجتمع كونها عناصر دخيلة على المجتمع الذي ما يزال يتعامل مع الأنثى بالستر والحجب ويرفض انخراطها في هذه الفضاءات التي يزداد انتشارها رغم ما تلاقيه من اقبال وادبار حسبما اخبرتنا مالكاته (الممارسات):

" أَصْعَبْ خَدْمَه هِيَّ خَدْمتْ لْحَفَّافَة خَاصَة هَدْرَةْ النَّاسْ عْلِيهَا يْشُوفُوهَا مَاهِيشْ بَنْتْ فَامِلْيَا، ويْقُولُوا عْلِينَا حَشَاكَ خَامْجَاتْ وِأَنَا مَنْلُومَشْ النَّاسْ خَاطْرَشْ كَايَنْ حَفَّافَاتْ الله يَهْدِيهُمْ خَمْجُوا الخَدْمَه وَالدُّومَانْ، وبْسَبَّتْهُمْ وَلّينا مَنَسْوَاوَشْ

إن هذه الفضاءات الحميمية تستقبل مختلف الممارسات والتقنيات الحديثة المتجددة التي تتداخل فيها مفاهيم " **الصحة والجمال والحداثة**" وتكشف عن قدرة المجتمع على إعادة انتاج مفاهيم الجمال وفق معايير حداثية، مما يجعل هذه الفضاءات مساحة وفضاءً خصباً لرصد مختلف الأذواق الجمالية والتفاعلات التي تحدث فيه. والتي تكشف عن قدرة المجتمع على التماهي مع هذه القوالب الجاهزة بحيث يجعله يقبل مختلف التصنيفات الجمالية والممارسات التجميلية وصيحات الجمال التي تمزج وتنسلخ في الغالب عن قيمه ورموزه **(المقابلة رقم13)**.

" الوَقْتْ تْبَدَلْ ولَازَمْ الوَحْدَة تَتهَلاَ فِي رُوحْهَا وَإِلَا تَتَّحْتقَرْ بَالْعَيْنْزِيدْ مَاشِي عِيبْ كِي تَتْهَلاَيْ فِي رُوحَكْ المُهِمْ مَدِيرِيشْ الْعَيْبْ والْحَرَامْ، ومَتْبَدِلِيشْ خَلْقْ رَبِّي "

يعاد تشكيل الجسد الأنثوي وبعث جماله في فضاءات التجميل باعتبارها حقلاً ومختبرًا تختبر فيه الأنثى جمالها وتعيد صياغة ذوقها الجمالي عبر مختلف الممارسات والتقنيات التجميلية التي تتنافس عليها النساء من مختلف الأعمار والمناطق "**مدينة، ريف**" والمكانة الاجتماعية، وما يحدث من تفاعلات بين خبيرات التجميل، والزبونات المتأثرات بتجارب جمالية عالمية بفعل التكنولوجيا وتأثير الإعلام ووسائل التواصل تحديداً التي تُعيد تشكيل أذواقهن ومفهومهن للجمال لتذوب في السياق الاجتماعي الذي تتواجد فيه. فمن خلال هذه الدينامية المستمرة يتجلى التفاوض المستمر بين ثوابت الهوية الجندرية وقيم الجمال التقليدية من جهة، والقوالب الجمالية **المُنَمَّطَة والمُعَوْلَمة** من جهة أخرى، والتي تعمل على انتاج نماذج جديدة تعيد تشكيل تمثلات الجسد الأنثوي. فالتمثلات معرفة تضبطها

قواعد خاصـــة، عاكســة للواقع واداة لفهم الســلوكات والمواضــيع[1] حســبما أخبرتنا المبحوثات(**المقابلة رقم14**):

" مْنِينْ نَشْفَى عْلَى رُوحِي وَأَنَا نْرُوحْ عَنْدْ لْحَفَّافَة فِي لَعْرَاسْ الشِيئْ
لِّي تْبَدَلْ وَلِّيتْ نْرُوحْ عَلَى جَالْ رُوحِي و نَتْهَلَّى فِي عُمْرِي خَاصَة
مْنِينْ ظَهْرَتْ المَرَاكَزْواطَّوَرْ لْمَاتَرْيَالْ الِي ايهَنْيكْ مَنْ كُلَّشْ ايحَلْيكَ
دِيمَا زِينَه وتْبَانِي صْغِيرَة بْلَا تْعَبْ كيماَ تْشُوفِي مَانْبَانَشْ بَلِّي عُمْرِي
48 سنة الِّي يْشُوفْنِي يْقُولِّي تْبَانِي قَلْ مَنْ عُمْرَكْ "

إن هذه الموضوعات والتقنيات الجديدة والحديثة أو الصيحات التجميلية تسعى من خلالها الأنثى إلى التماهي مع مفاهيم الجمال الحديثة، وإعادة صـــياغتها لتظهر أمام المجتمع بنموذج حداثي جديد يتماشـى مع تصـوراتها المسـبقة عن الجمال والأنوثة. وفق آليات "**التشـييئ، الترسـيم**" فهي تعمل على تحويل المفاهيم أو المعارف المعقدة للممارسات تجميلية مثل " **البوتوكس أو الميكروبلادينغ... وغيرها** " إلى صـور وأشـكال مقبولة "صـحية، جمالية" –**حقن**– مما يزيد من الاقبال عليها وتتحول إلى صـور ونماذجا مرتبطة بفكرة "**سر الشباب**" المظهر والنضار "**الشباب الدائم**. وإن تحويل مفهوم التقنيات التي تمارس في ميدان التجميل والعناية الجسدية إلى تمثلات مبسطة بحيث تصبح مألوفة لدى أفراد المدتمع في فهمهم للجسد الأنثى، وتحديدا لدى القوة الناعمة "الأنثى" مما يسهم في تثبيتها. بحيث تصبح مألوفة ومقبولة بل ومهمة مثلها مثل الممارسات التقليدية التي تعزز الجمال وتبعثه، والمرتبطة بتمثلات الأنثى حول مفهوم الجمال والشـباب، هذه الممارسـات الراسـخة في المجتمع المبحوث التي يربطها بالجسـد "**المظهر**" ويعيد انتاجها وبعثها من خلال ممارسات العناية الجسدية سواء التقليدية المنقولة من خلال إعادة الإنتاج على حسـب تعبير بيير بورديو أو الحديثة المتجسـدة في الواقع بما يتناسـب مع روتين حياتها ويتلاءم مع تمثلات المجتمع الذي يعيد انتاج التمثلات و ويســـتدمجها في مفاهيم الجســـد الحداثي (**الملكية، الفردانية**) بما يتلاءم مع قيمه ورموزه المتوارثة (**الحشـــمة، الحياء**) لتذوب مع مفاهيم الأنوثة والهوية الجندرية.

[1] Flament .C : Approche structurales et aspect, normatif des repressentions sociales, psychologie et société, Grenoble, presse univ Grenoble, 2001, p 72.

3.3 التمثلات والهوية أية علاقة؟

يُعدّ مفهوم التمثلات الاجتماعية من المفاهيم المحورية في فهم وتحليل البنى الثقافية والرمزية التي تنتظم داخلها العلاقات الاجتماعية وتتشكل من خلالها أنماط الإدراك والفعل والمعنى. فالتمثلات لا تقتصر على كونها صورًا ذهنية أو تصورات فردية عن الواقع، بل تمثل أنساقًا معرفية ورمزية جماعية تتبلور تاريخيًا وثقافيًا. وفي إطار بحثنا حول الجسد الأنثوي تتقاطع التمثلات مع مفهوم الهوية بوصفها بناءً اجتماعيًا ديناميًا يتشكل من خلال التفاعل بين الذات والآخر وبين الفرد والجماعة وبين البنى الثقافية والممارسات التجميلية، بحيث تُفهم من خلالها الهوية الجندرية بوصفها أداءً اجتماعيًا يُعاد صياغته داخل الفضاءات التجميلية لا كمعطى بيولوجي فقط إنما كهوية سوسيوثقافي تُنتج عبر تمثلات اجتماعية تُحدد ما يُعتبر مقبولاً ومرفوضاً.

ما يُمكن قوله إن التمثلات والهوية يشكلان معًا منظومة رمزية متكاملة لفهم الديناميات الثقافية والاجتماعية التي تنتظم داخلها حياة الأنثى. فالتمثلات تُنتج الأطر الرمزية التي تُعرِّف الهوية وتمنحها معناها الاجتماعي في حين تُسهم الممارسة التجميلية والتفاعلات الاجتماعية داخل الفضاءات التجميلية في إعادة تشكل هذه التمثلات إعادة إنتاجها وبعثها. وعليه فالعلاقة بين التمثلات الاجتماعية والهوية الانثوي داخل هذه الفضاءات الحميمية تفاعلية رمزية. حيث لا يُنظر إلى الجسد بوصفه معطًى بيولوجيًا محض، بل يُنظر له باعتباره نسق اجتماعي وبناءً رمزيًا يعاد انتاجها وصياغته من خلال الأنساق الثقافية والخصوصية الاجتماعية. حيث تعمل التمثلات بوصفها أطرًا تفسيرية ومعيارية على فلترة المفاهيم والمعاني المرتبطة بالجسد فتحدد ما يُعدّ "جميلًا"، و"مقبولًا"، و"أنثويًا"، و"حديثًا" ترسّخها كمعايير ومرجعيات توجه الممارسات التجميلية وطقوس العناية الجسدية يعاد من خلاله بناء الهوية.

خلاصة

ما يمكن استخلاصه من هذا الفصل أن التمثلات شكل من أشكال المعرفة ونظاماً تفسيرياً وتأويلياً للمواقف والأحداث، للممارسات والمواضيع التي تنتج الممارسات والسلوكيات، والمحددة باطار زمكاني **(زمن ومكان اجراء البحث)** باعتبارها كينونة تولد وتنتهي مع كل تحول، لتزود الأنثى بالمعلومات وتبرر مواقف الجماعة وممارساتها المستندة على الخبرات المستمدة من التنشئة الاجتماعية

والخبرات المكتسـبة من خلال عمليات التفاعل، التواصـل والاتصـال الاجتماعي، بحي تتموقع بين ما هو فردي وما هو جماعي ، وتأخذ أشـــكالا تتوافق مع قيم ومعايير المجتمع أو الجماعة التي ينتمي اليها الفرد.



الفصل الثاني



التنشئة الجندرية وصناعة الجسد الأنثوي «استراتيجية" الترويض والقولبة"

تمهيد

الجسـد، عَمْداً اخترنا البحث فيه ليس لكونه المانح للحياة فحسـب بل لكونه نِتَاجُنَا قبل أن يكون نِتَاجُ الآخرين، لن نتحدث عنه بصـيغة الفرد لأنه هو الكل، جغرافية وأطلس مُتجاوز لبعده التشـريحي الفيزيولوجي الفيزيقي. وعليه فإن البحث في تيمة الجسـد من منظور أنثروبولوجي بحث فريد من نوعه مُتشعب يُلامس كل المسافات القريبة والبعيدة فيه، ويَنبُش في البنى الظاهرة والخفية، ويُعري المسكوت عنه. ما جعلنا نَقترب منه في هذا الفصـل ومن المفاهيم المُركبة الخاصـة به وبمجتمع البحث**(باتنة)** كما نروم إلى فهمه "**جزءً بجزء**" ونقتفي أثر المقاربات النظرية التي خاضـت فيه، وفي تلك العمليات والمسارات التي تربى عليها وأَسَّسَتْ لها مؤسسات التنشئة الاجتماعية. طبعاً سنتحدث عنه وعن أجزائه بلسان **المبحوثات**، عَلَّنا نضع دعائم تُمكِّن من فهمه وفَكّ شِفراته الظَّاهرة والخفية المؤدية للفهم الأعمق أو نُسْـهِمُ في تدوين ولو جزء بسـيط عن كيف تَشَـكَّلَتْ آليات تدبيره، وكيف تشَـكُّلْ الذَّوق الجمالي المُؤسس لمفاهيم الأنوثة المكتسبة والمقيدة بقوانين العرف والعادات وذلك ما سيفضي له هذا الفصل.

أولا: الجسد جينيالوجيا الدلالالة والمفهوم

يبدو لنا مفهوم الجسـد بديهياً ضـمن اتفاق ضـمني غير مُعلن، غير أنه أعمق من ذلك يفرض علينا تعريف التأمل فيه والإنصـات لوحداته، وتحديد ملامحه وحدوده على وجه أدق. فتحديد مفهوم الجسـد يجعلنا نقف أمام تجلياته واختلافاته في علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، في الدين وفي المعاجم كموضـوع يتطلب الوصـف الدقيق ويحمل العديد من المعاني. وعليه فجينيالوجيا المفهوم متعددة نقرأها من خلال:

1.ماهية الجسد

يضـع بين أيدينا تحديد ماهية ومفهوم الجسـد مفاتيح متعددة في الوعي اللغوي والاصـطلاحي للجسد وتجلياته في مختلف العلوم والمعارف متسائلين ماذا نعني بالجسد؟

1.1.الجسد لغة

في لسان العرب عرَّف **ابن منظور** الجسد من خلال مادة الجسم "**الجسم الجسد**" والجسد جسم الشـيء حقيقته أما اسـمه فليس حقيقته... و مَيَّزَهُ ضـمن مجال المقاربة وفق حدود التوظيف اللُّغوي للدال والمدلول بين " البدن– الجسم– الجسد– الجثة، الجرم" ... مشيراً إلى أن البدن هو الجسد لكنه قد ينطق على بعض الجسـد لا في كتلته....كما ربط البدن بالامتلاء من خلال ما يشـير إلى التقدم في السـن ومعاني الامتلاء باعتباره الشـيء الداخلي أو الجوهري الذي يُظْهِرُ الامتلاء فقال: " **رجل بادن، سمين الحجم والأنثى بادن وبدينة، والجمع بَدن وبُدن**" [1].. كما "**حدد فريد الزاهي**" لفظ **الجسد** مُعتبراً إياه الوحيد الذي يتصـف به الانسـان دون غيره من الموجودات من حيث ماهيته... وعليه فإن مفهوم الجسد معجميا يتحدد بمعاني مختلفة وفقا لطبيعة الاستعمال أو التوظيف اللغوي فقيل جسم الانسان ولا يقال لغيره.[2]

–**الجسد في القران الكريم:** لقد احتل الجسد حيزاً هاماً داخل المنظومة الدينية، وبالرجوع إلى النصوص القرآنية نجد الكثير من الآيات التي ذكرت عبارة – **الجسد**– بشكل صريح من خلال جملة من الدلالات التي صـنفته بين (**المعطى الأولي للوجود، الجسد الصامت، الجسد الموضوعي، الجسد البيولوجي)**

[1] ابن منظور–**لسان العرب**– المجلد الأول، دار المعارف، مادة البدن، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 232، 624.

[2] فريد الزاهي: **الجسد والصورة والمقدس في الإسلام**، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،1999، ص،22

ليكون الجسد بذلك معطى أولي، ومكتسب قبلي سابق على كل روح باعتباره معيارنا الأولي في الوجود.[1]

لقد وردت لفظة الجسد أيضا بمعنى **الصورة** أو الجسد الذي بلا حياة بدلا عن العجل الذي لا حياة فيه في قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ (سورة الأعراف الآية 148) أو صِفة من صفات الخلق المَيّت ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية 08) و قد يأتي أيضا الجسد بمعنى الجسم الذي لا حياة فيه كما هو الحال بالنسبة لسيدنا سليمان عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (سورة ص الآية 34) كما وردت لفظة الجسد للإشارة إلى الانسان وجسده إذ يُقال لبدن الانسان جسده، وذلك ما يطابق قول الله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (سورة يونس الآية 92)

إن حضور الجسد لفظاً في القرآن الكريم هو حضور نعتبره الآلية الأساس لأداء العبادات وممارستها، والشرط الفيزيقي لإقامة الشعائر الدينية "**صلاة، صوم، حج... الخ** " فالجسد يكتسب قيمته من مدى التحكم في شهواته واقترابه من **المقدَّس**،ليمتد إلى تهذيب النفس وإخضاعها للفعل الإيماني.

2.1. الجسد اصطلاحا

الجسد في المفهوم الاصطلاحي هو ذلك الشيء المادي الذي يَحْضُرُ أمام إدراكاتنا وتلك العضوية التي تضمن الوظائف الضرورية لحياة الكائن الحي. ومن خصائصه الامتداد والكتلة.[2] فهو يُشكل الجزء الظاهر والمرئي من كيان الانسان الذي يحتل حيزاً في المكان... ويتوفر على ثلاثة أبعاد "طول، عرض، عمق" [3] وعليه فكل انسان موشوم بجسده ولا يُفهم مُنفصلاً عنه، وذلك ما ذهب اليه الباحث التونسي "**فتحي جوعو**" معتبراً الجسد خاصية الانسان ولا تطلق إلا عليه، فهو الوحيد المتميز بالحضور الجسدي على هذه الأرض، معتبراً إياه جسد خاص حي مُندمج اندماجاً كلياً مع الوعي.[4]

---

[1] فريد الزاهي، **المرجع نفسه** ، ص27.

[2] Jaguelin Russe ; **dictionnaire de la philosophie**, Bordas. 2004 P : 67

[3] العلوي هشام: **الجسد بين الشرق والغرب، نماذج وتصورات**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، المغرب، 2004، ص54.

[4] فتحي جوعو: **مرجع سابق**، ص56.

أما **فلسفيا** فقد عُرِّف الجسد **Corps** في موسوعة **لالاند الفلسفية** على أنه "جِسْم، جَسَد، جُرْم" وهو كل غرض مادي ومجموعة كيفيَّات تُمثل ادراكنا مُستقلة عنَّا، وواقعة في المكان.[1] إذاً فالجسد منبع الوعي والفكر والحركة وأصل كل شكل غامض.

2.تاريخ الجسد التأسيس والتحولات

تاريخ الجسد وكيفية التعامل معه كظاهرة حضارية تتشارك فيها معظم المجتمعات الحديثة وعلى درجات متفاوتة حسب التمايزات الثقافية المختلفة [2] أما البحث في تاريخه وتتبعه فكرياً فقد زعزع نوعاً من القداسة والفهم التي حظي بها هذا المُعطى الإنساني. وعليه فالجسد تاريخ لا نهائية وسؤال لا جواب يتجاوز البعد الفيزيولوجي التشريحي، ويُستقبل كبنية دالة حسب **مالك شبل**[3] إنه جسد للغة والمعتقدات يتوجب تجاوز قياساته البيولوجية الى قراءات انثروبولوجية... إنه جسد المكان والزمان والتمثلات... ما يجعل منه سؤالاً يخترق كافة الموجودات الاجتماعية والثقافية وكل الطقوس والممارسات وتتشكل الحياة والموت على هذا المعطى الإنساني.

ولَئِنْ أصبح البحث في الجسد في المجتمعات الغربية منذ سبعينيات القرن الماضي من المداخل الكبرى فإن المصريون القدامة هم أول من اقترب منه ولامسه سائلاً هذا الغلاف الإنساني ومجَّد المظهر من خلال التحنيط.[4] أما في المجتمعات العربية فهو وليدٌ في المهد بل ومن المواضيع المُغيبة والمَسكوت عنها، مُرْبكاً ومُثِيراً للتساؤل والجدل والاستفهام لا يمكن فك شفراته واختراق **طابوهاته،** مما يخلق إلحاحاً كبيراً للبحث فيه: **في الطب والفلسفة والفن وعلم الاجتماع وعلم النفس والدين والانثروبولوجيا** وغيرها من العلوم التي أَوْلَتْهُ أهمية بالغة واهتمت بكل جزئياته متجاوزة بعده التشريحي إلى الاجتماعي والثقافي القابل للتفكير والمسائلة كحقل خصب للبحث من عدة زوايا.

1.2.الجسد في الفكر الفلسفي رهانات الهوية والاعتراف

لقد شَكَّلَ الجسد على مرّ العصور وفي معظم الفلسفات التقليدية والحديثة موضوعاً ومادة خصبة لا تنضب للفهم والتأويل الفلسفي والأخلاقي لما له من قُدسية وطهارة. ومع تطور العلوم والأبحاث

---

1 اندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية– A – G–**، المجلد الأول، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان،1993، ص231.

2 منى فياض، **مرجع سابق**، ص15.

3 مالك شبل، **الجنس والحريم وروح السراري**، تر: عبد الله زوار، افريقيا للشرق، المغرب، 2010.ص21.

4 أميمي لورنار: **الفضاءات النسوية: النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية**، تر: عبد الحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر السعودية 2012، ص20.

تغيرت زاوية النظر إليه، باعتباره ركيزة أساسية في معظم العلوم على اختلاف تخصصاتها مما ساهم في تطور مناهج البحث فيه [1] وعليه فلقد اهتم به **الفلاسفة** وعبروا عنه وعن خصوصيته ناظرين إليه ومُعتبرين إياه محورًا للتأمل في طبيعة الإنسان من خلال الثنائيات التقليدية "**الروح الجسد**" علاقته بالعقل والروح والعالم مما بَوَّئَهُ مكانة على عرش البحث والتنظير في منظومة الفكر الفلسفية ويعتبر القرن التاسع عشر (ق**19**) بداية الثورة الحقيقية التي غيَّرت مجرى التَّصور التقليدي للجسد ولعل التَّصور **الفينومينولوجي** الذي تبلور مع "**مين دو بيران، هوسرل ، ميرلوبونتي وريكور**" من مكَّن مِنَ النَّبش في العوائق التي دفعت بالجسد إلى الهامش، بهذا الشكل ارتبط الجسد ارتباطاً وثيقاً بل حتمياً بضرورة الحداثة الفكرية والثقافية، أي الجسد مرادف " **الذات، الانا** "[2] فظهر جلياً في الفلسفة كموضوع يتجاوز كل الثنائيات في أعمال **موريس ميرلو بونتي** الذي اهتم بالجسد وعمد على توضيح مضامينه فلسفيا وإبراز الوظائف والمهام المرتبطة به في علاقته بالعالم الخارجي والانسان فتحول هذا الاخير من الجسم إلى جسد ومن جسد إلى عنصر ومن عنصر إلى مركبة العالم ومن مركبة العالم إلى محور العالم ومن محور العالم إلى قلب الوجود.[3] وأن هذا التحول للجسد إلى موضوع فكري وفلسفي وأدبي واجتماعي قد شكل المنعطف الذي اندمج فيه الجسد في التجربة الفكرية والتعبيرية المعاصرة، ومنه فإن تجاوز الثنائيات التي حصرته وألحقته بالهامشية والثانوية لم يكن له أن يتم من غير تحويل الجسد إلى موضوع مُمكن للفكر والتفكير. [4] وتقنية مُعبِّرة عن الثقافة حسبما ذهب اليه " **مارسيل موس Marcel Mauss**" وغيره من المفكرين الذين يتفقون على ان الجسد يُمكن ان يكون موضوعاً، وموضعاً للاختلاف والتناقض في كل ما يحيط به من عادات ، ممارسات أسماها **بالتقنيات** المُتعلقة بالجسد وبمواقفه ،أو التقنية التي من خلالها يمكن أن يُعرف الانسان والجماعة ويتفرد في استعمالاته المقترنة بتناقل العادات، التقاليد وقيم الحداثة أياضاً.

2.2. الجسد في الفكر السوسيو انثروبولوجي جدلية الاجتماعي والثقافي

مفهوم الجسد في **العلوم الاجتماعية** موضوع ثري بالمفاهيم والدلالات يجمع بين ما هو بيولوجي و سوسيو–ثقافي، باعتباره علامة داخل نسق رمزي يشير إلى انتمائه. تتجاوز دراسته الأبعاد البيولوجية

[1] محمد الحامدي :**مقدمة في سوسيولوجيا الجسد: تقاطع الثقافات وتنازع الهويات**، مجلة إضافات، العدد: 40، لخريف 2017، بتصرف).

[2] فريد الزاهي، **مرجع سابق** ص24

3 عبد الفتاح الديدي: **القضايا المعاصرة في الفلسفة**، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967، ص258

[4] فريد الزاهي، **مرجع سابق**، ص70

التشريحية إلى تحليل الرموز والدلالات والممارسات التي تحيط به في سياقات مختلفة. فهو ليس مجرد كيان فيزيولوجي بل "**نص اجتماعي**" تتجسد فيه القيم والمعايير والأنظمة الرمزية، ويُعاد تشكيله باستمرار عبر الطقوس والعادات والممارسات، ويُنظر إليه باعتباره وسيلة للتعبير عن الهوية والانتماء وأداة للتفاعل مع المحيط الاجتماعي والثقافي. بل إنه أداة عامة لفهم العالم ومادة لا تنضب للممارسات الاجتماعية والتمثلات، يُشَكل من خلالها المعنى في الحياة اليومية من أبسط الأفعال إلى أبعدها في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية.[1]

إذا كان الجسد ذلك المفهوم الثقافي– بالمعنى **الأنثروبولوجي** – فإن قابليته للتفكير والتحليل الثقافي في الآن نفسه هو ما يؤكد خصوبته وخصوصية البحث فيه من دون السقوط في أي نظرة تبتغي تحريره من دائرة **المُحَرَّمْ**، بل من دون قصد يروم الى إخراجه من هامشيته أو استجلابه من اللاوعي إلى الوعي ومن مجال المسكوت عنه واللا مفكر فيه إلى مجال القول والحقيقة والفكر. ليحول هذا الأخير (الجسد) إلى موضوع مجرد عن الذات الباحثة فيه. كظاهرة اجتماعية وثقافية في الزمان والمكان. ويتعامل بشكل خاص مع الطرق التي يصبح بها الجسد ظاهرة ثقافية واجتماعية من خلال تعديلات الجسد وتأديبه. تاي نوه إليها "**مارسيل موس**" مُفدِّما عدة ملاحظات حول تشكيل الجسد من خلال التنشئة،فحسبه أن تلك سلوكات يقوم الافراد مُعَّدة ومُتحكَّم فيها من خلال تلك التقنيات المتعددة والمتناقضة أحياناً "**تقنيات الجسد**" فلقد كان مقتنعاً أن البحث في مفهوم الجسد يجب أن ينتبه إليها بشكل منهجي لما لها من سلطان على تشكل الوعي والممارسة والتمثل.

ولقد شَكَّلَت بدايات القرن العشرين(**ق20**) مرحلة هامة لتبلور "**سوسيولوجيا متقطعة**" لهذا الأخير – **الجسد** – الذي سجل حضوره في الفكر الديني والفلسفي منذ العصور القديمة. وما قدمه فلاسفة ذلك العصر" **أفلاطون ارسطو، ديكارت'** من تصورات حول الجسد " **ثنائية، آلة، وسيطا**" غير أن التحول الحقيقي لم يظهر إلا بعدما عُدَّ الجسد موضوعا سوسيولوجيا وانثروبولوجيا، وكان حضوره أكثر ارتباطا بالممارسات والطقوس. فلقد وضعت أفكار "**مارسيل موس**" الجسد على طالة النقاش وشكلت المنعطف الحاسم في– **سوسيولوجيا الجسد**– فاتحة المجال للتفكير فيه كنتاج اجتماعي، وبذلك أُعطي الجسد تصوراً جديداً أخرجه من دائرة البيولوجي الى الحقل الاجتماعي والثقافي. لتتوالى بعد ذلك الأبحاث والمقاربات الرامية لفهمه وفهم التفاعلات والعلاقة بين الفردي والجماعي.

[1] دفيد لوبروتون، **مرجع سابق**، ص08.

لم يبقى الجسد محصوراً في الثنائيات وحدود الممارسة والتقنية بل اتخذ منحاً آخر اتضح في أعمال **David Le Breton** "**ديفيد لوبرتون**" الذي انطلقت من افتراض أساسي هو أن الإنسان يَصنع ويُنتج خصائص جسده اجتماعياً من خلال اندماجه مع الآخرين وانخراطه في المجال الرمزي.[1] واعتبره فضاء للمعنى والتجربة الإنسانية. كما اقتربت منه الباحثة **Mary Douglas ماري دوغلاس** مُخترقة الفهم الجسدي واعتبرته وسيلة لفهم أي مجتمع في بعده المادي والاجتماعي[2] ذلك البعد الرمزي الأكثر عمقا. وقابلية للطرح السوسيولوجي والانثروبولوجي.

3.2. الجسد والجندر في الخطابات النسوية

تَنَاوُلُ الجسد في **الفكر النسوي** أمر لا يقل أهمية عما سبق ذكره، إنه حديث متشعب من نوع آخر يفتح الباب على الكثير من المظاهر والموضوعات التي لامست بشكل كبير فكر ووعي النساء ما جعلنا نقف متسائلين عن ماهيتها قبل الخوض في مرتكزاتها الفكرية التي بُنيت على الجسد الأنثوي تحديداً متسائلين **ما ذا تعني النسوية؟**

نريد أن نشير هنا الى أن **النسوية** هي الترجمة العربية للفظة **Feminisme** وحسب الحركة النسائية هي حركة اجتماعية استهدفت تدعيم بعض الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للنساء من أجل الوصول للمساواة مع الرجال **(نصرة حقوق النسوة)** [3] وترى **ربيكا ليوين Rebecca Ll** بأن الحركات النسوية ما هي إلا نظرية تدعو الى حصول النساء على حقوق اجتماعية واقتصادية وسياسية.[4] وهي نضال لإكساب المرأة المساواة في دنيا الثقافة التي يسيطر عليها الرجل– **تحرير المرأة من أجل المرأة** – وليس بالظرورة أن يكون لهن أي علاقة بالرجال. وبذلك انتجت النسويات العديد من الخطابات على اختلاف فكرهن وانتماءاتهن:

أ– الجسد واجهة فكر النسويات الغربيات

لقد مرت **النسوية** بتاريخ طويل مليء بالانتصارات والعثرات التي تبلورت فيها الحركة " **فرانكو– انجلو– أمريكية**" الواقعة بين السياسة وتصور الجندر من جهة واللغة والثقافات التي تتبلور فيها من

---

[1] زينب المعادي ، **مرجع سابق** ، ص 27

[2] هيلين توماس وجميله احمد ، **مرجع سابق**، ص27

[3] ملاك إبراهيم الجهني: **قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر' الحجاب انموذجا"**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2015،ص45.

[4] أسامة البحري، **مرجع سابق**، ص16.

جهة أخرى. فلم يكن الجسد في الفكر النسوي موضوعاً ثانوياً إنما شكَّل بؤرة اهتمام واسعة حول **الهوية والجندر** دون تبيان الجنس كتعبير في التخلي عن هويتها وذاتها، والذي يُحرك وعيهن في قبول أو رفض ذلك الاختلاف المبنى على أساس ثقافي لا بيولوجي. ولقد أسهمت الحركات النسائية التي كانت سمتها الغالبة التحرر وحقوق المساواة من إعلاء صوت الأنثى مؤكدة الحق المشروع الذي تكفله الشرائع السماوية قبل الدساتير من خلال المسيرة والحركات الفعلية لفيلسوفات غربيات التي كان لهن دوركبير ومهم في هذا الصدد منهن **فرجينيا وولف، سيمون دي بوفوار، ماري وول**، وغيرهن من ناقدات وروائيات غربيات وحتى عربيات جمعتهن هموم واحدة تحت شعار واحد هو استرداد هيبة الأنثى من خلال مساواتها بالرجل وتشريع القوانين الداعمة ليس فحسب، بل لتكون هي الوجود والحقيقة واللغة والجمال والكينونة.[1] وذلك ما أسست اليه **سيمون دي بوفوار Simon de Beauvoir** رغم أنها لم تستعمل مصطلح **الجندر** بمفهومه **'المرأة مقابل رجل'** بينما ركز توجهها على دراسة أوضاع المرأة. ومع ذلك فإنها مثَّلت مُنطلق شعار نظرية الجندر التي سعت لها الحركات النسوية العالمية منذ بداياتها الأولى من القرن التاسع عشر(19) الى النصف الثاني من القرن العشرين(20) حيث انتقلت بالمطالبة بالمساواة إلى الجندر كوضع ومفهوم جديد يعمل على إزالة كل الفروقات بين الرجل والمرأة. وحتى نتجنب العشوائية علينا الوقوف على المحطات التاريخية الهامة التي شكلت الفكر النسوي **(الليبرالية الراديكالية، ما بعد الحداثة)** أو الحركات النسوية التي ثارت ضد ما يسمى التمييز ضد النساء، وسعت إلى تحسين الأوضاع المتدنية التي تحيط بشأن المرأة حسبهن، والرافضة لكل تمييز بين الأفراد على أساس الجنس والعمل على إلغاء جميع التحيزات والأعباء الجنسية للاعتراف بالإنسانية المشتركة للمرأة والرجل باعتبارهما أساس القانون والعرف.[2] وقبل أن نغوص في التوجه النظري والفكري لهذه الحركات والموجات نريد أن نشير الى أن مفهوم **الجندر** محوري في فهم الذات والأنوثة، هذا المصطلح الذي يستعمل أحيانا بمفهوم **الجنوسة** ومرات بمعنى **النوع الاجتماعي** أو **البناء الثقافي**، فان مفهومه يحيل إلى تلك الفوارق الناتجة عن كل ما هو ثقافي اجتماعي مكتسب.[3] ولقد ارتبطت هذه النظريات بالسياقات الغربية محاولة تشخيص أوجه التفاوت التي تواجه المرأة بما تحتويه من أراء وتراكمات لكل التوجهات الفكرية والنظرية.

---

[1] نادية هنداوي: **الجسدنة بين المحو والخط " لذكورية–الانثوية "**،الرافدين ، لبنان ط1، ، 2016 ،ص10

[2] رياض القرشي: **النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب**، دار حضر موت، اليمن ط1، 2008، ، ص 62

[3] خلود السباعي ، **مرجع سابق**، ص217.

1. النسـويات الليبرالية: رائدات هذا الاتجاه يرون أن الجسـد موطن الهيمنة الذكورية والسـيطرة "انجاب عنف" واللامسـاواة بين الجنسـين. ولقد سـعين إلى معالجة التفاوتات الاجتماعية بين الرجل والمرأة القائمة على الاختلافات البيولوجية (الجنس) حيث تمحور عملهن على إصـلاح القوانين والقضـاء على أشـكال الفروق "**التعليم، والعمل، العدالة امام القانون**" وإعطاء الأولوية للتعليم والعمل و تسـاوي الفرص في الأجور ودخول مجالات عمل كانت حكراً على الرجال. فبذلك هيأت الأرضية لتشكيل الاحتجاجات والانتفاضات المختلفة ضمن الحركة النسائية.

2. النسوية الراديكالية: ركزت هؤلاء النسويات على الجسد الأنثوي الذي رأت أنه مسرح للسيطرة والهيمنة من طرف الذكور "الاسـتغلال، العنف..." فانصـب اهتمامهن يذبك حول ملكية هذا الجسد والحرية الجنسانية معتبرات أن قمع النساء يتم داخل الأسرة يعتبر سلطة قهرية تمارس على النسـاء في امتلاك جسـدهن وحرية التصـرف فيه "**الانجاب، الإجهاض**" فقد تناولن خطين فكريين هامين **الأول** يقتصـر على دور المرأة كتابع للرجل ونتاج السـلطة الأبوية واعتبرت الذكورية والأبوية نظامان متكاملان يكرسان ويدعمان استغلال النساء. أما الخط **الثاني** فهو يرى أن التكوين البيولوجي عيباً فرضـته العادات والتقاليد والمجتمع. [1] كما عالجت المشاكل الجنسـية واعتبرتها لبنة قهر النسـاء وأن الاسـتغلال الجنسـي الذي تتعرضـن له نسـاء العالم الثالث "عرق لون، طبقة، ثقافة" يمثل نقداً للنسوية الغربية.

3. نسـويات الحداثة وما بعد الحداثة: اهتمت ممثلات هذه الحركة والاتجاه بمشـاكل المرأة وربطتها

بعدة قضايا "العرق، الاستعمار، الدين" وارتبطت ارتبطت بظهور **الجندر**. فحسبهن الجسد يمكن أن يكون أنثويا وذكوريا في ذات الوقت "**رجل/امرأة**" مأ أوجد فئات جنسـية جديدة من **المثليين، المسـترجلات.**[2]. حيث فتحت الباب على مصـراعيه أمام النسـوية لِتَعْتَلِي مدارج التنظير مُنادية بحقهن كجماعات وأفراد ورفض الهويات المحددة سلفاً، والمطالبة بإعادة صياغتها وفقا لأهوائهن وتطلعاتهن... فالمرأة في تنظير **النسـوية** ترتدي حلة عالم الأعمال، ترفع شـعرها وتسـتخدم قلم أحمر الشفاه، أما المرحلة التالية لما بعد النسوية فتتسم بطبيعة داعرة بصورة استعراضية وبسلوك

[1] محمد جميل أحمد: **النظرية النسوية واتجاهاتها- بحث في الانثروبولوجيا الثقافية**- مجلة كلية اليرموك، العدد 5 الجزء2، المجلد18، 2022. ص36.

[2] نرجس رودكر، **مرجع سابق**، ص

غير منضبط. فما بعد النسوية ليست إلا ظاهرة يُحركها السوق، وتتحكم فيها كبرى الشركات متعددة الجنسيات التي تبني صرحها على تفاصيل الجسد وكينونة الأنثى... ما جعلها مستهلكة للمنتجات والمساحيق و الاقبال على الجراحة التجميلية والازياء.[1] فرغبتهن في امتلاك أجسادهن والتعبير عن أنفسهن القاسم المشترك بينهن في تجربة البحث عن الجسد والصورة التي جردتها منهم الثقافة بفرضها أنماط من الرقابة ضمن نظام أخلاقي ، فلم تتحدث النساء قبل هذا المسار ولم تمتلك الجرأة في التصدي للصور النمطية التي كبَّلتها لوقت من الزمن. ومنذ تلك المرحلة بدت النساء أكثر تحرر وامتلاك لأجسادهن.

ب- الجسد قطب فهم النسويات العربيات

لقد قدَّمت الحركات النسوية بمختلف انتماءاتها منتوجاً فكرياً هاماً قادته عدة مناضلات عربيات وغربيات منذ نشأة النسوية **الليبرالية** الى نسوية **ما بعد الحداثة**. حيث عملت الجمعيات النسوية على نشر فِكرهن من خلال المؤتمرات والندوات وفرق البحث والدراسات. و إن دراسة خطابات **النسوية** وفلسفتها التي تقف ورائها تقتضي أن نعود إلى الخلفية المعرفية التي شكَّلت هذا الخطاب والمجال، ليس لاستعراض القضايا التي قامت بها أنصار الحركة النسوية ورائداتها لأن موضوعنا لا يزيد عن الوقوف عن **دور** النسويات في **إزاحة** الجسد الأنثوي من الهامش والتي لا يمكن فصلها عن اتجاه نسويات الثقافة العربية التي ظهرت في الاتحاد النسائي المصري من خلال كتاباتها الداعية للحفاظ على الخصوصية الثقافية أو السمة الشرقية التي تتأرجح بين المرجعيات العربية "**دين، تقاليد**" وبين التأثيرات العالمية " فكر نسوي غربي، اعلام، حقوق المرأة" وتُعتبر هذه الحركات **النسوية العربية** بمثابة رهاناً تتقاطع فيه القوى الدينية والثقافية والسياسية بالجسد الأنثوي في مجامعاتنا العربية الاسلامية.

تُمثل كتابات الروائية المصرية **نوال السعداوي** حجر الزاوية في المطالبة بالمساواة الكاملة بين الجنسين، ولقد قدمت قراءة للجسد الأنثوي من خلال نقدها لممارسة **الختان** في المجتمع المصري واعتبرته عنفاً مُسلطاً على الأنثى وجسدها، وآلية هيمنة ذكورية في حقها. تَلَتْهَا المغربية **فاطمة المرنيسي** التي يمكن تصنيفها ضمن النسوية الثانية القائمة على مفهوم النوع الاجتماعي **(الجندر)** لا سيما كتابها "**سلطانات منسيات**" حيث اعتبرت الجسد الأنثوي ما هو إلا استراتيجية سياسية مُكملة للخطاب الديني حيث قدمت تحليلاً مفصلاً وعميقاً للعلاقة بين **الجسد والجنسانية والسلطة** في الثقافة

[1] سارة جامبل، **مرجع سابق**، ص87

الاسلامية "**الحريم السياسي**" لتليها بعض المفكرات التونسيات المتأثرات بتيار ما بعد النسوية و ما بعد الحداثة أبرزهن التونسية **رجاء بن سلامة** حينما تعرضت في اعمالها الى "**نقد الثوابت، بيان الفحولة**" في مواجهتها لخصوم يقاومون مبادئ الحرية والمساوة[1]... مركزة على الجسد كفضاء للسيادة الفردية، حيث ترى أن تحرره لا يتم إلا من خلال الخطاب الديني. أما **أمال قرامي** في مقاربتها حول قضايا النسوية في الإسلام من خلال مؤلفها (**الاختلاف في الثقافة العربية الاسلامية دراسة جندرية**) فإنها بينت كيف يتقاطع الديني بالثقافي في تشكيل تمثلات المرأة حول جسدها، منتقدة القيود القانونية المفروضة على النساء في بعض المجتمعات الإسلامية وتنقلنا لفهم كيف تَبني الثقافة أنساق الخطابات في التراث العربي الإسلامي شخصية الفرد. وكُثُرٌ هن النسويات العربيات اللواتي اقتربن من الجسد ومساءلته أمثال " **السورية غادة السمان والكويتية ليلى العثمان** " وغيرهن ممن طَرَحْنَ الجسد كموضوع للبحث وبلوغ أهدافه الرامية في امتلاك النساء لأجسادهن. وبدَّدَتْ الطريقة التي تتحدث بها النساء عن أجسادهن وعن القيم الاجتماعية التي تتعلق بذلك الجسد وتركيبة النساء النفسية ونسقهم القيمي. فالحركات النسوية العربية غمرت الخطاب " **أدب سينما**" بالتمثلات الفنية والرمزية كاشفة عن نظام قيمي جديد يدعوا المرأة للتحرر من خلال تفكيك آليات الاختلاف لتحقيق المساواة وبلوغ الأنوثة.

إن قراءتنا المستفيضة لمحتوى هذه الحركات والتوجُّهات جعلتنا نتوقف على العديد من المعارف والمفاهيم التي سَهَّلَتْ، وتُسهل علينا فهم وضع الأنثى والمعارف المُتمركزة حول الجندر الذي يعطيها المعنى الاجتماعي، غير أنه يجعلنا حذرين في التعامل مع مفهوم النوع الاجتماعي (**الجندر**) أو الاختلاف الجنسي **ذكر/ أنثى – رجل/ امرأة** التي تُبنى عليها كل أشكال اللامساواة والهيمنة. فحسب "**دي بوفوار Simon de Beauvoir** " يجب أن يكون جسد الأنثى هو المقام والوسيلة لحرية النساء وليس ماهية وراسمة للحدود إنتاج وإعادة انتاج تلك السيطرة...حيث اعتبرت جسد الأنثى المُحرر من قيود القانون الأبوي يُثبت أيضاً أنه مع ذلك تجسيد آخر لذلك القانون.[2] مما دفع رواد الحركة النسوية الى دحض هذا التعصب والاضطهاد وتعزيز مصالحها وإصلاح وضعها الاجتماعي، حيث لم يكن النظال النسوي تحسين للوضع والحصول على التعليم فقط بل أتيحت لها فرصة العمل وتحررت بذلك من التبعية، وشعرت بذاتها وكينونتها. وبناء على ما سبق ذكره فان نظال الحركات نسوية اتسعت

[1] ملاك إبراهيم الجهني **مرجع سابق**، ص39

[2] جوجيث بتلر، **مرجع سابق**، ص221.

مطالبها من رفض هذا الاستغلال إلى المطالبة بالحق في تحديد كيف يُظهرن أجسادهن دون وصاية مجتمعية أو اقتصادية. وهذا هو محور بحثنا، وعليه فأن اهتمامنا بالنظرية النسوية ومفهوم الجندر يوفر لنا الفهم العميق لسعي المرأة في التحرر من التهميش وكل أشكال السيطرة المفروضة عليها بشكل يخدم الجسد ويمنحه الاستقلالية في كل شيئ.

3. الجسد في الفكر العربي والإسلامي بين المقدّس والمدنّس

مسائلة الجسد **عربيا وإسلاميا** زاوية مهمة للنظر، فالجسد سؤال الثقافة العربية برمتها مكبوتها وهامشها [1]... فلا يمكن الحديث عن الجسد الإسلامي من دون ربطه بالقُدسية التي أَضْفهَا عليه الإسلام عبر تقنين حركاته وسكناته ومنحه دلالات تتداخل فيها قوانين الكون الإلاهي والحدود المفروضة عليه باعتباره جسداً اجتماعياً وثقافياً يستوجب النظر والكثير من الحيطة والحذر. فالجسد ليس كيانا مُنغلقا إنه فضاء من نوع خاص ينفتح على العالم ويُضفي عليه من معاني وجوده. خَصَّهُ الاسلام بالرعاية والاهتمام وصون النفس كالاهتمام بالنظافة والرياضة وملاحة المظهر وطيب الرائحة...الخ وكان للجسد الأنثوي نصيبه من حيث الاهتمام به والرعاية والصيانة بما يتناسب مع خصوصيته وضوابط الشرع وقوانين المجتمع.

إن الجسد الذي نتحدث عنه **(الأنثوي)** تحددت صيرورته في النصوص الإسلامية ويتطور فهمه في الأبحاث الاجتماعية والتاريخية والنفسية وغيرها من المشارب المعرفية التي منحته دينامية جديدة ليتجاوز بعده التشريعي وينغرس في تجربته السوسيو ثقافية. وعليه فإن الحديث عنه من المنظور الإسلامي لا يعني حصره في مجال طقوسه الدينية حتى تكتمل صورته، في الاعتناء به وتجميله المحدود، المشتمل على قدوسيته "**لباس، سواك كحل...** " وفق استراتيجية المظهر **(رجل امرأة)** وأن تقنينه في إطار **الممنوع والمشروع** لا يعني ذلك جهل بالجسد أو تَخَلُّف ثقافي عقائدي، بل هو الحرص على استخدام الجسد استخداماً صحيحاً بما يتناسب وفطرته، وإدماجه في دائرة المقدس. [2] وأن المتتبع لمفهوم الجمال الأنثوي في الإسلام لن يخرج عن قاعدة البوح والصمت المربوط بالاختيار الزواجي، إذ يجتمع الدين مع الجمال في قول النبي صلى الله عليه وسلم "**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها، ونسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**" وعليه فجمال المرأة حتمية أفرزتها

[1] فريد الزاهي، **مرجع سابق**، ص9، ص34

[2] صوفية السحيري بن حتيرة، **مرجع سابق**، ص92.

طبيعتها الأنثوية مما يجعلها كائن مظهري بامتياز ويشكل **الوجه** العنصر المركزي وصورته الكلية، بل بدل الأنثى بأكملها وهمزة الوصـــل والتواصـــل. **(الرفض، القبول الاشـــتهاء، الاحتقار...الخ)** باعتباره الوجود الذاتي للإنســـــان على حســـــب "**فريد الزاهي**" إنه مُنتج المعاني ومنظومة قيم ومعايير الوجود والأخلاق والجمال. يُعيد صـــياغة العالم من حوله ويَمنحه خصـــوصـــيات جديدة ثقافية ورمزية تجعله مُنسجما لا ينفصل عن ثقافة محيطه الاجتماعي والسياسي[1] فالجسد مُكون راسخ من مُكونات البحث الاجتماعي والثقافي، وهو جزء دائم الحضـــــور بدرجة تزيد أو تقل في كل تفاعل ... وبؤرة للكثير من المُحرَّمات والتَّحيُّزات والأحكام التي تُقرر مكانتنا في المجتمع بالكيفية التي نُحرِّك بها أجسادنا ونَكسوها ونَصونها ونُهذِّبها ونَتفاعل بها... باعتبارها موضوع لكثير من الجدل. [2]

لقد قدم لنا **فريد الزاهي** عملاً عن الجســـد ودلالاته من خلال رموز الثقافة العربية الاســـلامية وفكك سـلوكيات الجسـد اليومية " النوم، الطعام، الشـراب، اللباس، النظافة، الطهارة، الصـلاة – التعبد العمل، الراحة..." مُظْهِراً لنا مُحتوى الذهنية التي كونت الجسد العربي والإسـلام. حيث صـنَّفته ضـمن ثنائية "**المقدس والمدنس**" وجعلت منه مفهوما "**للحلال والحرام**" واعتبرته أكثر مُســـائلة للطهارة مقارنة بالرجل لارتباطه بدم الحيض الذي يمنعها من ممارسـة طقوسـها الدينية، كما أنه مدعو للإنضـباط لقيم الجماعة حســـبما هو متعارف عليه من النصـــوص الدينية. لذلك لا بد من الاهتمام بكل الجزئيات والتَّفاصيل الدَّقيقة لهذا الجهاز الحاسم في التنظيم الاجتماعي. والذي منح للإنسان سلطة التَّصرف في جسده. وذلك الذي وقفنا على مضامينه في الكثير من المرات أثناء تواجدنا في فضاءات التجميل ، فما تحدثت عنه الأنثى وأفضـــت له المقابلات مهم ومشـــترك في الفهم والمعنى كما يتضـــح في حديث مبحوثاتنا **(المقابلة رقم15):**

" المرأة مَنْ بَكْرِي تَتْفَرَقْ عْلَى الرَّاجَلْ فِي كُلْشْ فِي لَبْسَتْهَا

هَدْرَتْهَا مَشْيَتْهَا يعَنْي لَازَمْ عْلِيهَا تَتْهَلَى فِي رُوحْهَا كِيمَا

عَلْمُونَا وَالْدِينَا نْعَلْمُو وْلاَدْنَا الحْيَاء وَلْحَشْمَة مَنْ رَبّي وَمَنْ لْعَبْدْ"

لقد أُخْتُزِلَ الجسد الأنثوي في الشكل والمظهرالذي يعني **الجمال**، فكل النساء ترغب في الوصول إليه وتســعى كل عائلة الى أن تظل بناتها ونســائها جميلات، لأن النســاء الجميلات أكثر نجاحًا في

[1] – فريد الزاهي، **مرجع سابق**، ص32.

[2] ، فريد الزاهي، **نفس المرجع** ، ص23.

الحياة وأكثر رغبة في الزواجمنهن. فالسمة المسماة "**الجمال**" متجسدة في المكان والزمان مُمتدة عبر مراحل النمو ومُتربّعة في – **طقوس المرور**– تَصْقَلُ الجسد ، لا تُعلم الأنثى فنون الإعتناء، التجمل والظهور بل تُلقِّنها منذ الصغر معنى أن تكون أنثى جميلة فاتنة بين قريناتها لتظل مشتهاة مرغوب فيها. فلطالما رُبِطَ الجمال بالخصوبة في مجتمعاتنا العربية مما يجعل الجسد الأنثوي خاضع لذلك الفهم، محكوم بقوانين العرف والدين، ومُسيج بالمحظورات والممنوعات مَحْصُور في الشهوة والرغبة، في الغواية والاغراء ليظل مانحاً للحياة (الزواج، الانجاب) للمكانة والقيمة الاجتماعية محافظاً على ديمومة التمثلات في عصر الحداثة التي أصبح فيها الجسد الأنثوي خاصة مشروع استثمار قابل لإعادة البناء والتشكيل وفق تصميمات صاحبته في حجمه وشكله وحتى محتواه، رغبة منها في جسد أكثر أنوثة. معتبرة إياه ليس مجرد كيان مادّي فحسب، إنما هو **مشروعها الذاتي** الذي يعكس الاستقلالية والتحكّم فيه من طرف صاحبته في محيط اجتماعي وثقافي يُثَمْنُ قيمة الجسد الأنثوي ويتوجسد من حرية امتلاكه التي تجعله أكثر انسلاخ مما يُفقده صورته أمام الآخري. كما صرحت لنا إحدى المبحوثات **(المقابلة رقم16)**

" لَمْرَأة تَعْ الصَّحْ فِي وَقْتْنَا مَبْقَاتْشْ خَاطَرْ لْجِيلْ تْبَدَّلْ لْيُومْ يَا لَطِيفْ مَنُوا
مَفْضُوحْ وْزَادْ رَبِي فَضْحُو أَكْثَرْ وْأَكْثَرْ فِي كُلَّشْ لَعْرَا في الَّبْسَا يْحَاسْبَكْ
وتْبُودِيعْ في المَاكْيَاجْ بْلَا هَدْرَه ايْتَبْعُوا في لاَمُودْ وتْبَالْهُمْ رَاهُمْ مَتْحَضْرِينْ
ومَتْفَتْحِينَ مِي فِي لْحَقِيقَة جَهْلُوا حَتَانْ مْسَخْهُمْ ربي"

وبناء عليه فإن معظم الدراسات التي إهتمت بالجسد الأنثوي خاصة الدراسات الاجتماعية **والأنثروبولوجية** نظرت إليه مُعتبرة إياه بناءً ثقافيًا ورمزيًا يتجاوز طبيعته البيولوجية، ليتحول إلى وعاء تتشكل فيه المعاني المرتبطة بالأنوثة، والجندر والهوية الاجتماعية، ومساحة تتقاطع فيها الخطابات الثقافية والدينية والطبية والإعلامية التي تسعى إلى ضبطه وتشكيله، وإعادة إنتاج صورته وفق معايير جمالية وأخلاقية محددة. يُنظر إليه من خلالها على أنه الواجهة التي يتم بواسطتها الإعلان عن الانتماء الثقافي والاجتماعي[1] مكَّنته من اكتساح ميادين الممارسات والخطابات التي كانت غير معروفة من قبل حيث فرض نفسه كموضوع للخطاب بعد القمع والتَّكتم، لكن الموروث المتربع على اللاوعي الجمعي لم يتم التخلي عنه بعد، ولايمكن نسيانه أو تجاهله ، وما هو مُتجسد أمامنا في

[1] خلود السباعي، **مرجع سابق**، ص11.

مجتمعنا البحثي العربي الاسلامي الشاوي والمتوسطي لا يمكن نكرانه ولا تجاوزه، فالنموذج الثنائي لا يزال قائماً يُصاحب الجسد الذي يَسير إلى قيم الحداثة والتحرر بخطى مُتثاقة تارة ومتسارعة تارة أخرى. يكشف أن الجسد الأنثوي قد غُذَّ بطرق متعددة خارج نطاق السيطرة.[1] نتيجة التطورات التي طرأت في مجال العناية الجسدية والجراحة التجميلية وعلم الرياضة، حيث أصبح الجسد ظاهرة بدائل وخيارات أسهمت في التحكم فيه، الأمر الذي أثار بحثنا عن تمثلات الجسد وهويته الجندرية التي يَبنى عليها المجتمع أخلاقه وكينونته الاجتماعية والدينية أمام ثقافة صناعة الجسد "**عمليات التجميل، صيانة الجسد وتجميله ...**" ما أنتج علاقة تمرد على قدسية الانسان وحرمة الجسد تحت شعار الملكية الفردية والتحرر الذي تدعو اليه الحداثة ومُنَظِّريها. وذلك ما أكدته خلود السباعي في كتابها "**الجسد الأنثوي وهوية الجندر**" " الجسد يمثل الهوية الفردية فمن خلاله يدرك ذاته ويقيِّمها مما يمكنه من بناء الذات من جهة والوعي بالآخر من جهة أخرى" فصورة الذات هي تقييم ناتج عن معادلة معقدة متعددة الأبعاد يتشابك فيها الوسط الاجتماعي بالثقافي وبمختلف التجارب الفردية. بل غدا رمزاً من الرموز التي تستعملها المجموعة لِتُعَبِّرَ من خلاله عن رغباتها وطموحاتها. ومادام الجسد معطى ثقافيا فهو نص ونظمٌ من الكلمات والمعاني المعبرة يمكن قراءته وفك رموزه من خلالها.[2] يحمل في آن واحد آثار التمثّلات التقليدية الموروثة، والرموز الحداثية المعاصرة، مما يجعله مرآة لتحولات المجتمع.

ثانيا: التنشئة الجندرية استراتيجية الترويض والقولبة

لقد عُرِفَ القرن الحالي بقرن الجسد لاحتلاله مكانة محورية في الوعي الفردي والجماعي. فلم يشهد العالم تحوّلًا جذريًا في نظرة الإنسان إلى جسده كما عرفته العقود الأخيرة من القرن العشرين. ففي نصفه الثاني تَسَنَّمَ الجسد وأصبحت العناية به ورعايته ونحته وتحسينه "**ديناً جديدا**" أو" **ديناً دنيوياً** يُحدد أولوياته ومعناه.[3] ويُتيح لنا النظر إليه من كل الجوانب والزوايا سواء في العلوم الطبية البيولوجية أو في إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالتالي فهو ضرورة تتطلب البحث فيه حسب **دفيد لوبروتونDavid Le Breton** في مقدمة كتابه الموسوم بـــ "**أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**" فالجسد

[1] دفيد لوبروتون ، **مرجع سابق**، ص150.

[2] جلال الدين سعيد:، **فلسفة الجسد** ، دار امية ، تونس، ط2 ، 1993 ، ص49.

[3] سرتاج تيمور دمير: **حضارة البشرة ' الجسد وما بعد الجسد في الثقافة المعاصرة"**، تر: أحمد فهد يوسف، مؤسسة دراسات تكوين للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، ط1، 2022، ص9.

واقعة طبيعية وحقيقة ثابتة كونية، ومفهوم اشكالي وتصنيف تاريخي معجون بالمتخيل، يتوجب علينا أن نفك رموزه في كل مرة من داخل ثقافة معينة، فلا شيء أكثر هروبا وتملصا منه.[1] وأن البحث فيه حديث من نوع آخر "**بنية اجتماعية ونمط فردي**" لأن الأسئلة البحثية المتعلقة بهذا الأخير – **كائن ثقافي** –تقع في صميم الاهتمام العلمي في تخصصات متعددة تقع بين الفلسفة، والتاريخ، والدين، وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا ومحرك أساسي في تجربة الوجود الإنساني يتجاوز أبعاده المادية ليصبح وسيطًا ثقافيًا وحاملاً للمعاني والرموز التي تعكس قيم المجتمع ونظامه. ويسهر الوالدان على غرسها في وعي الناشئة "ذكور، اناث" خاصة الأنثى التي يُخشى عليها الانفلات من معايير المجتمع وضوابط الأسرة أمام هذا السيل العارم من معطيات الحداثة وعوالم خدمة الجسد.

1. الأسرة وقولبة الجسد الأنثوي بين الظاهر والخفي

يَسْهَرُ الوالدين "**الأم– الأب**" على تنشئة الطفل التنشئة الجندرية المناسبة، كما يحرصان على إشباع مختلف حاجاته النفسية والروحية، باعتبارهما المسؤولان الوحيدان على تربيته بدنيا، دينيا واخلاقيا وفق ما تقتضيه الأعراف والعادات والتقاليد والقانون والدين، مما يسمح بِتَشَكُل هويته وصقل شخصيته وأن عملية التَّشكيل تتطلب نوعاً من الرِّعاية والتَّدبير حتى يذوب الجسد في منظومة القيم ويندمج فيها. ومن ثم تعمل التنشئة الاجتماعية على تعزيز الرقابة الداخلية والخارجية والتمايز الذكوري والأنثوي، التي تُرسم من خلالها الهوية والانتماء الجنسي "**الهوية الجندرية، الهوية الانثوية والذكورية**" وتُضبط طقوس العناية الجسدية المرسومة على جغرافيته التي حددتها الأنساق الاجتماعية والثقافية والدينية قبل مجيئه. فتبدأ منذ اللحظة الأولى لاستقبال هذا الجسد عملية القولبة والجندرة بما يتوافق ومعايير المجتمع وقيمه الاجتماعية الثقافية والدينية عبر مختلف المؤسسات الاجتماعية "الاسرة، المدرسة المسجد، الاعلام " التي تُفْرِضُ على الفتيات في سن مبكرة، فتُوجه فكرهن وممارساتهن حول أجسادهن " **المظهر، اللباس، اللغة الحركة...**" حتى الملامح الانفعالية بما يتوافق مع تصورات المجتمع عن "الأنوثة".[2] ما يضمن لها المكانة ويُضفي عليها سحراً وجمالاً بين قريباتها عنوانه الحياء والحشمة، وقيمته الانتماء والهوية.

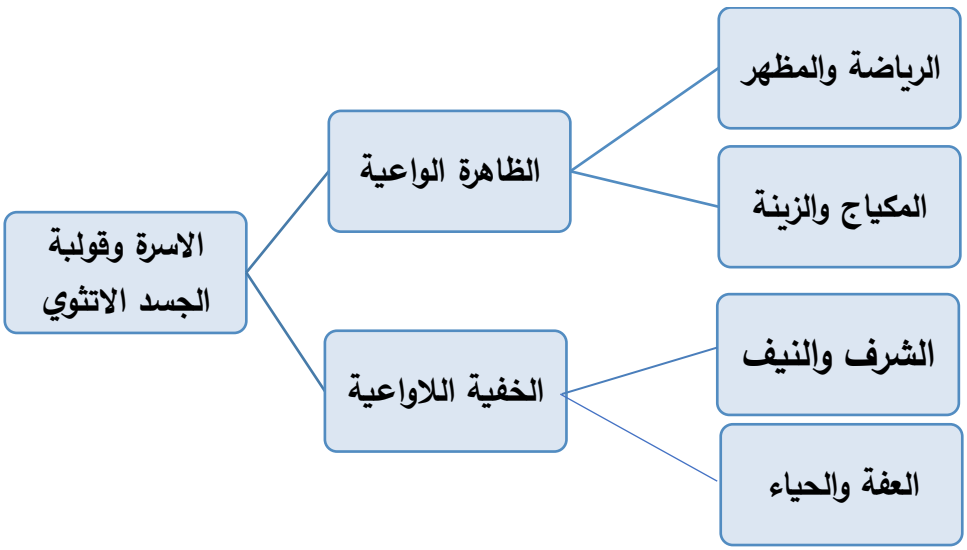
[1] أميمي لورنار ،**مرجع سابق**، ص28

[2] بيير بورديو، **الهيمنة الذكورية**، ترجمة سلمى بن عبد العالي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 47.

أ- **الجســـد والهوية الجندرية:** إذا كان النوع **Sex** مُعطى طبيعي وبيولوجي تشـــريحي فان الجندر **Gender** يُعتبر البناء الســوســيوثقافي الذي يُنْتَجُ ويعاد انتاجه من خلال الرموز والتمثلات التي تمارس على الجسد باعتباره الحامل والدعامة الهامة للهوية الجندرية، حيث أننا حسب سيمون **دي بوفوار** لا نولد محددين بجندر اجتماعي إنما نكتسبه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة ونحوله الى علامة وهوية جندرية.

ب- **الجندر والهوية الأنثوية:** تلعب التنشئة الإجتماعية الدور البارز في تشكل الأنوثة المرتسمة على ملامح وجغرافية الجســد. وأن هذه العملية ليســت عشــوائية إنما نعتبرها آلية من آليات الهيمنة التي تَرْعَاهَا الأسرة والمجتمع، وتسهر عليها النساء "الأم، الجدة، الأخت..." حيث تُرَسَّخُ التَّرَاتُبْيَّة الجندرية منذ الطفولة الأولى، وتُعَزَّزُ مفاهيم الذكورة "**قوة، استقلالية، هيمنة**" والأنوثة "**تبعية، ضعف رقة**" عبر سيرورات نفسية وأخلاقية في وعي الأنثى لتنسجم ومعايير المجتمع . فالأسرة إذاً أول فضاء يُعزز الفروق الجندرية والتنشــئة أول دروس الحياة وان التفاعلات محطات هامة تُحَدِّدُ الأدوار وتحفظ القيم التي تُسهم فيما بعد في تحديد الهوية الأنثوية كما يبينه الشكل التالي:

الشكل رقم 5: الأسرة وقولبة الجسد الأنثوي بين الظاهر والخفي(من أعداد الباحثة)



إذاً يُصنع ويُشكل الجيل عامة والانثى تحديداً عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تُعتبر الأسرة الباعث والداعم الأول لها. والناقل لمعانيها المُعْلنة والخفية ضمن قوالبها الدينية والأخلاقية

بما تُعَلِمُه لأفرادها **(ذكور، إناث)** من سلوكات وممارسات التعامل مع أجسادهم عبر مختلف الأساليب والطقوس المتوارثة بين الأجيال، والمتضمنة قوانين الجسد وتمثلاته "**النواهي، المحظورات**" حيث تُنقش القيم الدينية والأخلاقية منذ الطفولة على الجسد بيد الأم بشكل خاص الحارس الرمزي والمُنْتِجُ لكل هذه القوالب سواء الواعية منها واللاواعية من طقوس اعتناء بالمظهر، تزيين وكل مظاهر العناية الجسديةبما تحمله من مظامين قيمية مُعلنة و/ أو خفية "**الشرف الحياء، العفة، النيف**" والتي تُخضع الجسد الأنثوي للرقابة الذاتية وتحدد سلوكياته. بينما يلعب الذكور "**الأب، الأخ**" دور المراقب والمقيد لكل ما يُهَدِّدُ السمعة والشرف .

وبالتالي فإن الحديث عن الجسد يُحيلنا إلى مفهوم "**الذكورة الأنوثة**" "**الرجل، امرأة**" ذلك المُعْطى السوسيو ثقافي والكينونة التي عُرفت بها الأنثى على مر العصور وفي مختلف الجماعات بأنها مجالاً للتهميش والاقصاء، فرُبط جسدها بالفتنة والاغراء ونُسجت حولها العديد من التمثلات التي جعلت منها جسداً مَنقوصاً مُحاطاً بمختلف آليات الضبط والتشكيل والقولبة، جعلت من الأنثى المرتبة الثانوية بعد الرجل، وأتاحت له بذلك حرية التصرف فيها والهيمنة عليها معتبراً إياها خطراً يهدد شرف وعرض الرجل وسمعة العائلة. وأن هذه الهيمنة الذكورية مدعومة بالتقاليد التي تُحول الجسد الأنثوي إلى مساحة من التصرف غير المُبَرَّرَة، كما تعطيه" **الذكر**" مسؤولية الدِّفاع عنها وعن شرفها. بل تُقْحِمُهَا في دور الإنجاب ورعاية الأسرة وضمن المجالات الحميمية والفضاءات الداخلية مما قلل من كفاءتها كأنثى فاعلة، ورسَّخ فهماً عميقاً بأنها مجرد جسد، والفضاء الذي تُمارس عليه مُختلف عمليات التنشئة الاجتماعية المستمرة منذ **الطفولة** الأولى تحت رقابة الأم التي تتعلم منها كل المعارف المتعلقة بمفهوم الجنس والجنسانية وطقوس العناية بجسدها وأنماط السلوك والضوابط الاجتماعي التي تُناسب سنها، فتبدأ بمحاكات أمها باكراً في كل أفعالها اليومية (اللباس، النظافة الحركات...الخ) وتُعيد انتاج تلك المفاهيم المتجسدة في هذا الجسد كلما سمحت لها الفرصة عَلَّهَا تحوز على رضاها "**الأم**" وإعجاب الآخرين، وقبولاً اجتماعياً. حيث تترعرع وسط عالم تحف به مظاهر الأنوثة من كل جانب، تتلقاها عبر قنوات التنشئة المختلفة وعبر طقوس العبور التي تنشئها وتشكلها للإندماج السوي وتحدد الشكل الذي ستتخذه لاحقاً في قلب المجتمع الذي يصبغ عليها صفة الأنثى المثالية.

تستسلم الفتاة بدون أية مقاومة لأساليب القولبة والتشكيل الجسمي (المظهر) والنفسي التي تسهر عليها العائلة وتُقَوِّمُهَا، فتظهر سلطة الأم فيها أكبر من سلطة الأب ما يجعلها تتماهى مع أمها في

ســـن مبكرة، تتعلم منها العناية بالأطفال من خلال رعايتها **لدميتها** وتعاملها معها كأم حينما تُعاتبها وتلومها تُعاقبها وتُدافع عنها، تقوم بتربيتها تماما كما تُربى في الواقع، وتعيد بذلك انتاج كل الســلوكات والممارسات من الحب، السيطرة، الاقصاء، العناية من خلال مدللتها "**الدمية**" وبذلك فإنها تستدمج في ذاتها أن التربية من مهام النساء والدور المنوط بها مستقبلا، وأن تربية الأبناء قدرها ودورها المستقبلي . وبذلك تكون قد رسخت في وعيها المفهوم الحقيقي لتلك الأنثى ولمعايير وقيم ذلك الجسد المَستدمجة في شـــخصـــيتها. وما إن تظهر علامات **الأنوثة** بجلاء حتى تُصـــبح البنت محط أنظار ورعاية من طرف الجميع، حيث تُحاصرها العائلة والمجتمع برقابة شديدة. فلحظة **البلوغ** مدخل رمزي لقولبة الجسد الأنثوي بامتياز، يبدأ معها التشـــكيل الاجتماعي للفتاة البالغة، وهندســـة جســـدها بما يلائم المرحلة العمرية"**مراهقة**" وما تتطلبه من خضـــوع لأنواع التدبير والتهذيب والعناية لهذا الجســـد عنوان كينونتها. فقائمة الالتزامات المفروضـــة عليها وعلى جســـدها تعد نظاماً صـــعب الإختراق، أوجدت له الأســـرة والمجتمع ترسانة من الضَّوابط التي تحفظ الجسد، ويعتبر طقس الثقاف (التصفيح) طقس عبور حامي للجســد الأنثوي من الإختراق وعلامة ســوســيوثقافية عرفها مجتمع البحث الذي تعلم باكراً كيف يحمي الشــرف المرتســم على الجســد، غير أنه وتخلى عنها اليوم، فلم يعد لهذا الطقس" **التصــفيح، الثقاف**" حضـور أو اعتراف، لكن الباقي أن الجسد الأنثوي طابو وحُرمة يستوجب الحفاظ عليه من كل إختراق عبر قيم تتناســب وخصــوصــية المجتمع . فكلما نضــج فِكر البنت أكثر فأكثر توطدت دعائم الأنوثة حينها لا يصــبح تقليد البنت لأمها في تزيين الجســد والعناية به وبالأنوثة التي تعلمتها منها ممتعاً إنما بدأت تدرك أن هذا الأمر سلطة واضطهاد وتقييد لقدرات المرأة. سلطة غير مرئية لكنها محسوسة، إذ لا تريد أن تكون مُستسلمة لتلك السلطة مثل أمها بل تتطلع إلى الإنفلات من هذه السلطة المقيّدة لحب الذات والإعتناء بالجسد، تختار ما تريده ولايهمها ما تمليه عليها العادات والعرف القاضـي بأن جسدها ملكها ولها حرية التصرف فيه.

بشكل عام تبقى الفتاة تتحسس في قرارة نفسها وجودها المستقل عن أمها، لا تريد الاقتراب منه ومن إنبعاث ماضـي الطفولة الذي حفظته واستقر في ذهنها بحمولته القيمية "**بنت الرجال، خوك راجل**" حيث يتراء لها الحاضـر كمرحلة انتقالية محفوفة بالمخاطر، تتحسس في مراقبة الآخر وملاحقته حفظاً له من كل ما من شـــأنه أن يهدد كيانها ووجودها الأنثوي لأن مع كل اقتراب غير آمن فإنها تقضـــي على سمعتها وتقضـي على شرف كل الذكور الذين استبطنت سلطتهم باكراً. فكل شـيء في المراهقة

يُحاك ضدها وضد جسدها محل الشرف والسمعة لِيُعْدَّهَا للدور المنوط بها مستقبلاً. فَيُغْرَسُ في وعيها معايير الرفض والقبول، وتتعلم أساليب التعامل وفنون الاعتناء والامتثال لقوانين الرقابة الموضوعة فيه والموشومة عليه، طبعاً يتم كل شيء تحت مراقبة الأم التي تحرص على تلقينها أسس الاعتناء بالجسد والحفاظ عليه ليصبح مطلوباً مشتهى في سوق الزواج. وتُثبت في نفسها قوانين الزينة التي لا تخرج عن معطاها الديني في حفظه من كل انتهاك أو تحرش ذكوري قد يطالها ويطال شرفها وشرف كل العائلة. كما تُعلمها أيضاً أنها كلما كبرت زاد تَكَتُّمُهَا على جسدها وعلى مظاهره الأنثوية، **فالبلوغ** مرحلة حرجة بالنسبة للفتاة والعائلة معاً، تتطلب التعامل بحذر مع هذه المظاهر الصارخة على الجسد الذي تتقاسم خصوصيته مع قريناتها ومع نساء العائلة "**الخالة الجدة، ابنت العم، العمة...الخ**" في فهمه وفك شفراته. فالمعاينة والمشاهدة فرصة مهمة لتعلم وفهم كل الممارسات والطقوس، وخصوصية الأنوثة في كل مظاهرها "**لبس، تمشيط نمص مظهر...الخ**" ويزيد من تعدد معارفها المتصلة بصيانة جسدها وحفظ صحتها في الحياة اليومية و المناسباتية. فتتعهد جسدها بالعناية عبر مختلف الممارسات والطقوس التي أصبحت تعرفها وتُتقنها. كما أخبرتنا إحدى المبحوثات **(المقابلة رقم 17)** قائلة:

" الطُّفْلَة تَتْعَلَمْ مَنْ صْغُرْهَا تْلَقَّطْ حْوَاجَبْهَا وتَّسْبَغْ
شْعَرْهَا وتَّتْهَلَى فِي رُوحْهَا كِيمَا شَافَتْ امْهَا أَدِّيرْ"

التقدم في العمر مرحلة مهمة يزداد فيها اهتمام الأنثى بجسدها من خلال تكثيف العناية به وبكل أجزائه من الرأس إلى مخمص القدمين، ويزداد انخراطها في مختلف الفضاءات التي تحفظه وتزيد من جماله لا لشيء إلا لأن الزينة متممة للجمال الأنثوي.[1] كما تخدم قيم الذكورة المكتومة والمتجذرة في الوعي الأنثوي والضمير الجمعي بأن الذكور أعلى مرتبة من الإناث وصولجانهم الحافظ يدفعهم دوماً لحفض مراتب الشرف وخصوصية الجسد كما صرحت لنا المبحوثة: **(المقابلة رقم19)**

الْعْوَايَلْ في باتنة يَشْتُوا ذْكُورَة وَيْبَجْلُوهَم عْلَى لْبَنَاتْ كِيمَا كَامَلْ اَدْزَايَر
مَايْدِّيكْ مَايْجِيبَكْ الّي يْقُلَكْ نَشْتِي لْبَّنَاتْ خِيرْمَنْ الذْرَارِي غِيرْ هَدْرَة بَالْفُمْ
وكِي يْجِي الصَّحْ الطْفُلْ هُوَ كُلَّشْ أَمَّالاَ قَبْلْ مَا تَلْبْسِي وإِلَّا تَعْدْلِي رُوحَكْ
خَمْمِي فِيبَابَاك وخُوكْ خَاطَرْشْ تَتْقَدْرِي وتَتْعَايْرِي بِيهَمْ

[1] امال قرامي: **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي**، بيروت، لبنان، ط1، 2007، (بتصرف)

إن ما تتعرض له الأنثى من تنميط جندري وقولبة قائم على مفاهيم "**الســـتر، الحياء العرض، الشرف**" يتم فيه إنتاج صور الجسد المُلتزم بقيم الاحتشام، والتواضع بما يتماشى وقيم العائلة والمجتمع. وتُحَدِّدُ من خلاله معايير وأشـكال الجسـد " **المظهر، الظهور**" وتُرسـم حدود "المرغوب والممنوع" التي تبني مفهوم الأنوثة. فكلما توافقت وتلك المعايير حققت الانسـجام مع الأبنية الاجتماعية والثقافية وكلَّما حادت وشَـذَّتْ عنها نُعِتَتْ ووُسِـمَتْ. وبذلك فإنه كلما ابتعدت الصـورة عن هذه المعايير تكونت لدى الفرد اتجاهات سلبية نحو جاذبيته الجسمية. وكما تعمل أيضـا على انتاج جملة من المفاهيم والصـور النمطية المرتبطة بالجندر والهوية الأنثوية. وذلك ما تحدثت عنه ســـيمون **دي بوفوار** في كتابها " **الجنس الآخر**" عندما عبرت بمقولتها الشـــهيرة: " **المرأة لا تولد امرأة، بل تصـــبح كذلك**" فلا يوجد أي قدر بيولوجي أو نفسـي أو اقتصـادي يستطيع تحديد الصـورة التي تبدو عليها الأنثى ضـمن المجتمع[1] أي أن وجود المرأة ووضعها الحالي مرهون بطفولتها التي تشكل خيطها النَّاظم، إذ لا يُنظر إليها ككيان بيولوجي محايد بل حامل لرموز ومعاني مختلفة "الضـــعف، النعومة الانجاب، الجمال... الخ" التي يُشـكَّل من خلالها الجسـد عبر سـيرورات إجتماعية وثقافية تعمل على ترويضـــه وإخضـــاعه لأنماط الضبط الاجتماعي فتحوله الى "**جسد اجتماعي**". وأن هذه القوالب صـارمة في صـناعة جسد الأنثوي وفق معاييره وقوالبه المحددة، تُوجب عليه التوافق معها وإلا سيكون عرضة للنبذ والتمييز **و/أو** الحرمان من عدة امتيازات من أبرزها كسب حب وإعجاب من حولها، وبهذا الشكل يصبح الجسد الأُنثوي وسيلة لنقل القيم والمعاني والأدوار الجندرية التي قضت أن تكون المرأة إلّا جسداً.

لم يُتْرَكُ للأنثى حرية إمتلاك هذا الجســـد كما تريد، إنما تم تطويقه بجملة من اللوائح والقيم الأسرية والسياقات المجتمعية، التي تُلْزِمُهُ بجملة من الصفات والمعايير المحددة دينيا، اجتماعيا وثقافيا وتاريخيا، وتوجب الإمتثال لها باعتبارها رمزاً للأنوثة "**الأمومة**" ويزيد من تدبير هذا الجسد محط الخيفة والتوجس، الموســـوم **بالطابو** والمســـكوت عنه والمُغَلَّفُ بالمحرَّمات، لا يظهر إلا من خلال **التمثلات الاجتماعية** التي تُحدد مشـــروعيته في مختلف المراحل العمرية حســـب دورة الحياة "**طفولة مراهقة شـــيخوخة**" لِيَظَلَّ مُنســـجماً مع المفاهيم والتقســـيمات وفق التراتبية الإجتماعية والثقافية "صـــغيرة، كبيرة،عجوزة" وتُثْبِتَ اختلافاته بواســـطة ممارســـات وطقوس عناية تُوشـــمه وتُظهر هويته الجندرية،

[1] سيمون دي بوفوار،، **الجنس الاخر 2**، تر: سحر سعيد، ، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2015، ص13. بتصرف

وتَعْكِسُ مروره من مرحلة عمرية الى أخرى ومن ســن الى ســن آخر[1] ، وأن هذه الصــياغة تأخذ في الإعتبار عامل الســن الذي يُبنى عليه تدبير هذا الأخير وما ينجم عنه من اختلاف في مفهوم كل من الذكورة والأنوثة.

المتعارف عليه أن عملية التنشـئة تَحْرُصُـهَا الأم، وتُقولبها النُّظم والأنسـاق الاجتماعية والثقافية من خلال مختلف أسـاليب وآليات التنشـئة الاجتماعية وعبر التفاعلات مع الآخرين، تُنْتِجُ وتعيد إنتاج الجنوسة من خلال الأفعال والممارسات في الحياة اليومية. حيث تتعلم الأنثى مفاهيم **الحشمة والحياء** والتَّحفظ على مظاهر الأنوثة بما يتوافق مع المرجعيات الدينية والأخلاقية والتقاليد الاجتماعية، كما تَضبط مظهر الجسد من خلال الكلام والحركات والايماءات. هذه الضَّوابط تُرسِّخ سلطة مجتمعية تُعَتِّمُ مفهوم ملكية الجسـد وتعيد إنتاج التَّمييز والتَّفاوت بين الجنسـين. غير أنها في نفس الوقت تُرسـخ قيم امتلاك الجسـد وحرية التصـرف فيه، فالأم تختار لابنتها اللباس الفاضـح الكاشـف لتفاصـيل الجسـد، المُسـاير للعصـر وبذلك فإنها بعدما علَّمت ابنتها قوانين الاحتشـام والذَّوبان في قوالب الأسـرة، ها هي اليوم تُعيد تشـكيل وعي جديد يبحث عن الإنسـجام مع قوالب الحداثة ومعايير جديدة أكثر تحرر. إنه تعارض صـــارخ ما بين القول والفعل. تُعَارِضُ الأم ذاتها وقيمها التي ســـهرت على تلقينها لابنتها منذ الطفولة، اليوم ترمي بذلك الثقل القيمي الحافظ لقيم الأنوثة والمُعلي من مكانتها والحافظ لها من كل اختراق. والذي بينته لنا النساء ممن جمعتنا بهم لقاءات في فصـاءات التجميل ممن قابلناهن **(المقابلة رقم19)**

" السُتْرَة مْلِيحَة للطفلة وَصَّنَا عْلِيهَا رَبِّي وَالنْبِي ولاَزَمْ نْرَبُّوا بْنَاتْنَا
عْلِيهَا بَصَّحْهذا ما يَمْنَعْشَ انها تَلْبَسْ كي نْتَاجَاتْهَا خَاطَرْ الوَقْتْ
تْبَدَّلْ وْلاَزَمْ نْسَايْرُوهْ بَرْكْنْوَصِّي بَنْتِي دِيمَا ونْقُلْهَا كِي تُخُّرْجِي وإلاَ
تْرُوحِي تَقْرَايْ أَلْبْسِي وَاشْ تْحَبِي وكِي نْرُوحُوا عَنْدْ لاَفَامِيأُسْتْرِي
رُوحَكِ يَاخِي تَعْرْفِي لاَفَامِي دِيمَا يْحَبُّوا يْدِيرُوا الهَدْرَه فِي لْبْنَاتْ
بْلاَ سَبَّة مَا بَالَكْ إِذَا لاَبْسَة عَلَى لاَمُودَة"

تســعى الأم جاهدة أن تبدو إبنتها أمام الآخرين جميلة ومحترمة، فتعلمها طقوس العناية بالجسـد والمظهر "**اللباس، التزين**" "**الظاهر، الخفي**" وتحرص على ألاَّ تتكشــف أمام الغرباء "**الأهل خاصـــة**"

[1] أمال قرامي، **مرجع سابق**، ص21 (بتصرف)

غير أن هذا الأمر الغير مُبرر يجعل البنت في حيرة من أمرها ويخلق في نفســـها تناقض مُعتَّمْ عن مفهم الجســـد والأنوثة ما يزيد قلقها مع **البلوغ** ، حيث يتغيَّر الجســـد مع علامات الأنوثة والبلوغ الذي يُغَيِّرُ جسد الشابة ويزيد من جمالها الذي يُصبح محل إعجاب وتقييم ... فما إن تبدأ علامات الأنوثة بالظهور خاصـــة الثدي يزداد القلق وتتعاظم المسـؤولية، ويصـبح السـتر والإخفاء مسـؤولية الجميع (الأنثى والعائلة) غير أن هذا القلق لم يدوم، فاليوم في عصـــر الحداثة والإنفتاح على العالم تراجعت المراقبة، فالأم التي علمتها أن جســـدها رأســـمالها يجب عليها المحافظة عليه من كل إختراق مادي ورمزي تُرافقها اليوم وهي تتعرى وتقفز على تلك القيم كاشفة جسدها مُتبِّعَةً أحدث صيحات الموضة " **العناية به، التزيُّن، التجمُل**" وفي بعض الأحيان تنخرط الأم مع ابنتها في تلك اللعبة الجسدية. ضاربة عرض الحائط قيم المجتمع برمته، فلا البنت أخذت بتلك القيم ، ولا الأم حافظت على ما علَّمت إبنتها. اليوم تقف الأم سنداً لذلك الجسد المُنْتَهِكُ لقيم الحياء والستر، تتغنى بجمال إبنتها وبجسدها أمام الآخرين قائلة: " **يَلِّي يَحْلَا، يلي يَبْهَا أي بَنْتِي زِينَه باهية** " أما **الأب** فهو الفخور بجمال وجسد ابنته، يُرافقها في الشارع متجمِّلة، يُشجعها على إبداء مقاتن تلك البنت البريئة التي تسير نحو البلوغ باحتشام ولو كلَّفهم الأمر الأموال الطائلة ، فالأب مفتخراً لا يُبالي مُباركا هذا المظهر الذي يُحاكي المُؤثرات، المشاهير وعارضات الأزياء او ملكات الجمال. أما البنت فإنها تستقبل ذلك الواقع بنوع من الإرتباك ما بين القبول والرَّفض، يتغلغل في نفسـيتها غموض حيال مفهوم للجسـد والجمال كلما نضـجت وازدادت علامات الأنوثة بروزاً، وكلما ازدادت ســـلطة العائلة والمجتمع في التخلي عن المراقبة والتنميط ، هذا الجســد الذي تَتَنَكَّرُ له الشــابة وتعتبره مخالفاً لفطرتها. فإن هي امتثلت لتلك القوانين كتمت رغبتها في إمتلاك جســد أحبته وســعت جاهدة ليذوب في قوالب الجمال الجاهزة أمامها، ومهما طغن قيم الحداثة وموضـــة التجميل فمايزال دور العائلة مُســتمر يبعث على التماهي مع قوالبها التي علَّمتها في مراحل ســـابقة (الطفولة) إنها تخدش **الحياء وترمي بها في زاوية الاقصـــاء**، مما يُوقِفُهَا نداً للعرف والعادات والتقاليد التي تُحبها وتَرفضــها. وتُوقِفُ نَرْجِسِـيَتَهَا في إمتلاك جسـد جميل باسـتخدام مختلف اللآليات والممارسـات، تجعلها مُمزقة بين رغبة الاسـتعراض ورفضـه. بل الرغبة في الزينة لتظل زهرة وجوهرة [1] وعليه فان الجســـد ينمو ويزهر على الأرض التي وُلْدَ عليها، يُنْتِجُ وُيَعِيدُ إنتاج تمثلاته حول مفهوم

[1] سيمون دي بوفوار، **مرجع سابق**، ص 315.

الأنوثة. بل ويُعزز القيم الإيجابية المرتبطة به وبالهوية الجسدية " **الجنسانية**" والتقبل الذاتي داخل الحقل الاجتماعي.

إن هذا المُركَّب المظهري" **الخارجي والداخلي**" يجثم على حياة الأنثى، يتحكم في أحاسيسها وهويتها، يتحكم فيه المجتمع ويُشجعه الأهل على أن تختار طريقة ظهورها ، تثير الدهشة وتشجع على الاعتناء بالجمال فذلك إختيارها وحريتها، ثم أجمعوا كلهم أن الإحتشام والستر والحياء تخلف عن ركب الحضارة، وتخلُّف اجتماعي وثقافي وتحول مفاجئ في قيم المجتمع المحلي، وخروج عن السيطرة الذكورية يحمل خيبة أمل للشابات اللواتي انخرطن في لعبة التصنيفات الجسدية وهن مجبرات. تضن أن وضع المساحيق والتحكم في المظهر إختيار غير انه استسلام واجبار، فما إن تبدأ اللعبة حتى تعيدها مراراً .

2.تكنولوجيا الإعلام وقوالب الأنوثة من المقاومة إلى التحرر

يشهد العالم تطورات رهيبة في مجال تكنولوجيا المعلومات وما أفرزته الأنترنت من نقلة نوعية في تلقي الجسد. فلقد نسجت الشبكة العنكبوتية خيوطها باكراً عليه وحولته إلى فضاء وصورة لا حدود لها. مما شكَّل تحدي جديد غير مسبوق أمام الجسد والإعلام معاً. حيث اختصرت هذه التكنولوجيا العالم كله في كبسة زر، وبدأ دورها واضحاً من خلال تشكيل الأجساد " **ذكور– إناث**" عبر مختلف وسائل الإعلام الحديثة خاصة منصات التواصل الاجتماعي "**فيسبوك، انستغرام، تيك توك**" حيث تُعتبر أرقي أشكال التواصل وأكثرها إقبالاً، تصنع فكرهم وتُشكِّل أذواقهم وتتحكم في اتجاهاتهم. بل إنها مدرسة من نوع آخر أكثر حيوية وتأثير لا توصد أبوابها ولا تغيب شمسها.

يلعب الإعلام اليوم الدور البارز في المشهد الثقافي والإجتماعي والإقتصادي إزاء هذا الكيان الإنساني **(الأنثى)** مُوجهاً اهتمامه به وبكل حيثياته والعمل على إعادة تشكيل وعي جديد حول الجسد والجنسانية، وأحياناً يتناقض مع كل المعايير والقيم الدينية والأخلاقية من العادات والتقاليد باعتباره نظام فكري وثقافي مُنْبَعِثُ عبر أيقونات وخوارزميات تسعى إلى خلق مفهوم جديد للجمال والأنوثة المتجسدة في **حركة، صوت، مظهر، لون...الخ** ليتحكم من خلال المحتوى المتدفق في تلقي الجسد وعرضه. بل باتت الأب الروحي للأنثى ولكل المجتمع مما أحدث طفرة نوعية في المجتمعات العربية

بما فيها مجتمعنا البحثي" **الباتنة**" نظير ما أفرزه هذا التدفق التكنولوجي والتقدم من إنعكاســـات كبيرة وواضحة على كل أفراد المجتمع وعلى الأنثى خاصة بالترويج لأفكارها وقيمها وخلق أشكال جديدة من الوعي تُســهم في تشــكيل الوعي الثقافي والقيمي في المجتمع.[1] حيث عملت التكنولوجيا بوعي الأنثى وجســـدها من خلال تفاعلها مع المحتوى المعروض عبر مقاطع الفيديو والإعلانات والأفلام المتاحة التي تلعب دوراً بارزاً في تشكل تمثلات جديدة إزاء مفهوم الجسد الأنوثة، الجمال، وغيرها من المفاهيم التي تُعرض على الأنثى دون قيد. بل تستعملها كواسطة وأداة لتسويق مفاهيم العناية الجسدية، وتعزيز معايير الجمال المعروضــة، مما أثر على كيفية رؤيتها لجســدها وتقييمها لأنوثتها، ونعتبرها العنصــر الفاعل والفعَّال في نقل وتلقي الجسد الذي أصبح يمثل المرآة العاكسة والمانحة له. سلبت الأنثى الرغبة والإرادة أمام هذه النماذج الجاهزة للجمال الحداثي الذي يفرض عليها منطقها ويجعلها تســـعى لاهثة لبلوغها إما من خلال التعديل إو الترميم وبالتالي إنخراطها في مختلف الفضـــاءات والقبول بالعديد من الممارســـات للوصـــول إلى القالب أو النموذج الموحد [2] تحكَّمت بذوقها الجمالي ، وبالرغبة، الهيمنة والاســتهلاك مُنتجة خطابات جديدة تَحيدُ عن ثوابت الجسـد وقيمه التي جُبِل عليها وأنشـئ. وعمَّا ألفته الأنثى وتربَّت عليه من قيم لطالما حجبتها وتحكَّمت في حركاتها وفي كل تفاعلاتها حِفْظاً لها وحفاظاً عليها من الانزلاقات التي تُهَدِّدُها وتُهَدِّدُ كل العائلة والمجتمع، مما أوجد نمطين من الأجســـاد، تقليدية تذوب في قوالب الحياء والعفة وأخرى اســـتهلاكية تتغذى من الصـــور والفيديوهات الرقمية، ما جعلها ممزقة بين قيمها التقليدية وقدســـيتها التي منحها إياها الدين والعرف وســـهرت عليها العادات والتقاليد ومعطيات الحداثة التي جعلت منه صـــورة قابلة للتداول والاســـتهلاك كما اخبرنني بعض المبحوثات **(المقابلة رقم20)**

" الأَنْتَرْنَتْ هَبْلَّتْنَا كَامَلْ مْرَاه وزَاجَلْ وَلّينَا مَنَقْدْرُوشْ نْعِيشُوا بْلاَ بِيهَا
الْحَاجَا اَلّي تْحَوْسّي عْلِيهَا تَلْقَايْهَا وكِي مَتَعْرْفِيشْ تْزِيدْ تْنَعَّتْلَكْ وَاشْ
يْوَالْمَكْ مَنْ اللَّبْسَة وَالْمَاكِّيَاجْ وتَعْرْفِي ثَانْي وَاشْ هِيَ الْحَاجَة الّى
تُونْدُونْسْ تَتْعَلْمِي بزَّافْ حْوَايَجْ وَانْتِي فِي دَارَكْ بْلَا مَا تُخْرْجِي "

[1] – زينب منصور حبيب، **الاعلام وقضايا المرأة**، دار اسامة للنشر والتوزيع الاردن، 2011، ص103.

[2] خلود السباعي، **مرجع سابق**، ص161

إن هذه الصـور الرقمية والقوالب الجمالية والأجسـاد المعروضـة إسـتحوذت على عقل الأنثى وإمتلكت ذوقها وإدراكها لذاتها وهويتها. مما يدفع بها إلى تغيير مظهرها تلبية لهذه التوقعات. بل تجعلها أحياناً تشـعر بعدم الرضـى عن شـكلها، وبأن لا قيمة لها إن هي حَادَتْ عن هذه القوالب، وأن جمالها وأنوثتها لا تكتمل إلا من خلال تطابقها مع هذه المعايير الجمالية والأشكال الجسدية المُروج لها إعلاميا خاصـة صـناع المحتوى اللواتي يظهر على منصـات التواصـل بشكل غير واقعي يسلب الرغبة ويبعث على الاندماج ، وبما تُسَوِقُ له كُبريات الشركات المُنتجة لمختلف مواد العناية الجسدية والمتخذة من الجسد مادتها الأولية. (المقابلة رقم21)

" لوُكَانْ تَّبْعِي الأَنْتَرْنَتْ تْوَّلِي كِي الْمَهْبُولَة وَتْضِيعِي مَنْ كُثْرَةْ وَاشْ تْشُوفِي

وْيُخْرُجْلَكْ مَنْ تْصَاوَرْ وْفِيدْيُوَاتْ تَاعْ الَّبْسَة وْالْمَكِّيَاجْ ويْنَعْتُولَكْ كِيفَاه تْوَلِي زِينَه "

لقد كَرَّسَ الإعلام الصورة النمطية للمرأة من خلال ما يعرضـه من برامج للعناية بالمظهر وآليات الاعتناء بالجسـد ناهيك عن صـور المؤثرات، المذيعات والفنانات اللواتي يظهرن بصـور الفاتنات بلباسـهن ومظهرهن المفرط في اسـتخدام مسـاحيق التجميل وصـبغات الشـعر والعدسـات اللاصـقة، بل إنخرطت فضـاءات صـناعة الجسـد والتجميل في الإشـهار لممارسـات التجميل والعناية الجسـدية من خلال منصـاتها المختلفة المنتعشـة بصـور وفيديوهات الزبونات أثناء جلسات التجميل كاشفة الجسد أو بعضـاً منه لتزيد من الانخراط وتدفع على الانتشـار. أوما يسـوَّق لمسـابقات التجميل التي تبيح كل ممارسات العناية الجسدية للفوز بلقب ملكة جمال. وأن معظم الصور التي يعرضها الإعلام ومختلف

منصـات التواصـل إن لم نقل كلها لا تعبر عن حقيقة ما يعرض رغم محاولة الإعلام في إيصاله. إنه يضل تسويقاً وتجارة رقمية تخدم مصالح منتجي ومسوقي الجسد.[1]وعليه فإن الإعلام اليوم يُشكل أحد أبرز القوى التي تؤثر في التمثلات والتصورات الجمالية بفضل انتشاره الواسع وقدرته على التأثير النفسـي والاجتماعي في نقل نماذج ومعايير للجمال الأنثوي التي تبدو في كثير من الأحيان بعيدة عن واقعها الذي تعيشه من خلال تقديمها لنماذج مثالية غالبًا ما تتسم بملامح جسدية محددة من بشـرة بيضـاء أو ملامح وجه بارزة أو عناية بالشـعر باسـتخدام مختلف المنتجات وغيرها من النماذج التي المحددة كمعايير أسـاسـية للجمال الأنثوي. تَتَطَلَعُ من خلالها الأنثى إلى امتلاك جسـد يذوب في قوالب الإعلام ويتماهى مع الصـور المعروضـة أمامها عبر نافذة الأنترنت بعدما كانت تُطِلُّ عليها أو

[1] عصمت محمد حوسو، **مرجع سابق**، ص 57.

ما يسمى بـــ ***نماذج الجمال*** من نافذة المجتمع فاعلة ومُتفاعلة تُحاكي ما تراه أمامها في محيطها. هي اليوم تقف وجهاً لوجه أمام هذا الفضـــاء الرقمي المُتعدد الوســائط تَتَفَحَّصُ ما تقع عليه عيناها لتختار الشـــكل الذي تريده، وهي تضـــنُّ انها إحتارت بكل وعي وحرية، غير أن النماذج المعروضـــة أمامها تُجبرها على التماهي معها ومع كل ما هو معروض، وتُوجه ذوقها وكل اختياراتها. لقد ظهرت عقيدة جديدة باســـتخدام التجميل والعناية الجســـدية كأســـاليب لمواجهة تلك البنى التقليدية القمعية والطقوس التقليدية وظيفياً ومنحتهن سيطرة على أجسادهن. [1]

3.تدبير الجسد الأنثوي الثوابت الاجتماعية والقيم الجمالية

معايير الجســـد الأنثوي وقوالب التنشـــئة الاجتماعية مفاهيم مرتبطة بطريقة رؤية الجســـد وتقييم شـــكل **ومظهر** الأنثى بالدرجة الأولى، والذي تتمحور حوله كل المعايير والقيم الأســـرية التي تســـتمد ســـلطتها من القوالب الدينية، الثقافية والاجتماعية ومن الأم بالدرجة الأولى، التي تســـعى لغرس مفاهيم الجمال قبل قيم الجسد. فيتشكل في وعي البنت منذ البداية ما يعتبر **مثاليًا أو جذابًا، مقبولاً ومرفوضاً "حلال وحرام"** وغير مرغوب فيه.... وغيرها من المعايير والمفاهيم التي تســـتدمجها البنت بوعي وبلا وعي متخذة من الجســـد دَمْغَتَهَا وعلامتها... والمُدركة كبنية دالة حســـب **مالك شـــبل، "جســـد للغة والمعتقدات"** [2] تفرض منطقها حســـب الخصـــوصـــية ووفق المُتعارف عليه، واضـــعة إياه حيز التغيير وإعادة التشكيل لإظهار جمالية الجسد حسب كل مجتمع. فتارة هو باعث **للحياة والإنجاب** وتارة أخرى مصـــدر **الذنوب والفتن** وعورة وبالمقابل هو مصـــدر **المتعة** للذكور ومصـــدر **للإنجاب للإناث** لزيادة الرأسمال البشري، وفي كل هذا تعدُّ المرأة امتدادًا لسيرورة الهيمنة والقمع الذكوري لها عن طريق سعيها دون وعي في إعادة انتاج الهيمنة الذكورية باســـتخدام آليات التنشـــئة الاجتماعية، لكن الأســـواء هو مزاوجة صـــورة المرأة بالجنس. ومنه فان تحاشـــي إبراز مفاتن الجســـد بالعري والتغنج هو ســـعي لحفظ حرمته وامتلاك الشـــعور بالحياء والعفة، وهي النقاط المشـــتركة بين كافة المجتمعات التي لديها نوع من المعنوية ولا ترى الانسان جسدا فحسب[3]

---

[1] Wolf, Naomi. **The Beauty Myth: How Images of Beauty Are Used Against Women**. New York.1991

[2] مالك شبل، **مرجع سابق**، ص9.

[3] غلام على حداد عادل، **مرجع سابق**، ص52.

1.3جغرافية الجسد الأنثوي البناء والرمز

العناية بالجســـد معطى طبيعي وموروث ثقافي يتعلمه الفرد منذ الميلاد ســـواء كان الاعتناء خارجيا أو داخليا، إنه روتين يومي واعتيادي، وكل أولوياتنا. مرتبط بالطقوس الدينية " **الصلاة، تغسيل الميت، الغسل من الجنابة و من الجماع ودم الحيض والنفاس...الخ)** ولقد جُبلت الأنثى دون الرجل بالاعتناء بجسـدها ومظهرها منذ الطفولة حرصـاً على النظافة وطلباً للجمال، و تسـهر الأم – **حارس البوابة الأمين**– على أن تُعَلِّمْ بناتها العناية اليومية بالجســد – **جزء هام** – في الحفاظ على الصـــحة العامة والشـــعور بالرَّاحة عبر مجموعة متنوعة من الممارســـات اليومية أهمها الحفاظ على النظافة الشخصية من " **الاستحمام، وتنظيف الأسنان، والعناية بالبشرة، تمشيط الشعر...الخ** " وغيرها من الممارسات والطقوس الأساسية للحفاظ على صحة البدن ومنع الأمراض. كما تُعلمها أيضا أن العناية بالجسد ليست فقط مسألة صحية، بل هي أيضًا مظهر جمالي ووسيلة لتعزيز الثقة بالنفس والشعور بالراحة والإيجابية في الحياة اليومية، وتزيد المظهر جمالاً وجاذبية أمام الآخرين، كما لا تنســـى أن تُعَلِمُهَا أيضا أن العناية بالجمال سمة خارجية تستوجب الإمتثال لقيم الأسرة التي يجب أن تَتَحَرَّى فيها فترتسم **الحشمة والحياء** على الجسد من خلال المظهر والظهور في **التزين** وفي **السلوك** ما يجعلها محل مُرَاقِبَة لذاتها**(جســدها)** غير أنه في بعض الأحيان تُظهر البنت أشـكالاً من التمرد على القوالب والأدوار التقليدية من خلال المظهر والشـــكل الذي تُظْهِرُ من خلاله الرغبة في التحرر والتمرد وإعادة تشكيل صورة الجسد الذي ترغب فيه، فبدى الاهتمام في الآونة الأخيرة بعدة مناطق في الجسد كرموز للجمال والانوثة، كما تصـــاعد الاهتمام بمنطقتي الثذي والمؤخرة بشـــكل متنامي و ملفت للانتباه من خلال المنتجات التجارية و/أو الممارســـات التجميلية الجراحية والغير الجراحية التي تعمل على تكبير هذين المنطقتين الانثوييتين ناهيك عن الوصـفات التقليدية المسـوق لها كمنافس يمنح المظهر ويبدي المفاتن وكأن المظهر خارطة عبور للعالم، ولقد تحدثت خلود السباعي عن دور الممارسات التجميلية في تعزيز صـــورة الجســـد امام الاخرين بقولها " وكأن الرغبة في جذب انتباه الآخرين تســـبق حبهم واعجابهم. تمثل أداة اتصـال غيرلفظي وثيق الصـلة بالسـياق الثقافي والاجتماعي تعطي معنة لمفهوم الحسن والجمال[1]

[1] صوفية السحيري بن حتيرة، **مرجع سابق** ،ص 234

من خلال الاعتناء بكل عضو محاكاة نماذج الثقافة الحديثة وموضة التجميل (**رجل، عين أنف، ارداف...**) ولقد أطلعتنا الثقافة على الكثير من المظاهر الجمالية لعدة نســاء من مجتمعات مختلفة... فمثلا اسـتخدمت نسـاء الجزائر الوشـم على الجسـد للتعبير عن الجمال، أما النسـاء الصـينيات فقد اسـتخدمن لفافة في الرجلين لتسـاعد على انحناء القدمين، أماالمرأة الإفريقية فقد اعتمدت على الخشـب لتكبير شـفتيها، وفي جنوب آسـيا وضـعت الحُلَيّ على شـكل حلقات في عنقها من أجل تطويل الرقبة، وغيرها من الممارسات المتعارف عليها في مختلف المجتمعات وعلى مر العصور حتى العصر الراهن من أجل إضـــفاء نوع من الجمال على ذلك الجســـد الذي يزيدها أنوثة، بل إنها مطالبة بالزينة أمام مجتمعها الذي يتغنى بجمالها ويُعلي من قيمتها باعتبارها مرآة للهوية الجماعية. وبعد تحليل المقابلات التي اجريناها مع مبحوثتنافي العديد من فضـاءات التجميل والعناية الجسـدية تبين لنا أن خدمة الجسـد باتت مطلباً وظرورة اجتماعية (المقابلة رقم22):

" الْمُجْتَمَعْ يْشُوفْ الْمْرَاه وَيْقَيَّمْهَا حَسْبْ الْحَشْمَه وَالْحَيَاءالْحُرْمَة وَالْنْيفْ أَبَابَا هُوَمَا رَاسْ مَالْهَا مَاشِي كِيمَا ذُرْكَتْتْقَيَّمْ الْمْرَاه حَسْبْ لَبْسَتْهَا ودْرَاهَمْهَا وخَدْمَتْهَا وهَدْرَتْهَا "

إن الاســتثمار في المظهر يشــمل العديد من الإجراءات التجميلية التي تمنح الأنثى المزيد من الثقة بالنفس والراحة في مظهرها من**تشـكيل وإعادة تشـكيل** سـواء كانت عملية تجميل جراحية أو دون تدخل جراحي:

- **تعديل من نوع خارجي "تشــكيل خارجي"** معظمها تتعلق بالملابس، الحلي، التزيُّن باســتخدام عدة تقنيات واليات "**مكياج، تصـفيف شــعر**" تُقبل عليها الأنثى وترغب فيه بالفطرة. فهي تترجم من خلالها رغبتها بالنرجســية في الظهور بالمظهر الجميل الفاتن. وترســم لها مكانة ووجود اجتماعياً ينافس من حولها بالاعتناء مستثمرة في المال، الزمن والجسد.
- **تعديلات من نوع إعادة تشكيل الذات:** تتعلق بأفعال مباشرة كثيفة إلى حد ما على الجسد مارستها وألفتها المجتمعات القديمة " **الثقب، البتر، التغيير**" وماتزال باقية إلى اليوم في بعض الثقافات إلا أنها تطورت مع ظهور الجراحة التجميلية والعناية الجسدية الحديثة.

إن تشــكيل الجســدي الخارجي يســمح بتحكم المجتمع في المظهر الخارجي وعلى مســتوى العلاقات، حيث تدير الإنطباعات وتنتجها وتبني علاقة الفرد بذاته وتقوم بالتعبير عنه وبتقويته ... من

عناية بالشعر والمكياج. حيث إهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة العناية الجسدية كنوع من الطقوس المقدسة تُدار طبقاً لقواعد صـــارمة تُحدد ما يجب أن يكون عليه مظهر الفرد في مجموعة معينة. مما يتطلب الخصـــوع للمارســـات القهرية نســـبياً حتى يتوائم مع هذه القواعد. ويقدم **فيجاريلو Vigarello** في كتابه النظيف القذر **Le propre et le sale** العناية بالجسـد بوصـفه نتيجة تهذيب بطيئ للسـلوك تمت تحت التاثير المشترك لقواعد وآداب السلوك. يتخذ من "**العناية بالشعر، وزينة المكياج**" مجالاً هاماً في العناية الجسدية.

ولمَّا كان الجمال ظاهرة اجتماعية قبل أن يكون فردية فإن النَّظر له لا يحيد عن كونه مُعطاً مرتبطاً بحجم وشكل كل عضو من أعضائه ومكوناته "**عين، أنف، رجل، ثدي، ارداف...**" بل يتجسد من خلالها سلامة الجسد وخلوه من أي عيب خلقي أو عاهة أو تشوه عضوي قد يصيب أي عضو في جسـدها والمؤسـس لكل الجسـد حتى أضـحى مفهوم الجمال قريناً بمفهوم الصـحة والمرض، خاضـعاً للمعطيات البيولوجية التي تمنح صاحبته المكانة أو تقصيها من كل تفاعل يمنح المكانة والقبول سواء في الظفر بعمل أو زوج، تدفع بالأنثى لطقوس العناية بكل عضو حسب المتعارف عليه من :تسمين، تبييض تطييب...الخ حيث يُقَيِّمُهَا ويقيسها بمقاييس جسمية فيصبح جمالها مرهون بلون بشرتها، كثافة شـــعرها وبحجم أنفها وشـــكل شـــفتيها، ثدييها وردفيها.[1] حيث يعطي مجتمع البحث أهمية بالغة لكل عضـو ويختزله في كل الجسـد، ويضـفي عليه القدسـية فيجعل الأنف محل الكرامة ، والجمال يسـكن الشعر والأسنان والعيون، أما الطول فهو العز والاستقامة. مما يخلق علاقة قوية بكل عضوعلى رأسه الوجه:

➢ **العناية بالوجه:** الوجه باب الظُّهور **والعينين** مرآته في كل العصـــور والحضـــارات وفي مجتمعنا البحثي، إنها شَكْلُنَا الفريد الذي يُمَيِّزُنَا عن الآخرين بالنظر إليه. يحمل السيكولوجي قبل الديني، الثقافي والاجتماعي ويستمد منها سلطته. وهو بذلك العضـو الأكثر استقطاباً للاهتمام لا تغفل المرأة عنه، بل تعتبره أهم عنصر يتجسد فيه التماهي، فهي توليه أهمية بالغة من خلال الطقوس والممارسات المحفورة في سـجالها الثقافي الذي طالما تغنى به الكبير والصـغير، مما حرك فيها سـعياً حثيثاً لدوام الاعتناء به فجعلت أكبر اهتمامها **للعينين** من خلال العناية الدائمة بهما باسـتعمال **الكحل** مادتها الأولية، والمؤثر الحقيقي في عملية التجميل، كون العينين باب الإغراء قديما وحديثا والمؤشـــر الفاصـــل بين العازبة

[1] نوال السعداوي،**مرجع سابق**، ص93.

والمتزوجة في الموروث الثقافي. فالكحل لا يضـفي على العين نظارة وجمال فحسـب إنما يزيدها بريقاً ويحفظ سلامتها من الأمراض، أما **أهدابها** فهي مُكملة لجمال العينين، تسهر الأنثى على العناية بهما باسـتعمال مختلف الزيوت لتظل جميلة وكثيفة، فالعين ورموشـها مفتاح القلب، لا يكتمل ظهورهما ولا فتنتهما إلا من خلال **حاجبان** مرسـومان يُظهران شـكل العين ويزيدان من جمالهما. **فالحاجبان** محل اهتمام النساء منذ القدم تعتني بهما باستعمال مختلف الآليات والطرق "**تتف، نمص" حيث** تتفنن الأنثى في رسـم شـكلهما وحجمهما حسـب رغبتها، وحسـب ما يناسـبها ويناسـب ظهورها، تعلمتها من خلال المراقبة الخفية للام ونساء العائلة والمُتناقلة بين النساء ويُعاد انتاجها فيما بينهم سراً وعلناً.

إن تمتع الأنثى بوجه جميل ومظهر جذاب لا يتوقف عند الاعتناء بالعينين والحاجبان بل يستدعي إهتماماً خاصاً بالبشرة، وخوض معركة ضد **التجاعيد، الحبوب، الشحوب، الترهل** وكل ما هو غير مرغوب فيه باستخدام مختلف أنواع المكياج ومستحضرات التجميل. حيث أن هذه النرجسية للمكياج **Makeup** تزيد من تقبل الذات والآخر من خلال التدعيم والتأثير الإيجابي لهذه المسـتحضـرات ولهذا المكياج على الآخرين وما يحققه من رفاهية. حيث يصبح المظهر الجذاب بناء اجتماعي حقيقي وفن تقديم للذات أكثر من كونه جمال طبيعي. فالعلاقة تؤكد تواطئ مع صـورة الذات في المرآة والافتتان بها متخذة من الوجه العلامة التي تمنح الإعتراف وتزيد الإفتتان في سوق الجمال والمظهر.

➢ **العناية بالشعر:** الشعر رمز الأنوثة وعلامة من علامات الإعتزاز بالجمال، تتعلم البنت من نعومة أظافرها من أمها ومحيطها كيف تعتني به من: **تمشيطه، تلميعه وتليينه...الخ** ليظل جذّاباً باستعمال مُختلف الوصفات التي تزيد من جماله " **الحنة، الطيب، قشور الجوز، ماء المطر، ماء الورد...الخ)** التي تعلمتها من عائلتها ومحيطها كما اخبرتنا إحدى المبحوثات التي قابلناها في إحدى صـالونات الحلاقة(**المقابلة رقم23).**

" كَانَتْ نَانّة الله يرحمها بَكْرِي تْحَنّيلْنَا شْعَرْنَا فِي الصَّيْفْتَحْكَمْ الْحَنَّة تْخَلَّطْ فِيهَا الدْبَاغَة والطِّيبْ وقْشُورْ الْجُوزْتَعْجَنْهُمْ بْمَاء تَاعَ النَّوْ مْغَلّي فِيهْ الْمَسْوَاكْ وكِي تْحَنّيلْنَا لاَزَمْ مَنَّحُّوهَاشْ حَتَانْ تِيبَسْ يْوَلِي الشْعَرْ غَاثِي وبَاهِي"

تتعلم البنت في الوسـيط العائلي ومن خلال هذه الممارسـات أهمية **الشـعر** والاعتناء به في الظهور واكتمال الجمال فمن خلال التفاعلات التي تحدث في محيط العائلة تزداد اطلاعا على اكثرها نفعاً وعلى أهمية الإعتناء بالشـعر بالنسـبة لها كرمز للانوثة، وتتعلم أيضـاً كل مُسـتجدَّات العناية

بالشـعر والمظهر وكل الممارسـات التجميلية وكيفية إعداد تلك الوصـفات ليظل شـعرها جميلا جذابا يمنحها المظهر اللائق والمقبول اجتماعيا، وتتناقلها بين قريناتها كإحدة الآليات الفعالة في الاعتناء بالشعر الذي يزيدها جمالاً كما اخبرتنا إحدى المافقات التي قابلناها (المقابلة رقم24).

" الشْعَرْ الطْوِيلْ يْزِيدْ فِي زِينْ المْرَاه وْحَتَّى كِي تْقُصُّوتْنَقَّصْ مَنُّو شْوِيَة بَرْكَ عْلَى الْأَقَلْ لَكْتَافْهَا مَاشِ تْنَحّيهْ طُولْ تْوَلِي كِي الزّاجَلْ يَا لَطِيفْ تْعَافِيهاَ"

لا تتوقف الأنثى ولا تتوانى عن الإعتناء بشـعرها ليس لتظل جميلة فقط، إنما لتعتني بجسـدها عندما تتخلص من الشـعر الزائد الذي تعلمت طرق التخلص منه منذ الصـغر ، وتعلمت أيضـا أن النظافة سر الجمال، فهي تستخدم عدة آليات في ذلك **(الشمع، النتف، الخيط...الخ)** تصنعها بنفسها في المنزل او بمسـاعدة إحدى النسـوة اللواتي ينقلن الخبرة لبناتهن وبنات العائلة عن أهمية الاعتناء بالجسد والعناية بنظافته من الشوائب والشعر الزائد لتظل الأنثى جميلة نظيفة نقية. كما تهيئها لاستقابل الحياة الزوجية وهي متمرسـة على الاعتناء بالنظافة و بالجمال، ولما كان الشـعر سـيد الموقف يتوج الانثى ملكة على عرش الجمال فان الاعتناء به عرف في العصـر الحالي اقبالا كبيرا من الأنثى (ممَارِسـة، مُتَزينة) تعمد الى "**قصـه ، صـبغه، تمويجه، تطويله، تزيينه، تمليسـه، ...**" محاولة اخضـاعه للجماعة التي الاجتماعية التي لا تزال ترى في الشـعر المنسـدل جميلا والطويل الطبيعي أنوثة. وأما قصه فهو تشبه بالرجال ينزع منها كل إمتياز ويقصيها من قائمة الجميلات، وبالتالي يُصبح الشعر المظهر العام للجسد الجميل في إطار الإهتمام بالتقنية إن لم يكن بالقداسة ، فالاهتمام بشعر الجسد لدى المراة أمر مهم فهو غير مرغوب في بعض مناطق الجسد "الساقينظن الابطين، الوجه.." مقارنة بشـعر الرأس الواجهة الأولى للمظهر والتفاعل ، وأن نزعه يُعَبِّرُ عن الإتفاق الثقافي على ان الجسد الأنثوي ينبغي له أن يكون مختلف عن جسد الرجال ويتماهى مع جسد الأطفال "**الأملس، من دون شعر**" حيث تشبه النساء اللواتي قابلناهن وممن نعرف الجسد الجميل والنظيف الخالي من الشعر بقولهن: " **جسمها رطب تقول بيبي**" فالايديولوجية السائدة تدفع بالأنثى الى ترويض النظام العضوي المتعلق بالشـعر من خلال الممارسـات المتعلمة (فردية، جماعية) حتى تنسـجم مع المتعارف عليه اجتماعياً، قائم على قواعد وقيم راسخة لتقديم الذات والتعبير عنها.

➢ **العناية بالأسنان:** فعل رمزي متجذر في قيم ومفاهيم مجتمعنا البحثي قبل أن يصبح علامة ورمزاً ثقافيا، فلقد أُعطيت الأسـنان أهمية بالغة من القدم من حيث الاعتناء بها وبنظافتها ، لونها

ولمعانها وبذلك فان جمال الاسـنان من أبرز مكامن جمال المرأة التي يُتغزل ببياضـها ومصـفوفيتها **(سنانها مرجان)** ولقد عُرف منذ القدم أنه لا يوجد تقنيات لتنظيفها غير السواك والماء لتظل الابتسامة جذابة تزيد المظهر الجمالي بروزاً عندما ترتسم الضحكة على الشفاه والأسنان، ومن ثم وجب الاعتناء بهما على الدوام، فبحوثاتنا تتفق على أن الاسنان سر الضحكة، التي تزيد من الجمال، لذلك أقدمت النساء منذ القدم على الاعتناء بهما فتزيَّنت **بالذهب والفضة** للحصول على الإبتسامة الساحرة التي تزيدها أناقة ومكانة فتترك صورة ذهنية لدى الآخرين بجمالها وعلو شأنها، وتمنح صاحبتها فتنة تذوب في مفهوم الجنس طبعاً (الزواج) وأن استخدام الذهب في تغليف أحد الأسنان معروف في كل الجزائر وفي مجتمعنا البحثي أيضا فالسن المغلفة بالذب علامة على إكتمال الأنوثة وإشهار بالجاهزية للزواج ، فيقبل الخطاب على صاحبة سن الذهب كما اخبرتنا مبحوثتنا **(حفَّافة باتنة)**

" كَانَتْ النِّسَاء بَكْرِي دِيرْ سَنَّة وَلَّا نَابْ مَنْ فَضَّه ولاَّ مَنْ ذْهَبْ

بَاهْ تْبَانْ زِينَة فِي عِينْ الرَّاجَلْ يَمَّا كَانَتْ مْدَايْرَتْهَا وْكِي بْغَاتْ

تْحَجْ قَالْهَا طْالَبْ نَحِيهَا بَاهْ يَتَّقْبَلْ حَجَّكْ رَاهِي حْرَامْ "

لقد نشـــأت علاقة قوية بين طقوس العناية بالجســـد وبين القيم الدينية والاجتماعية والأعراف المتوارثة جيلاً عبر جيل، والمُؤَسِسَة للخصوصية والمدافعة عنها، فلا يمكن تحقيق هذا التوافق إلا من خلال الإنسجام، هذا الإنسجام الممزوج بمفاهيم "**الشرف والنيف**" المختلط بمشاعر " **العيب و العار** " التي تُوجب على الأنثى الإمتثال لها ومُراعاتها في كل التفاعلات وعند كل ظهور في كل حدث اجتماعي. فمن خلال الجســـد يُعطى الإعتبار، وتظهر المكانة وتُنســـج المفاهيم **(الإغراء، العذرية الأمومة، الأنوثة)** التي تُقرأُ في الإيماءات والحركات، وفي اللغة المقترنة بالعرف والمستقرة في الكتالوج الاجتماعي، لِتوشم الأنثى بجسدها **(المقابلة رقم 25)** .

" مَا يَعْجْبَكْ نُوَّارْ الدَّفْلَه فَالْوَادْ عَامَلْ ظْلَايَلْ ومَا يَعْجْبَكْ زِينْ الطُّفْلَة حَتَّانْ تْشُّوفْ لَفْعَايَلْ"

وعليه فإن الجمال وحضوره يُعتبر موضوع مُثيرلالرغبة والاستحسان من الآخرين، إنه نوع من القيمة المرتبط بالحشمة التي تتطلب إخفائه من كل إختراق فتصبح الزينة مدخلاً للرغبة وعشقٌ الذات ووسيلة تواصلية داخل شبكة العلاقات الاجتماعية، ومظهراً من مظاهر الحقيقة الاجتماعية يتطلب ترويضه من حيث الشكل والحجم واللون وحتى من حيث المظهر قابلاً لإعادة البناء والتَّشَكُّلْ وفق خبرات الأنثى سعياً منها لبلوغ مراتب الجمال. كما تتجسد تمثلات المجتمع حول الجسد ومفهوم الأنوثة من

خلال اللغة التي تختصر المفاهيم والمعاني وكل الأحاسيس والمشاعر والرغبات لِتبرز كاستثمار ذكوري مُتخفي يظهر في الحديث الحميمي بين النساء عن شعرها وعينيها وقوامها وكل أعضائها مدحاً أو ذماً، تباهياً أو سخرية. وهو أيضاً الصورة والتعبير المجتمعي عن أجساد النساء التي تحفظ ديمومة الأنثى. فمن خلاله (الجمال– الجسد) يُعاد إنتاج كل البنى الفوقية التي أوجدها الذكور (الاب، الأخ، الزوج) بحيث تتفاعل هذه الكلمات والعبارات(اللغة) مانحة الجسد المعنى والمكانة وتتحول إلى صور ذهنية – اجتماعية. (الدين، الجمال، الشرف، العفة...) وغيرها من المفاهيم والتمثلات التي تظهر باستمرار كشيفرات أمامها وأمام الآخر، بل وكمرآة تُقرأ فيها الهوية والانتماء السوسيو– ثقافي، وذلك ما نحاول جمعه في الجدول التالي:

الجدول رقم1 : جغرافية الجسد الأنثوي رموز ودلالات

العضو	المدح	الذَّم	رمزيته ودلالاته
الوجه	فْنَارْ	مْقَزْدَرَه– مَبْلُوطَه– وجهها صْحِيحْ	الحياء، الحشمة
الجسم	مَقْدُودْ، مَبْرُومَة، مَسْلولَه بَطْلَه، سَرْوْلَايَه	مْهَنْتَرَه، مْخَنْشْبَه، غْلِيضَه، عُودْ مَغْزَلْ، مَطْرَقْ شْوَاء، مْتَرْمَه	الصحة، الغناء، الفقر
الأنف	مَسْلُولْ، مَقْدُودْ، مَنْحُوتْ	مْخَنْفْرَه، مْكَرْطَسَه	الشرف، الكرامة
العينين	غْزَالْ، فْنْجَالْ	مْطَقْعَه– مْبَلْطَه– كَوْصَه	الحشمة، الجمال
الفم	خَاتَمْ	مْشَنْفْرَه ، مْبَرَطْمَه	الحكمة
الأسنان	مُرْجَانْ	مخالفين، رايبين	الجمال
الشعر	حْرِيرْ، مْسَبْسَبْ	مْشَعْشْبَه	الجمال

بناء على ما سبق ذكره فإن إيديولوجيات صناعة الجسد الأنثوي في المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة مختبرنا البحثي(باتنة) يختلط فيها الديني بالدنيوي، المقدس بالعرف والمتربع على عرش العادات والتقاليد بكل ما هو عصري حديث ممزوجة بالهيمنة الأبوية والتي نعتبرها فرامل ومثبطات لهذا الكيان الإنساني الموشوم بالعيب والحرام المطالب بالستر والحياء إتقاءً للفتنة والاقصاء حفاظاً على كينونته وملكيته والساعي لبلوغ مراتب الجمال والجاذبية.

2.3. الجمال والذوق الجمالي الثوابت الاجتماعية والثقافية

تكتسب العناية بالجسد محوراً مهماً في حياتنا الخاصة والحميمية، حيث نبحث عبرها عن مكافئات متنوعة ومعقدة: **لذة الاستحمام، العناية بالنظافة** التي تحمل لنا بعض الاشباع النرجسي ونحن نتأمل أنفسنا أمام المرآة التي يرتسم عليها المظهر ويُصنع من خلالها الجمال. فلا يصبح مظهرنا المُرتسم على المرآة هو كل ما نبحث عنه ونسعى إليه فقط. بل إنه مظهرنا وصورتنا أمام الآخرين، نُطل بها على العالم بأسره باستخدام مختلف أدوات **الزينة** كاستراتيجية مظهرية لها علاقة وثيقة بالعادات والتقاليد ومفاهيمها القيمية التي أنزلته وأنزلت الأنثى منزلة **الفتنة والغواية.**[1] لها طقوسها وشعائرها ونواياها مواردها وفنياتها التي تخترق كل الحقب الزمنية. وعليه فإن **الزينة** حسب "**مارسيل موس**" فاعلية مكتسبة لدى الإنسان " يتعلم مهاراته ويكتسبها اكتساباً بدافع الضرورة الوجودية المادية والرمزية في آن"[2] وهذا يعني لا وجود لمعنى ميتافيزيقي منزل للجسد لا من السماء ولا غيره من عالم المفارق لعالمنا المادي بحيث "يجب أن ننطلق من الملموسّ نحو المُجرد، كما أن جميع أساليب الفعل ليست سوى تقنيات هي تقنيات الجسد"[3]

العناية بالمظهر الخارجي، سعي كل أنثى لبلوغ مراتب الجمال وفطرتها التي جُبِلت عليها، أحبت من خلالها جسدها وتفننت في تصفيفه والاعتناء به ومداعبته حتى يصير كما أرادت هي وكما ينتظره الآخرون، فالآخر يبني القيمة ويحدد الموضوع وأليات التشكيل، وتميل هي **(الأنثى)** إلى تحسين المظهر والاعتناء بالزينة، شغفاً وحباً في الظُّهور شريطة أن تَمْتَثِلَ لمعايير المجتمع وقوانينه العرفية والدينية فتتواطئي معهم لأجلها ولأجل أنوثتها وفق المتعارف عليه والسائد، معلنة انتمائها الجنسي والهوياتي .فلا قيمة لأنثى لا تتجمل أو تجهل ممارسات العناية الجسدية. لكن في الحقيقة أن هذا الجسد الذي يُرى على أنه أنثوي وجميل تقريبًا ويحمل سمات الأنوثة لا يحتاج إلى أي جُهد. إذ تُعد الأنوثة سمة ملازمة للجسد الأنثوي حسب مبحوثاتنا(**المقابلة رقم26**).

" الزَّيْنْ زِينْ وَالشِّينْ شِينْ وقَالَكْ يْرُوحْ الزِّينْ وَتَبْقَا مَايْرُو(علاماتو)"

[1] منى فياض، **مرجع سابق**، ص29.

[2] مارسيل موس، **تقنيات الجسد ومقالات إناسية أخرى**، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2017، ص 5.

[3] مارسيل موس، **مرجع نفسه**، ص 16.

وعليه فالتمثلات الاجتماعية تلعب الدور البارز في تحديد نمط العلاقة بين الأنثى وجسدها وتقمصها لمختلف صفات الأنوثة وربطها بالجسد، حيث يُنظر إليه على أنه "**محمي**" بحصانة العادات والتقاليد والدين، بينما في حالة الجسد المثالي الذي صنعه الإعلام يتطلب بذل جهد وعناية مُظْنِيَة لتحويله من مادة طبيعية إلى مادة مُصَنْعَة، تجعله مُثقلا بالعلامات، مُطوق أسير أُطُرٍ مُنَمَّطَة يَصْعُب اختراقها تحرره منها وإلَّا كان مصيره التهميش والاقصاء.

ما نريد قوله بعد هذه المقابلات والقراءات أن الجسد صورتنا في مرآة الذات والآخر، ومرآة التاريخي قبل الثقافي والاجتماعي الاقتصادي والسياسي. هو ذلك الشيء الملموس الخاضع للاستثمار الفردي والجماعي، ووسيلة إخراج وبلورة العلامات، كما أنه حافز للإلتقاء والتمييز من خلال الممارسات والخطابات التي يوحي بها. وفي هذا السياق يبقى الجسد مجالاً مُمَيَّزاَ لإبراز المظاهر والحالات الاجتماعية التي تبلورت في مرحلة مبكرة من حياتنا لتبني تمثلاتنا حول أجسادنا وتحدد علاقاتنا، ميولاتنا وأذواقنا من خلال المظهر الخارجي الذي نعود إليه بالنظر لنتفحصه ثم نعهده بالتقييم لنعيد تشكيله وبنائه. إنها عمليات متداخلة تُطَوِّقُ هذا الكيان الذي يسكننا ويدفعنا للاعتناء به وبمظهره لننسج الخطاب حوله والذي نعتبره أداة من أدوات البناء والتشكيل لا تقل فاعليتها عما سبق من البُنى التأسيسية له، تعمل على **قولبته وتنميطه** لتحوله إلى نص بلاغي تنسج اللغة إبداعاتها عليه، حيث تُوَزّعُهَا نثراً على كل مكوناته وتؤطره بعين الرقابة المجتمعية التي تنتظر فرصة إجهاضه إن هو إقترب من معايير الإقصاء التي يعرفها ويُحصيها جيداً. فتظهر ألفاظه البليغة المُعَبِّرَة عن تلك الأوصاف والنعوت التي إجتهد المجتمع في جمعها كقاموس يعودون إليه متى دعت الحاجة، بل غدى دستورهم الآمر والناهي كما يتضح ذلك في الجدول التالي:

السمة الجسمية	النعت (الذم)
السمينة	دُبَّة، طامة. بابا عجينة ، رغيف، بقرة
النحيفة	رْقيقَه، مَطرْقْ شْوَاء –مَغْزَلْ، سِيلاَنْ، مَصْمَارْ، عُودْ
الذميمة	بَشْعَه، غُولَه
السمراء	فَحْمَه، كَحْلُوشَه

إن الجســـد ليس بناء لغوي ولغة خطاب فقط، إنما منتوج ثقافي ينســـج معانيه من عمق هويته وانتمائه في نَظْمِ المعاني أساس التحكم فيه، كما يُعاد انتاجه في حدود اللغة وفقاً لمعايير خارج حريته. **فاللغة** ســـواء كانت منطوقة أو غير منطوقة هي نســـيج من الألفاظ والمعاني تعكس تمثلات الفرد والجماعة تُعطي المعنى لتحركاته وتفاعلاته، حيث تعكس اللغة مكبوت الجســد وكذلك الجســد يعكس اللغة كما يعكس الواقع اللســـاني. فالجســـد يَهِبُ النص كل معطياته الادراكية بصـــفته نموذج فعال للتخيل. [1] فاللغة هي إما واصـفة له متغنية بجماله وخصـالة أو مُبَيِّنَة نَقْص وقُصـور صـفاته، فيتحول ذلك الجسد نصاً تُدون عليه كل الرموز الثقافية والاجتماعية والدينية " **ذم، مدح**" إن لها **(اللغة)** سلطة على الجسد تُنافس سلطة الذكور وهيمنتهم الذين نتوجس منهم خيفة كما تربينا ونشئنا ، فسُلْطَتَهَا جعلتنا ننظر إلى إنفسـنا من خلال **المرآة** ليس لنزداد جمالاً وبهاءً فحسـب بل بسـطت سـلطتها مجبرة ، تلك الأنثى المتبرجة بالزينة الصـــارخة لتعدلها كما أرادت العادات والتقاليد، فتظهر من خلالها أيضـــا لغة الاقصـاء والوصـم في كلمات متعارف عليها وتخدش الحياء، لغة تُقييم المظهر الخارجي تُحدد مصـير الأنثى. وعيلـه فإن معظم مبحوثاتنـا إن لم نقل كلهن يتفقن على أن الأنثى تُخْتَصَـــرْ في الألفاظ والعبارات (اللغة) وذلك أكبر ما يخيفها (المقابلة رقم27).

" اَنْتِ الّي تْخَلّي النَّاسْ تْقَيْمَكْ وَإلاَّ تَحْقْرَكَ وَتْعَايْرَكْ وَتْسَبْكْ بَالْهَدْرَه "

إن إتحاد **الجسد** مع **اللغة** يجعل الأنثى على إستعداد لمقاومة ذاتها والذين أنتجوا ونسـجوا البناء اللغوي (المجتمع) فيصـــبح اللامرئي **(الخفي)** واقعاً تجتمع فيه مكبوتات الجســـد، واقعاً معاش يُفْرَضُ قهراً عليها **(تبعية)** ويُحَوِّلُهَا الى حقل اجتماعي وصـــوت ثقافي وانعكاس أخلاقي، فكل منطقة فيه هي صـــورة ســـوســـيو ثقافية من نَظْمِ المعان ، ولغة اتصـــالية تُلامس الواقع وتُعَبِّرُ عنه وعن تمثلاته وعن الأنوثة من خلال الدلالات المتجسـدة في كل تفاصـيله، ومن خلال نظم المعاني والكلمات التي تتحول في أي لحظة إلى فعل ضـابط يطارد تلك الأنثى ويَسرق منها بريقها، وبالتالي لا بد على هذه الأجساد أن تُتْقِنُ لعبة التصـنيفات الجسـدية حتى تُديمه مشـتهى وحتى تَحظى بالمكانة التي يريدها له المجتمع. فهي تدرك جيداً أن وجودها لا يتحقق من خلال جسدها، جسد زاخر بالأنوثة والأمومة يذوب في قوالبه الدينة والسـوسـيوثقافية. إنه **تنميط ثقافيي للجسـد الأنثوي** وصـفحة بيضـاء تكتب الثقافة عليه، تحفر وتنقش معانيها ورموزها حتى بات هذا الأخير حافضـــاً وناقلاً لكل هذه التمثلات والتصـــورات التي

[1] فريد الزاهي، **مرجع سابق**، ص19

نسجت حوله. وصار صفحة للقراءة الفردية والجماعية ومادة للقراءة الثقافية ، بل تعتبر كتاب مفتوح للقراءة والفهم نقرء منه سعيى الأنثى للاعتناء بجمالها الثقافي الذي أوجدته الثقافة بمواصفات خاصة و بتواطئ اجتماعي.[1]

القد أُختصـــر الجمال الأنثوي في الوجه باعتباره محط النظر والاهتمام الذي تظهر من خلاله الفتنة والجمال، فالوجه يأخذ الحيز الأكبر من العناية والتجميل بين الإناث على تنوع المواد والممارسات المستخدمة سواء في طقوس العناية الذاتية او في فضاءات ومراكز التجميل لإظهار هذا البريق وبعثه على الدوام، أو ما يعرف في مساحات اللاإشهار بال**شباب الدائم**. ومن أجل ذلك تنوعت الممارسات و**ا**لمستحضرات بين المحلية والمستوردة و المقلدة، وبين الباهضة الثمن والمتاحة بأقل ثمن من "**أقنعة صـــابون، زيوت، ماســـك...** وغيرها من المنتجات. لكن بعد التقدم وانتشـــار فضـــاءات التجميل وظهورتقنيات العناية الجسدية الحديثة والمتطورة أصبحت الكثيرات تفضلن الذهاب لهذه الفضاءات الحميمة لما توفره لها من خدمات راقية باقل جهد وبنتائج سريعة فأصبحت لا تستغنى عنها، ترى فيها سر الجمال والاعتراف خاصة مستحضرات التجميل **(مكياج)** الرفيق الحميمي الوفي والدائم لكل أنثى يبعث الجمال ويظهر المفاتن. يزيد من إشـــعاع الوجه ويُذهب خطوط الزمن المرتســـمة على البشـــرة فيخليصها من كل العيوب الى جانب ما توفره مختلف التقنيات الحديثة من خدمات عالية الجودة داخل فضاءات ومراكز خاصة وبيد مصـمَارِسات مَتَمَرِّسات **(فيلر، بوتكس، ابر النظارة، ميزوتيرابي....)** لتظل الانثى وجسدها تحت الرقابة المستمرة ، والعناية المشدَّذة. فاختصرت الأنثى كينونتها في جسدها ومظهرها عندما قبلت بقيم الجمال وانخرطت في لعبة التصنيفات الجسدية المُسَلِّعَةُ للجسد والعارضة إياه في بورصـــة الموضـــة والجمال الداعمة لمســـاعي الثقافات الغربية بالدرجة الأولى، الســـاعية إلى تشييئه واختصاره في جسد طَيِّعْ يمتثل لقانون العرض والطلب ودفنت كل قيم العفة والشرف والحياء التي تحرُصـــه وتحفظ ديمومته ومكانته بكشف مفاتنه وابداء زينته الصـــارخة. لقد عَرَّتْهُ باسم الحداثة والتقدم واخترقت كل القيم والقوانين النَّاظمة لانســـجامه وجعلته أكثر اغواء مُحتفي بإنوثته الصَّـــارخة المعروضة في الفضاء العام الخارج عن حدود السوسيوثقافية والقيمية الدينية، والمتغير بتغير موضة

[1] عبد الله محمد الغامدي، **ثقافة الوهم" مقاربة حول المراة والجسد واللغة"** المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، المغربط1، 1998 73.

الجمال ، وهذا الأمريراه الكثيرات من المبحوثات إنســـلاخ عن منظومة القيم والأعراف لمجتمع البحث غيَّرت مقاييس الجمال ومفهوم الجسد والأنوثة، أنتجت انثى بلا روح ولا قيم.

لقد تغيرت اليوم القيم التي صـنعت مفهوم الأنوثة. فمن الحشـمة والسـتر ألى إسـتعراض الجسـد سواء كان مُحجباً أو مُتبرجاً، وانتهاك صـاحبته سواء كانت متزوجة، عزياء او أرملة، صـغيرة السن أو كبيرة. وهذا ما نراه اليوم أينما رحلنا وارتحلنا، أجسـاد فاتنة ووجوه جميلة لعبت التقنية بملامحها وأعادت تشـكيل ورسـم ملامحه وفق القوالب الحداثية الجاهزة التي رسـمتها الموضـة وسـوق لها الإعلام، انسلخت بذلك الأنثى عن قيم المجتمع، وحادت عن المعاني الثقافية لمفهوم التجميل وأصـبحت تتحدث عن إرضـاء الذات وتبحث عن الأنوثة والشـباب وازداد شـغفها وهوسـها بذاتها وامتلاك مظهرها بل وإفراطها في الاعتناء به. وباتت أكثر تقبلاً لقيم الحداثة ومسـايرة موضـة التجميل بكل معطياتها وماركاتها، ويصـبح بذلك الجسـد دالاً ثقافياً وحامل لقيم حداثية فردانية تتنافس عليها كبرى الماركات التي تغذيها الموضـة باستمرار و تتحكم فيها الشبكات العنكبوتية وتعمل على استلاب الجسد وتشييئة وبات الحدث الجمالي هيمنة ثقافية تسللت للنسيج الاجتماعي والثقافي لمجتمع البحث وكل المجتمعات واختصـرت الأنثى في جسـدها. ففي كشـف الجسـد انزياح عن القيم والعادات والأعراف وتعرية للطابو (الجسد) إذ لا يجب اغفال هذا الاحتفاء بالجمال بل يجب الانتباه لذلك التحرر المعلن.

لقد فرض العصـر الراهن على الأنثى معايير جمالية أجبرتها على الإلتزام بها بغية الوصـول إلى القوالب المسوق لها حول الجمال والجسد المثالي عبر مختلف قنوات الأعلام وشبكات التواصل الحديثة نتيجة التطور الحاصل في عالم الجمال وصـناعة الاظواق الجمالية وموضـة خدمة الجسد وتجميله من منتجات وتقنيات حققت للجسـد ما لم تحقه تقنية ولا ممارسـة من قبل، فالجسـد في مختلف فضـاءات صـناعة الجمال والذوق الجمالي أزهر وأشـرق وإنبعث من جديد ، واختزل الأنثى في في جسـد جميل ومظهر جذاب وقوام فاتن، حتى باتت الأنثى أكثر تماهيا مع قوالبها الجاهزة مســلوبة الإرادة والرغبة ضـناً منها أنها هي من تختار. فانخرطت في فضـاءات التجميل وصـناعة الجسـد المنتشـرة هنا وهناك علها تصـل الى مبتغاها. متماهية مع قوالب الجمال الجاهزة والتي اتخذت منها ومن جسـدها الواجهة للاستثمار والتسويق الغير مسبوق. فتغيرت مفاهيم الجمال وتغير شكل الجسد ومظهر الأنثى " **شعرها، عينيها، شفاهها حاجباها...**" لامست الموضـة كل مساحات الجسد ولعبت بتفاصيله وغيرت مقاييس الجمال منتجة انثى حداثية تمتلك جســدها " **تُكَبِّرُ، تُصَــغِّرُ، تَزِيد، تُنْقِصُ، تَسْــتَبْدِلُ...**" وغيرها من

العمليات المستمرة على الجسد فلم تعد العادات والقيم عائقاً أمامها بل تجاوزت سُلطتها وانسلخت عن هويتها المرهونة بالعيب والحرام والعفة والحياء. وتغير الجسد وتغيرت معه المعالم والقيم التي تحرصه واستعبدت الأنثى من قبل الإعلام المسوق لقيم الجمال الحداثي. وهذا مؤشر على التحرر المتنامي والفردانية الصارخة المتجذرة في مجتمع البحث وتراجع لمفهوم الجسد والأنوثة، التي لم تعد الأنثى ترها نظاماً هشاً فحسب بل تُبدي رغبتها وقدرتها على التغيير، وسعيها الى المزيد من الارتقاء في سلم الحرية، وتجاوز كل الاكراهات الاجتماعية التي لم تعد بالنسبة لها إلا مجرد أساطيرتقف امام سعيها لإمتلاك الذات والرقي بها.

3.3. الجسد المؤنث بوصفه تمثيلًا ثقافيًا

الجسد في الفكر الأنثروبولوجي والسوسيولوجي الحديث الأكثر حضوراً باعتباره كيان وبناء سوسيوثقافي أكثر من كونه كيانًا ماديًا أو بيولوجيًا؛ إنه بناء رمزي ومعياري تُنتجه المجتمعات من خلال التمثلات التي تشكّل تصورات الأفراد عن ذواتهم وعن الآخرين وهو ما يجعل التمثلات أداة مركزية لفهم كيفية إنتاج وتداول المعاني المرتبطة بالجسد. فمن خلالها يُعاد تشكيل الجسد عبر أنظمة من الرموز والتصنيفات الثقافية التي تمنحه دلالاته ومعانيه. فالجسد الأنثوي في معظم الثقافات هو الدلالة والصورة والرمز باعتباره فضاءً للإسقاطات المجتمعية والتقابلات التي حَوَّلَتْ الجسد إلى شاشة رمزية تُعرض عليها مختلف التوترات الاجتماعية، خاصة تلك المتعلقة بالجندر، والسلطة، والهوية. تختلف حسب السياقات التاريخية والدينية والثقافية، غير أنها في المجتمعات العربية ترتبط بالشرف، والعِفّة والخصوبة مُخْضِعة إياه للقمع والمراقبة باعتباره باب للفتنة. بينما تُظهره الأنثى في أوج صوره المغرية والفاتنة في سوق الإستهلاك تقف العادات والأنظمة الاجتماعية أمامها تُقوِّم إنزلاقاتها مما أنتج ثنائيات من التمثلات كموضوع للمراقبة ليظل تابع مهيمن عليه يعاد إنتاجه بما يخدم المصالح المشتركة وسيادة النظام القيمي والسوسيوثقافي. فالجسد بناء رمزي أنتج عدد لا يحصى من التمثلات التي تسعى لاضفاء المعنى عليه من مجتمع لآخر.[1]

[1] دفيد لوبروتون، **مرجع سابق**،،ص10

خلاصة

لقد حاولنا من خلال هذا الفصل فهم هذا الجسد وفك اللُّبس عن مفهومه ومرتكزاته المتجذرة في كل البنى الفلسفية الدينية والاجتماعية الثقافية. وكان للجسد الأنثوي وافر الحظ من البحث والتقصي. غير أن اتساعه فرض علينا تتبع سيرورة البحث فيه من عدة زوايا وكان للحركات والمقاربات النسوية وما سعت إليها (النسويات الغربية والعربية) في مسيرتها دوراً بارزاً في فهمنا له ولمؤشرات التغيير في تاريخه وما قدمته "مؤتمرات، حركات، لوائح وقوانين" لعلَّهَا تُحيده من الهامش وتعيده إلى الصدارة لكنها عبثا حاولت، دون أن ننسى ضرورة فهمه في السياق العربي الإسلامي، موطنه وانتمائه بالوقوف على ماضيه لفهم حاضره داخلين من باب العناية الجسدية وصولا إلى تشكل الذوق الجمال، والثوابت التي أوجدته من قيم، عادات، دين طقوس...الخ فلا أحد إذاً يستطيع تجاهل تلك البنى الظاهرة والخفية في تشكيل الجسد من زينة وتجميل وممارسات المحكومة بسيرورات ثقافية ودينية تذوب في العادات والتقاليد والعرف. تنزع تارة للتحرر منها وتارة أخرى ترتاح للإنصات المشترك **(الأنا والآخر)** الذي يُفضي إلى الإختراق والإحتواء ومن ثمة يتحول الجسد إلى لغة وشكل من أشكال الخطاب يحمل هيمنة ناعمة فاتحة المجال لولادة جسد أنثوي جديد يذوب في قوالب الحداثة، و أن هذه التركيبة الإنسانية المتفاعلة عُرفاً ودِيناً، وثقافة وسياسة واقتصاد هي خصوصية بالدرجة الأولى. وذلك ما حاولنا فهمه ونحاول الوقوف عليه في الفصول اللاحقة من هذا العمل ويحذونا سؤال واحد ووحيد عمَّا إن كان الجسد بقبضة الحداثة وما أنتجته من تقنيات وممارسات العناية الجسدية؟ أم ما يزال وليداً في كنف حارسه الأمين –**الأم**– الذي يحفظ مخطوطته ويذوب في قوالبها؟ وسنجيب عن هذه التساؤلات فيما سيأتي من الفصل اللاحق.

الفصل الثالث:

إشكالية الجمال ولعبة التصنيفات الجسدية «وجوه تتكرر وأبعاد تتقاطع"

تمهيد

الجسد والجمال عملة بوجهين فكِلاهما يَدُلُّ على الآخر ويحفظُه، فعندما نقول جسد فإننا نعني تلك الحمول الرمزية، فهو إما جميل أو قبيح. ولمَّا كان الجمال مُتجاوز لكل البُنَى والهَوِيَّات والخصوصيات الثقافية والاجتماعية والدينية فإننا سنحاول من خلال هذا الفصل الاقتراب منه كمعطى بيو ثقافي، نَفُكُّ شفراته و نتتبع مضامينه الظَّاهرة والخفية التي أوجدته وتؤسس له كحقلٍ رمزي للاستثمار الأنثوي " **المُمَارِسَةُ والمُمَارَسْ عَلَيْهَا** " وفهم ما يترتب عن ذلك الهوس بالجسد والمظهر وما ينسجم ويذوب مع الآخر **(الأنثى)** ثم نبحث عن مظاهر الانتماء ومستويات التنازع والانسلاخ في إطارها المحلي والعالمي الذي يجعل من الجسد فِعلاً ورهاناً لفهم مجمل التحولات والتغيرات التي لعبت به وبمفهوم الجمال والهوية الجندرية، الخاضع لسيطرة التِقنيات والمُمارسات بعدما كان موضوعاً للقمع والتكتم ومتجاوزاً كل موجوداته حتى بات واجهة المشهد السوسيو ثقافي والاقتصادي في مجتمع البحث**(باتنة)** وفي كل المجتمعات العربية والغربية. وعليه سيكون هذا الفصل إبحار في مضامين الجمال وعوالمه وممارساته التي تُعَبِّرُ عن هيمنة من نوع آخر.

أولا: الجمال الأنثوي الماهية والمفهوم

يميل الانسان بطبيعته للانجذاب إلى كل ما هو جميل جذاب يبعث على الغبطة والرفاه ويريح الخاطر والوجدان، ولمَّا كان الجمال قيمة إنسانية عُليا تهتز لها مشاعرنا وترتاح لها نفسنا، نسعى لبلوغه كيف لا **والله جميل يحب كل جميل**. فالحديث عن الجمال محور اهتمام كل المجتمعات في مختلف الأزمنة والحضارات على مر التاريخ، حرصت على غرسه في النفس والوجدان والتمثلات حسب قيمه والمتعارف عليه ثقافيا واجتماعيا، وهاجس الأنثى الأول والأزلي. وأن الحديث عنه مُتشعب تتشابك فيه المفاهيم والمعاني وتُنسج حوله الخِطابات التي تُحدد مُمارساته وطقوس العناية به "**تزيينه**" ليس كمعيار مادي يقيس قيمة الجمال إنما كشبكة معقدة لمختلف التبادلات النفسية والسوسيو ثقافية المثقلة بالرموز والدلالات ومسرحاً للتمثلات التي تعكس قيم المجتمع وهويته ولا يُفهم إلا من خلالها.

1.الزينة والجمال دلالات المعنى

الجمال والجاذبية سعي الأنثى الدائم فقلَّما تجد من تتغاضى عنه. فسحره قوة خفية تؤثر فيها وفينا وفي المحيطين بنا. بل إن أثر الجمال في حياتنا يتجاوز حدود رغباتنا البسيطة ويتعداها إلى التأثير في جوانب قلَّما تخطُر ببالنا. إذ يشهد الوطن العربي والعالم بأسره انتفاضة كبيرة لم يُشهد لها مثيل في عالم الجمال والعناية الجسدية من خلال الإقبال المتزايد على عيادات التجميل وصالونات الحلاقة ونوادي الرياضة ومختلف فضاءات ومراكز العناية الجسدية رغبة في الجمال وافتناناً بالجسد لبلوغ مراتب الحسن والجمال في عين الذات والآخر. وعليه فموضوع " **الزينة والتَّجمُّل**" من المواضيع المحورية المرتبطة بالجسد، وأن الحديث عنهما يحيلنا مباشرة دون قيد إلى الجمال، الوجه الثاني لمفهوم الجسد والأنوثة والواجهة التي تُقرأ منها شخصية الأنثى وهويتها. يتجاوز كل التمثلات والتصورات البيولوجية الضيقة ليُصبح خِطاباً وجزءًا أساسيًا من البناء الاجتماعي والرمزي للمجتمعات التقليدية والمعاصرة باعتباره أحد المكونات الأساسية والمفاهيم الهامة لفهم خصوصيته. غير أنه عَصِيٌّ التعريف والضبط لحمولته القيمية وثِقَل المفاهيم التي تُنسج حوله كونه خاضع للذوق الإنساني والتقييم الذاتي الذي لا يتحقق إلاَّ عبر الزينة بمختلف ممارساتها وآلياتها. ما جعلنا متسائلين هل سنتحدث عنهما بصيغة الفرد؟ أم نتحدث باسم الجماعة؟ هذا ما يدفعنا للبحث في دلالات المفهومين وفك اللبس عنهما باعتبارهما شفرات هامة لفهم الجسد الأنثوي.

1.1. مفهوم الزينة

– **في لسان العرب: الزَّيْن:** خلا ف **الشَّيْن،** مصدر زَانَ وجمعه أَزْيانٌ. والزينة هي ما يُتَزَيَّنٌ به، وزَانَ الشيء وزَيَّنَهُ: حسّنه وزخرفه. زانَه زَيْناً، وأَزْيَنَه، وتَزَيَّنَ وازْدانَ وتَّزين وتَجَمَّلَ في مَظْهَرِه، ويقال امرأة زَائِنُ ومُتَزَيِّنَةٌ. [1] ومن هذه المعاني يتضح أن كلمة الزينة تُطلق على ما يتزين به الإنسان مما يكسبه جمالاً من لباس وطيب ونحوهما.

– **في القران الكريم:** وردت الزينة في القرآن الكريم في عدة مواضع، فهي تشير إلى ما يُظْهِرُ جمال الانسان أو الشيء بما يتزين به الإنسان ويُجَمِّلُ مظهره ويُكسبه جمال المظهر" **لباس، حلي، زينة، طيب...الخ**" وغيرها، إلا أن معانيه لا تقتصر على المعنى الظاهر بل تتجاوزه إلى الباطن لتشمل" **الخلق الاحترام السلوك...**" ولقد ورد لفظ الزينة بعدة معاني في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ **(سورة الأعراف، الآية 31)** وقوله أيضا ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ **(سورة النور، الآية31)** حيث ارتبطت بالستر احتراماً للمرأة والمجتمع، وكما جاءت أيضا كجزء من المتاع الدنيوي في قوله تعالى ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ **(سورة آل عمران، الآية14)** فالزينة في القرآن الكريم دعوة للاهتمام بالمظهر الحسن والوعي به لأن الجمال لا يكتمل إلا من خلال الاتزان. وعليه فالزينة ليست شيء نرتديه بل مقاماً تحقق فيه المكانة والمسؤولية. وبهذا تفرق الزينة عن الجمال الذي يطلق على اعتدال أصل الخلقة واستوائها وأما الزينة فتُطلق على ما يشمل الجمال أو المضاف لها.

– **من المنظور الأنثروبولوجي الزينة** ليست مجرد ممارسات وتقنيات لتحسين المظهر بل هي فعل اجتماعي ورمزي يُسهم في بناء الهوية الجندرية والتعبير عنها. إذ أنها تُجسّد امتثال الذات لمعاير الجمال وقوالبه الاجتماعية والثقافية وتمثلاته التي ينسجها الفرد حسب خصوصيته وثقافته، كما تعيد إنتاج المفاهيم الجندرية (ذكر، أنثى) من خلال آليات وتقنيات التجميل التي تحمل دلالات ومعاني ورموز ثقافية وتاريخية تعمل كوسيط بين الجسد الفردي والنظام الرمزي الجماعي.

[1] ابن منظور، **مرجع سابق**، ص1066.

أما "**فريد الزاهي**" **فهو** يرى أن الزينة عبارة عن تقنيات وممارسات تستهدف الجسد وتحوله من حالته الطبيعية والفطرية إلى جسد موسوم بملامح ثقافية، تُحاك حوله التمثلات والممارسات. حيث يقول: " **وبما أن المظهري جمالي واجتماعي تواصلي، فإن كل تغيير تتدخل فيه عوامل متعددة ينبئ هو بدوره عن طبيعة التحول في الممارسة الاجتماعية والتصورات الذهنية لدى الأفراد والمجموعة البشرية كاملة** " [1] فحسبه الزينة ليست منظراً ظاهرياً وسطحًا خارجيًا، إنما هي لغة رمزية تُعبّر بها الأنثى عن ذاتها ومكانتها وترسم أنوثتها هويتها، **و/أو** حتى تمردها. وعليه فالجمال يمثل أحد أعظم وسائل التعبير عن الذات والجماعة.

2.1. مفهوم الجمال

– **الجمال لغة:** الجَمالُ من الفعل جَمُل ومصدر الجَمَال، وهو الحسن الذي يكون في الفعل والخلق وَقَدْ جَمُلَ الرجُل جَمَالًا، فَهُوَ جَمِيل، والجَمِيلُ ضده القَبِيحُ. ويقال تَزَيَّنَ فلان أي تَجَمَّلَ، وهو جَمِيلٌ. فالجمال في اللغة معانيه كثير تشير الى الحسن والنضرة والبهاء والزينة. إذا هو بذلك كل ما يَسُرُّ النفس ويبعث على السرور عند النظر، مرتبط بصورة تشمل كل التفاصيل، وتخلق اللذة بعد النظر.

ولقد استعملت **اللغة العربية** الكثير من المصطلحات للتعبير عن الجمال بعضها شمل العام والبعض الآخر كان للخاص. حيث ان الثعالبي في كتابه فقه اللغة صنف الجمال ضمن كلمات جعل لكل لفظ منها مجاله الخاص كما في الشكل التالي:[2]

[1] الزاهي فريد، **مرجع سابق**، ص. 94.

[2] ابن القيم الجوزية–**الجمال، فضله، حقيقته، أقسامه**–تحقيق إبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط1، ، ص14

الجدول رقم3 : ألفاظ تصنيف الجمال الأنثوي في الثقافة العربية

الجمال	اللفظة
الوجه	صباحة
البشرة	وضاءة
الانف	جمال
العينين	حلاوة
الفم	ملاحة
اللسان	ظرافة
القد	رشاقة
الشمائل	لباقة
الشعر	جمال

– فالجمال يُذكَّر ويؤنَّث وهو عكس القبح، ارتبط دوما بالمرأة فيقال **امرأة جميلة** أي أنها متكاملة ذات جمال صريح وخفي يتجلى في:

- **جمال صريــح:** يتجلى في العيون وفتنة القوام وسواد الليل في الشعر وسبائك الذهب في الجدائل.
- **جمال خفي:** يتناسب من سماحة روحها وعذب صوتها وحيائها، أو من أشياء أخرى لا تراها العيون مثل الفتنة والدلال. [1]

– **في القرآن الكريم:** لقد حثت الشريعة الاسلامية على التأمل في الجمال، ولقد ورد ثماني (08) مرات واحدة منها بصيغة المصدر، أما الباقي فكلها ضمن مجال الأخلاق، حيث جاء مدلولها في عدة آيات من القرآن الكريم. إذ وردت بعدة معاني لتؤكد على الجمال المعنوي الذي يشمل " **الاخلاق، الصبر التسامح...**" ومن المواضع التي وردت فيها كلمة " الجمال" في كتاب الله في فيقوله ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ (سورة يوسف الآية83) وفي قوله أيضا ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾ (سورة

[1] محمد فياض وسمير اديب، **الجمال والتجميل في مصر القديمة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 ص5

المعارج الآية5) يريد الله ليؤكد ارتباط الجمال بالأخلاق فجاءت أيضا بمعنى الصبر والاحتساب. وجاءت بعض الآيات لتؤكد حسن الخلق في المعاملة في قوله تعالى ﴿**وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية 28).

إن كثرة الشواهد والنصوص القرآنية تؤكد على أن الجمال مطلب أساسي لحياة الانسان بل هو وسيلته للتعرف على جلال الله وعظمته. وفيها دعوى للتأمل في خلق الله المُتجلي في صفة الجمال ومعانيها المتكاملة المتجاوزة لكل ما له علاقة بالمظهر، فلا يكتمل الجمال الظاهر إلا بالجمال الداخلي حيث الفضيلة وحُسن الخلق ثم صفاء النَّفس وتوازنها ما يكون له أثر على المجتمع. فليس غريبا ان يَعتلي الجمال عرش المنظومة القيمية التي تُكوِّن جوهر الأنوثة[1]

إن الجمال والجمالي من منظور **الأنثروبولوجيا** يفهم من خلال الأنثى ويتجسد في المظهر الجذَّاب الأنيق المتكامل، فالجمال الأنثوي يُعتبر نتاج لتلك التفاعلات المتعددة بين الثقافة والهوية التي تتولى مهمة القولبة مُنتجة نماذج جمالية تذوب في خصوصيتها وتختلف باختلاف سياقاتها التاريخية والجغرافية والسوسيو ثقافية. إلا أن هذه المعايير في عصر الحداثة اتخذت طابعًا عالميًا موحدًا متأثرًا بعمليات العولمة والاقتصاد الرأسمالي الذي انتقل بالاستراتيجية المظهرية "**الزينة، الجمال**" من التواصل مع **المقدس** إلى التواصل الاجتماعي- الثقافي. مع **الموضة**، وأصبحت بذلك **الزينة** استراتيجية مظهرية لها علاقة وثيقة بالفتنة والغواية، لها طقوسها وشعائرها ونواياها، مواردها وفنياتها التي تخترق الصور النمطية.

3.1. الزينة والجمال أية علاقة؟

تُعتبر مسألة **الزينة والجمال** جزءًا لا يتجزأ من اهتمامات الأنثى وحميميتها التي لا غنى لها عنها، تتجدد معها كل يوم وتُعيد من خلالها تشكيل ذاتها وبعثها لتتناسب مع الموجودات المحيطة بها من مفاهيم ورموز تتغذى من المتخيل الثقافي المُتجذر في عمق الحكايا والأساطير. فالسعي للجمال والاحتفاء به وُلد بولادة الإنسان وأُلحق بالأنثى واعتبر شكلها ومظهرها المعبر عن كينونتها وانتمائها ومكانتها التي تُكرِّس لمفهوم الاشتهاء. فالجمال كقيمة عُليا تُميزه على جميع الصفات الأخرى التي تُبنى في شخصيتها من خلال مقاييس مُحَدِّدَة للمرأة الجميلة، وكيفية بلوغه والحفاظ عليه.

[1] امال قرامي، **مرجع سابق**، ص240.

لقد عرفت مختلف الشعوب والحضارات **التزَيُّن** والتجميل وما تزال تُمثل السرّ الكوني المقدس الذي لا يمكن تفسيره، إنه خاصية الأنثى ومطلبها. فهو ليس بالأمر الغريب عليها فحُبه فطرة مغروسة في نفسها وُسِمتْ به وبحب الزينة والاعتناء بذاتها وفق القيم التي أُنشئت عليها منذ الطفولة وخبرت خباياها كلما تقدمت في السن عبر مختلف آليات التنشئة بكل أطرها وأساليبها التي لقَّنتها لها العائلة وعلَّمتها كل ما له علاقة بطقوس العناية بالجسد باعتباره " **رأسمال ثقافي**" يحدد الهوية وعامل أساسي " **للقبول**" أو " **للإقصاء**" بحثاً عن المكانة والقيمة لضمان الاعتراف الاجتماعي في كل سياقاته المبني على **الحشمة، العيب والحرام** ما كان له الأثر البالغ في تشكيل وعيها حول مفهوم الأنوثة وكيفية الاعتناء بذاتها، وعن مفهوم التجميل والزينة وما تتطلبه الممارسات من أدوات وطرق للعناية بمظهرها والتباهي بالحسن والجمال. بل وعن كيفية فهمها وإدراكها لجسدها والصورة التي تريدها، بل وادراكها جيداً معايير وأسس الترويض والقولبة وتُحدد الوظائف التي تنهض بها أجزاؤه المختلفة وعلاقاتها ببعضها البعض مما يُنتج في النهاية نوعاً من المعرفة التي تُسيير الإنسان وادراكه لهذا الجسد جماله وزينته، ما يُتيح له أن يُدْرِكَ حقيقة موقعه من المجتمع وعلاقاته مع الآخرين.[1]

وعليه فإن العلاقة بين **الزينة والجمال** علاقة حميمية تكمن فيها كل الممارسات ويكمن التناسب والاعتدال الذي يُعبر عن عمق التجربة الإنسانية ويتجاوزها لا لكونه مجرد مظهر يعكس أبعادًا نفسية دينية وسوسيو–ثقافية. بل يتعداه ليأخذ دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الأنثوية ويعكس القيم الأخلاقية، والمعايير الاجتماعية التي تُحدد مفهومه في مختلف السياقات. فالعلاقة بينهما تُرسم على حدود الجسد وتشهد عليها العادات والتقاليد مُتجاوزة أشكال الخطاب سواء كان مشحون بالنبذ ينادي بإقصائه كلما ظهرت مفاتنه وبرز جماله، أو خطاب يُعبِّر عن تنوع المظاهر والميل إلى تقبل الأذواق الجمالية والمعايير الحداثية التي تمنحه مساحة أوسع من التحرر من القيود وتعيد تشكيله وفق الموضة. إنه خطاب يتراوح بين الإقصاء الصارم والقبول المتحرر ليبقى الجسد ثابتاً عصي يتطلب الكثير من الفهم. وبالتالي لن يَقْدِرَ الجمال حَسْمَ الموقف وتوحيد الصور وتنميط القوالب، كما لا تستطيع آليات التجميل أن توحد الجمال والذوق الجمالي أو أن تُقيم مقارنات ثقافية عبر الزمان والمكان حتى وإن بدا الجمال والجسد وثيقي الصلة مرتبطان حد الالتحام.

[1] مها محمد حسين، **مرجع سابق**، ص 41.

2.الزينة والجمال الأنثوي فصول اللعبة العصية

1.2. الجمال الأنثوي والجسدانية ثلاثية الخطاب

لا وجود للجسد الأنثوي إلا في كينونته، انتمائه وهويته التي أوجدها الانسان نفسه، وضَبط من خلالها حركاته وسلوكياته وفقا للقيم الدينية والمعايير الاجتماعية والأخلاقية، فهي تحرصه وتحميه من كل انتهاك وتعدي يمسه. كونه الأكثر خضوعا للمراقبة مقارنة بالرجل، وبالتالي فإن ثمة صلاة وثيقة تنسج بين الجسد والقيم والعادات والأخلاق. وأن تلك التمثلات التي تنسج حوله ويتوجس منها أوجدت العديد من آليات الضبط والقولبة التي تحرصه وتمنحه المكانة وتُعلي من شأنه وتُبقيه مشتهى مقبولاً مُنسجما على الدَّوام وفقا للقيم والأعراف الضابطة لذلك المعطى الإنساني في معانيه:

أ- **الجسد الانثوي ومفهوم العيب:** يعتبر العيب نقطة نظام حساسة في النظام العائلي لمجتمع البحث وكل المجتمعات العربية والإسلامية ومن قيم الجسد العليا، المعيارية والرمزية المرتبطة به. حيث تتأسس عليه قيمة الأنثى ومكانتها باعتبارها " **الشرف، العيب، النيف** " وبالتالي فإن كل ممارسات العناية الجسدية تُقاس بالشرف بكل حمولته ومضامينه ومفاهيمه عند كل ظهور في الفضاء العام: فهي إما- **بَنْتْ فَامِيلْيَا**- إن سايرت عادات وتقاليد المجتمع وهي - **امْرَاه وَنُصْ**- إن توافقت في المظهر والسلوك وتكون غير ذلك - **مَاتَسْوَاشْ** - إذ اتَّبَعت الموضة وتحررت من قيود العائلة والمجتمع. فيذوب بذلك **الشرف** في مفهوم **العذرية**، ليصبح اختراق الأنثى لقوانين المجتمع في شكلها وسلوكها من خلال الممارسات التجميلية بمثابة " **انتهاك للعرض واختراق للعذرية ووَئْدٍ للشرف**" وأن هذا المفهوم الرمزي للشرف المتجسد في قيمة العذرية المرتسم على الجسد يتطلَّبمن الأنثى الحرص وتوخي الحذر في مظهرها عند كل حضور اتقاء أي اختراق رمزي لهذه التيمة التي إما تُعلي من قيمتها أو تُقصيها.

ب- **الجسد الأنثوي ومفهوم الحشومة:** الحشمة وحشومة من المفاهيم المتجذرة في المتخيل الاجتماعي العربي. المتعارف عليها على أنها كل انتهاك للعرف والمعايير الاجتماعية بمفهوم الجسد كما عرفتها الباحثة سمية نعمان جسوس [1] **الحشومة** تصير الى الحياء مع أنه يتعسر تعريفها أو إيجاد ترجمة لها لما تحمله الكلمة من معاني كثيرة بحيث تعمل على توجيه السلوك قبل حدوثه فهي تحمل في معناها الحياء ومع ذلك فمن الصعب حصر معانيها في سياق ومعن محدد بعينه. حيث يُنشئ عليها الجسد فرداً ويُبعث جماعة. وترتبط بالمظهر الأنثوي في سياقه الاجتماعي والثقافي، وهي لا تعني

[1] سمية نعمان جسوس، **بلا حشومة**، تر: عبد الرحيم خزل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003(بتصرف)

الخجل والحياء بل هي ضوابط ولوائح تتحكم في جسد الأنثى الذي يتشكل عبر العادات والتقاليد والأعراف، وكل ما له علاقة بالتحكم في السلوك وممارسات العناية الجسدية خاصة بحيث يُعتبر الخروج عنها اختراق لتلك الحمولة القيمة والعقائدية والعرفية أو ما يعرف بـ "**حْشُومَة**" التي تعني فُقدان السيطرة والتحكم في الجسد **(فردية، جماعية)** نتيجة الصراع ما بين قيم الجسد التقليدية وقيم الحداثة. حيث يُكسر معها طابو الجسد والجنسانية.

ج- الجسد الأنثوي حدود العيب والحرام: البعد الديني لمفهوم الجسد الأنثوي يستمد مشروعيته من "**العيب والحرام** " ويدخل ضمن مفهوم " **المحظور والمرغوب**" وتختلط ايديولوجيات تقنينه بالعادات والتقاليد وبالدين الممزوجة بالهيمنة، تلك فرامل المُثبطات لكل انزلاق لهذا الكيان. حيث يُنظر له على أنه نِظام معقد يتداخل فيه الديني بالاجتماعي والثقافي بالعادات والأعراف والتقاليد وبالسياسة والاقتصاد تَجَنُّبًا للعيب والحرام. وطلباً للتماهي مع تعاليم الشريعة والنصوص القرآنية والقيم الأخلاقية. وبالتالي فإن ظهور الأنثى في الفضاء العام يستوجب المراقبة الصارمة وضبط المظهر في "**الزينة والشكل**" اتقاء الفتنة التي تُصبح بمثابة **ذنوب وآثام**، وبالتالي فلقد حثت الشريعة الاسلامية الأنثى على ستر جسدها حفظاً لها من النظرة الثاقبة التي تخترقها وتخترق كل العائلة وبالتالي حفظ هويتها وانتمائها. وعليه فعلاقة الجسد بالعيب والحرام ليست علاقة **تَحَكُّمْ** بقدر ما هي علاقة **تَفَاوُضْ** تستند على الخطاب الديني الذي يحفظ الجسد الأنثوي ويُعلي من شأنه. فمن خلال المظهر تبرز القيمة والمعيار **(السمعة والشرف)** وتُسلب الكينونة والمِلكية لأن الحرية وهمٌ كبير يتطلب الكثير من العناية والذوبان والتماهي. وأنَ ارتباط الجمال بالجسد الأنثوي يتجاوز حدود المظهر الخارجي ليصبح أداة للتمييز الجندري (امرأة، رجل) وحامل لقيم الشرف والعفة يجب على الأنثى الامتثال لها في حركاتها وسكناتها ليس كدليل على الجنسانية بل كمعيار للقبول، ووسيلة للهيمنة الاجتماعية والثقافية والذوبان مع هذه المعايير الضاربة في عمق الانتماء الهوياتي الديني والعربي الامازيغي المتوسطي. والتي تُبنى على **ثلاثية** الخطاب والمعنى "**العيب، الحرام، الحشومة**" بقيادة حارس البوابة الأمين **(الأم)** والحصن المنيع أمام انزلاقات الأنوثة وأمام كل تجاوز لتلك الخطوط الحمراء التي رسمتها الأبوية وجسدتها عبر سلطة العائلة والمجتمع كما يبينه الشكل التالي:

الشكل رقم 6: قيم الجسد الانثوي والجسدانية (من اعداد الباحثة)



إن **ثلاثية** الخطاب "**العيب، الحرام، الحشومة**" توجب على الأنثى الامتثال لها من خلال صون جسدها لتظل شريفة عفيفة ولن يتم ذلك إلا من بإخضاعها للمراقبة والحراسة والقولبة باعتبارها جزء من الميراث الذي يجب المحافظة عليه كأحد المكونات الهامة للذات والجماعة. وهي مشتركة بين النساء في كل الثقافات والمجتمعات خاصة العربية والاسلامية التي جعلت منها مفهوماً وهاجساً لكل أنثى تطلب الجمال وتسعى إليه، وفي بعض الأحيان اعتبرت جزءً من الجمال لا يمكن الاستغناء عنها لا لشيء إلا لأن الجسد مُعطى اجتماعي قبل أن يصبح ملكية شخصية، خاضع للمجتمع وايديولوجياته التي تفرض عليه أُطرها وقوانينها في كل اختيار بفعل الرقابة المفروضة عند كل انخراط في لعبة التصنيفات التجميلية. فلا يمكننا إغفال هيمنة الجمال المضاعفة لتُضَاف إلى قائمة القواعد التي يُسيج بها الجسد الأنثوي ويُرغم على الامتثال لها وإعادة إنتاجها في سيرورات طقوسية مُنظمة تُرسخ مفهوم **الحلال والحرام** وما الشكل المناسب والمرغوب فيه والمسموح به إلا بُرهاناً قائماً ومُهيمنا فذاً على حياة كل أنثى، وتزداد الهيمنة اتساعاً كلما اتسعت مساحة التماهي مع معطيات موضة التجميل، إذ تجد الأنثى نفسها مُتأججة الرغبة ومسلوبة الاختيار ما بين القبول والاقصاء. يتفق ذلك مع ما ذهبت اليه الباحثة **زينب المعادي** التي نعتبرها مؤشر البداية لفهم الجسد في المجتمعات العربية من خلال دراستها للمرأة القروية حول تصورها لجسدها واستخداماتها له وعلاقتها به حيث كشفت عن البنى العميقة لمفهوم الجسد من خلال الوشم الثقافي ما مكننا من الاطلاع على علاقتها بالجسد وآليات العناية الجسدية.

2.2. الجمال الأنثوي والقيم المعيارية

لقد أبدعت المجتمعات الإنسانية أشكالاً مختلفة من ممارسات وطقوس العناية الجسدية لأجل هذا الجسد الأنثوي ولأجل الاعتناء به وبجماله بما يتناسب مع القيم المعيارية المهمة في البناء الاجتماعي والتي لا تتأسس على اعتبارات أخلاقية ودينية فحسب بل وتدعم قوانين التنظيم الاجتماعي. إنها كتابة نسائية تهدف إلى ضبط الجسد الأنثوي وإعلان علني لانخراطه في عالم النساء. واخضاعه للعبة التصنيفات الجسدية وللرقابة الاجتماعية باعتباره حقل يتم زرعه ومراقبته والحافظ عليه ليس لأنه رأس **مالها الرمزي** فحسب وإنما هو **شرف** العائلة ومؤشر لسلامة البناء المجتمعي ذلك الأساس الداخلي المُهيكِل للذات الإنسانية والشعور بالعظمة والكبرياء كما عبر عنه " **بيير بورديو**" بمفاهيم " **الوجه العرض، النيف والحياء والحشمة**".[1]

أ- **الشرف ومفهوم النيف:** رُبِطَ الشرف بالنيف "**الأنف**" و" **الشلاغم**" تعني الشوارب. فالنيف مرادف للعرض والحرمة، وله علاقة بمفهوم العار الذي يلحق الشرف إذا مُسَّتْ إحدى قيمه. ولما كانت الأنثى "**زوجة فلان، ابنت فلان، أم فلان، أخت فلان**" مِلكاً لجماعة الذكور "**الأب، الأخ الزوج**" فإنه يجب عليها أن تحرص في الإعتناء بجسدها وصيانته على الانسجام وفقاً للعرف والتقاليد والقيم الاجتماعية وفي ذلك الالتزام حفظ لكل الجماعة (العائلة) التي تمتلك جسدها وشرفها وتدافع عنه. وأن أي سوء يلحق بالشرف فهو يمسه كفرد كما يمس كل الجماعة القرابية.

ب.الشرف ومفهوم الأخلاق: الشرف مقياس لِخُلُقِ المرأة ونسق قَيْمِيٌ في المجتمعات العربية يتشكل من أنساق وضوابط اجتماعية وأخلاقية تحفظه وتُعطيه المكانة وتمنحه السمعة. فشرف الأنثى هو شرف كل الجماعة، مربوط بالكرامة والقبول الاجتماعي. حيث يُقصد به الأستقامة وفق ضوابط وقواعد أخلاقية لارتباطه بسوسيولوجيا الأخلاق والدين كمنتوج اجتماعي وبناء سوسيو ثقافي ومجالاً للتمثلات في مظاهره وتعبيراته الخارجية الرمزية المكتسبة والمعبرة عن ثقافة الجماعة التي ينتمي إليها. وعليه فإن الجسد الطبيعي يختفي وراء شبكة من الرموز والطقوس والعلامات التي تبرزه على الواجهة الاجتماعية والاخلاقية. [2]

ج.الشرف ومفهوم الرأسمال الرمزي: يُعد الشرف في المجتمعات العربية الإسلامية ومجتمع

---

[1] سولاف معطي، **الشرف في المجتمع الجزائري، مقاربة سوسيو انثربولوجية حول واقع تمثلات الطالبة الجامعية لحياتها الجنسية** رسالة ماجستير منشورة في علم الاجتماع، جامعة هران2، 2003- 3004، ص02.

[2] زينب المعادي، **مرجع سابق**، ص .5.

البحث على وجه الخصوص رأسمالهم الرمزي، تَحْرِصُ عليه جميع الأسر باعتباره استعداد جوهري موجود لدى جميع أفراد المجتمع " **ذكور – إناث**". ففي الوقت الذي تكون فيه الهيمنة والسّلطة بيد الذّكور فإنّ من تقع على عاتقهم مُهِمَّة حماية وصون شرف العائلة هم الإناث من خلال التحلي بالأخلاق الحسنة والسمعة العالية وصيانة الجسد بتجنب التبرج بالزينة. فحماية الشرف قيمة إجتماعية معيارية تتربع على عرش منظومة القيم الإنسانية وتتبلور في شكل مفهوم قيمي لائق ومقبول اجتماعيا. وتتشكل في وعي المجتمع المحلي(باتنة) بمدلولاتها وحمولتها الأخلاقية والدينية والثقافية والتي حصيلتها صياغة قانون جمعي يُعلي من قيمة الشرف في إطار البناء السوسيو ثقافي. كما يعتبر هذا الجسد قيمة من أهم القيم الاجتماعية المتداخلة والمؤثرة والدَّاعمة لقيم العذرية **كرأسمال رمزي** يَمنح المكانة. فلا يُكتسب ولا يُورث بل يُستمد وجوده من البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمعات وأن قيمته متعلقة بالتوافق والاعتراف.[1]

إن هذا المعطى الإنساني مُحاط بالممارسات والطقوس التي تحفظه وتُعلي من شأنه، وتُنمطه وتُقولبه وفق قوانينها التي تحمل رموز ودلالات ضمنية كثيرة ما كان لنا فهمها لولا الولوج إلى عمقها ولولا غوصنا في الحقل الأنثروبولوجي مُشاركين ومُنخرطين في الممارسات التجميلية والأنشطة التي ترافق العناية بالجسد وتزيينه. ومُكنَّا نرصد تلك السلوكات للفاعلين الاجتماعيين داخل الحدث وخارجة لولا معايشتنا للحدث في زمن حدوثه، الأمر الذي سهل علينا فحص كل الممارسات والتقنيات عن كثب وفي العمق وقراءة تمثلات الأنثى "**الشاوية**" لمفهوم الجسد والعناية الجسدية وفهم دلالاته المختلفة في كل محطاته كعنصر فاعل ومرغوب فيه قائم على الانتماء الجغرافي الذي هيئ لنا قاعدة متينة من التقبل زادت من تفاعل المبحوثات دون تحفظ أو تشويه. حيث تبين لنا يقيناً أن الجسد مُرادف لمفهوم الشرف كقيمة رمزية واجتماعية عليا تُوجب التَّحمل لحفظها واعلاء قيمتها بل وديمومتها. وأن أي اختراق للجسد هو اختراق للأنوثة، اختراق رمزي **للعذرية** يتطلب الحيطة والحذر والكثير من الضبط والقولبة. فالشرف سِجَّال مُتعدد المفاهيم تذوب في مفهوم **العرض** اللصيق بالجسد الأنثوي. وأن كل ممارسات العناية الجسدية تقاس بالشرف في كل مضامينه ومفاهيمه، فهي كما أسلفناإما **بنت فاميليا أو غير ذلك، وإما هي امرأة ونص وإما ماتسواش، وإما متربية أو خارجة الطريق...الخ** وغيرها من المفاهيم وبالتالي فكل اختراق لقوانين المجتمع في الظهور في الفضاء العام من خلال الممارسات التجميلية **(التّزَيُّن الصارخ)** هو بمثابة انتهاك للعرض واختراق للعذرية. وأن هذا المفهوم الرمزي للشرف المتجسد في قيمة

1– الزهرة إبراهيم، **مرجع سبق** ذكره، ص168.

العذرية التي تجعل الأنثى حريصة تتوخى الحذر في التعامل مع مظهرها عند كل حضور ولقاء وتفاعل. إنه اختراق رمزي لهذه التيمة (الجسد الانثوي). التي تُكتب عليها كل دساتير المجتمعات والأمم، وتُوثق من خلالها المفاهيم والمعاني وتُنسج الكثير من التمثلات التي تحتفظ بها الأسر والعائلات الباتنية حسبهن **(صاحبة مركز تجميل باتنة):**

" كَانَتْ مَّا ونَانّا رَبّي يَرْحَمْهَا بْقُولُولِي مَاتَعْذْلِيشْ رُوحَكْ خَلّي شْوَيَّا سَرْ

لْعَرْسَكْ وْكِي تْزَوَّجْتْ يْقُولُولِي مَتَعْذْلِيشْ رُوحَكْ قُدَّامْ سْلاَفَكْ وأُسْتْرِي رُوحَكْ يَسْتْرَكْ رَبّي "

حرص الأنثى على تعلم وتلقين ممارسات العناية بالجمال وبالصحة مشبع بالقيم والعادات والتقاليد التي يُشَدِّدُ عليها المجتمع وتفرضها العائلة على بناتها في الظهور بالمظهر اللائق للحفاظ على السمعة التي لا تنفصل عن المكانة الاجتماعية. تلك القيمة الهامة والضرورية لما لها من تأثير بالغ في تدبير العلاقات الاجتماعية وتمثلات الآخرين للفرد وللجماعة. فهي حسب **Nicholas Emler نيكولاس ايملر** بمثابة " **أداة اجتماعية**" منتجة للمعاني والتمايزات مما يدفع الجميع للحفاظ عليها وحمايتها[1]حيث تحرص الأسرة على منع الفتاة من استعمال مساحيق التجميل في سن صغيرة أو خارج المنزل "الدراسة، العمل، التسوق..." وفي بعض الأحيان حتى في المناسبات خاصة إذا كانت الفتاة عازبة، بل يُجَرَّمُ الفعل مُعتبرة إياه انتهاك لحرمة الجسد واختراق لمفهوم الحياء والحشمة ومساس بسمعة العائلة. وذلك الذي توصلت إليه دارستنا في مرحلة **الماجستير** حول طقوس الزواج بمدينة باتنة. حيث خَلُصْنَا الى أن الاقتراب من الجسد الأنثوي يتطلب الحذر والامتثال لقوانين صارمة تحفظه من كل اختراق رمزي من شأنه أن يقلل من قيمتها وحظها في الاختيار في سوق الزواج ويفقدها المكانة القيمة والاعتراف. وإن هذه الخطابات تؤيد على الدوام قيمة الجسد وتبني مفهوم موحد حول ذلك الكيان المُحاط بأحكام وحدود "**الحرام والحلال والمسموح والممنوع**" وغيرها من الحواجز الأخلاقية التي أنتجتها تمثلاتهم "**حشومة عار، عيب**" وأن هذه الممارسات تعمل باستمرار على أن يبقى جسد المرأة فضاءً حاضناً لمفهوم الشرف والعذرية التي تُعرف بها المرأة العفيفة الشريفة كسمة ومظهر ومكانة. وتتبنّى هذه الخطابات بطريقة واضحة وجليّة القيم التي تعبّر على الجسد والمستبطنة لسماته الخفية "**العفيفة– الشريفة**" تتطلب الحفاظ عليها بعدة آليات وممارسات طقوسية. فالشعور بالعار والاحراج يُشكل تهديدا للهوية الأنثوية والاجتماعية بوصفها فاعلاً اجتماعيا يعول عليه في حفظ السمعة، وأن هذا التصادم أو التفريط قد يُحدث شرخاً عميقاً في

[1] Emler, Nicholas., « **La réputation comme instrument social** », *Communications*, n° 93, 2013, p. 85.

هويتها ويجعلها سهلة الاختراق وعرضة للنعت والاستصغار "جسد عار، جسد مُخزي" وسبباً في انصياع الأنثى وانفلاتها من قبضة العرف.

رغم التحوّلات الاجتماعية والثقافية التي مَسَّت المجتمعات العربية فإن الفضاءات التي شملها بحثنا ما تزال ترى أن المرأة حبيسة التمثلات الاجتماعية التي جعلت منها **عورة** يجب أن تُستَر **وعرضاً** يجب أن يُصان. حددت مكانتها وأدوارها واعتبرت الخروج عنها تهديد لمنظومة القيم الأسرية ومساس بالأسس الأخلاقية والاجتماعية والدينية. فالمظهر مُتعلق بالمعترف به والمتقبل اجتماعيا، بكيفية الظهور والاعتناء يه مما يستوجب الامتثال للأنظمة الاجتماعية المحددة لكل ذلك الانخراط الاجتماعي والتنظيم الرمزي. وعليه فإن ممارسات التجميل والانخراط في لعبة صناعة الجمال الأنثوي يجب أن يُراعي مفهوم الشرف الذي يحفظ السمعة ويُعلي القيمة بما يشتمل عليه من أبعاد متداخلة. ومنه فإن تقييده يهدف إلى انتزاعه من فوضى التقنيات والممارسات. بالامتثال للأعراف، فرامل ومثبطات تعيد بناء الهوية واستمرارها بين الأجيال. فالمُلفت للانتباه أن هذه القيم ماتزال فاعلة رغم الحداثة وموضة التجميل المنتشرة بين الأجيال في مختلف السياقات الاجتماعية والثقافية الواقعية والرقمية، وأن هذا الامر يعكس مرونة التمثلات وقدرتها على التكيف مع السياقات الزمنية والسوسيو ثقافية مما ينتج في النهاية نوعاً من المعرفة التي تُسيير الإنسان وادراكه بهذا الجسد ووظيفته ما يسمح له إدراك حقيقة موقعه من المجتمع وعلاقاته مع الآخرين، لكون ثقافة الجسد والحديث عنها تربط بمئات القضايا والمجالات من مختلف الثقافات.[1]

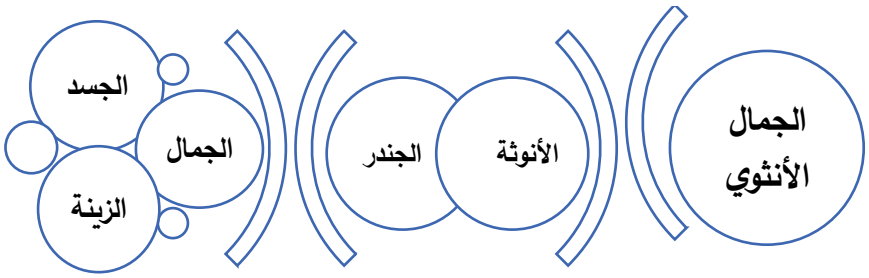
3.الجمال الأنثوي وأشكال التبادل الرمزي

إن الحديث عن الجمال الأنثوي حديث من نوع آخر فمن خلاله نَعْبُرُ إلى هويتنا ونعبر إلى العالم، ثم نُعَبِّرُ به عن كل ما يحدث من حولنا في هذا العالم " **ألم، فرح رغبة، مشاعر...**" فعلاقة الأنثى بجسدها وبجماله وزينته تتعدى حدود الظاهر والخفي، الفردي والجماعي، المحلي والعالمي لِتَشْمُلَ كل الصور والمعاني التي تعكس البنى والقيم الفردية. إنها متصلة بكل ما هو **باطن** خفي لا يظهر إلا من خلال "**الاخلاق، الاستقامة، الصلاح، البهاء، الحسن، الخير، الشر**" في حين يتجلَّى **الظاهر** من خلال الجسد المادي وفي كل ما هو محسوس "**المظهر،الشكل، سلامة الأعضاء....**" فلا يكتمل الجمال إلا من خلالهما مما يُسهم في إعطاء نظرة إيجابية وصورة متكاملة عن الأنثى التي تتجدد من خلال المظهر

1 مها محمد حسين، **مرجع سابق**، ص 41.

عبر طقوس العناية والاهتمام، القولبة والترويض لتنسجم وتظل جميلة على الدوام. فالزينة وان كانت تعبيرًا عن الذات والهوية فإنها لم تكن خيارًا حراً بل ممارسة مُقيدة يُعاد توجيهها بما يخدم النظام الرمزي كما بيّنت لنا معظم النساء اللواتي تمّت مقابلتهن، حيث صرحن لنا أنهن نشأن على نفس القيم والمعايير الجندرية التي ترى في الأنثى تابع خاضع للآخر **(الأب، الأخ الزوج)** بصرف النظر عن الانتماء الاجتماعي والثقافي والعقائدي الذي جعل منه " **طابو، عيب**" القاسم المشترك بين المجتمعات العربية والاسلامية في كل الحقب الزمنية التي تُقَيِّمُ حدود الجسد، وتضبط آليات الزينة وتبني مفهوم الجمال والأنوثة. وتعد الأسرة مؤسسة الضبط غير الرسمية والجماعة الأولية لنقل القيم الثقافية، المعتقدات والرموز والمهارات السائدة في ثقافة المجتمع[1] التي تعمل على عقلنة زينة الأنثى وجمالها. ولعل الرهان الحقيقي أمامها يكمن في نجاحها في بناء وعي أنثوي يسمح للمرأة أن ترى جسدها وقيمتها الذاتية بمعزل عن القوالب الجاهزة وأن تُعيد صياغة علاقتها بجمالها بمعايير إنسانية حرة بعيدًا عن هاجس **الإفْتِنَان** بالجسد. لكن يبدو ذلك صعب المنال في ظل التغيرات والتحولات السوسيو ثقافية والاقتصادية والتكنولوجية التي ساهمت في إعادة تشكيل العلاقة بين المرأة وجسدها خاصة فيما يتعلق بمسألة الزينة والتجمّل التي تُمَارَسُ اليوم بشكل أكثر تحررًا واستقلاليّة عن الضبط الاجتماعي كما يبينه الشكل التالي:

الشكل رقم 7: الجمال الأنثوي وأشكال التبادل الرمزي



إن الجمال الأنثوي مسألة معقدة في كل المجتمعات والثقافات، خاصة الثقافة العربية الإسلامية التي جعلته حبيس العادات والتقاليد، رهين الثوابت التي أنشئ عليها " **العفة، الشرف، الحياء**" وخاضع لقوانين الجماعة التي توجب الامتثال لها " **الستر، الحماية، الحجب، الضبط...**" في المظهر والسلوك والتفاعلات كقيم عليا تشعر من خلالها الأنثى بقيمة الجسد حامي الشرف والمؤسس لكل قبول، فداخل إطار الأسرة يتحدد نسق الموافقة والامتثال، القبول والرفض كما يتم من خلالها غربلة وترسيخ القيم

[1] محمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، **علم الاجتماع العائلي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص43

والمعايير المجتمعية التي عن طريقها تُنقل مختلف عمليات التقليد وباستمرار[1] مُحددة مكانة الأنثى المرهونة بفهم الممارسات الجسدية في علاقتها بالفضاء العام باعتبارها حاملاً ومرسلاً لمضامين ثقافية واجتماعية، ومعايير قيمية واخلاقية.

1.3. الجمال الأنثوي والجاذبية

تُعتبر الزينة رمزًا للمكانة الاجتماعية تمييز الأنثى في كل السياقات. ففي بعض الثقافات يُعَدّ استخدام الزينة مسألة رفاهية بينما في ثقافات أخرى يُمكن أن تكون الزينة أساسية لتأمين مكانة اجتماعية معينة مما يعكس الفروق الاقتصادية. فالممارسات والتقنيات والألوان يُمكن أن تشير إلى الطبقة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية. وفي مجتمع البحث تبين لنا من خلال تواجدنا في بعض مراكز التجميل أن الاقبال عليها كبير رغم أسعارها المرتفعة لاستخدامها الأجهزة العصرية والماركات العالمية التي يتعسر على الطبقات الأقل الانخراط فيها. كما بينت لنا **خبيرة التجميل من باتنة:**

" أَنَا يْجِيوْنِي غِيرْ الْمَرَفْهَاتْ وَالِّي تَقْدَرْ تَدْفَعْ خَاطَرْ مَعْرُوفَة بَلِّي سُومْتِي غَالْيَة وْخَدَّمْتِي كَالِيفِّي وْمَاتَّرْيَالِي جْدِيدْ وَحْدَة فِي بَاتْنَة مَاعَنْدْهَا كِيفُوا وْزِيدْ الثِّيقَة فِيَّا كِي كُنْتْ فَرْمْلِيَّه "

تُعَد الزينة جزءًا أساسيًا من تراث النساء الثقافي والاجتماعي تعكس وضع الأنثى في الاسرة والمجتمع. والمتوصل إليه أن زينة المرأة في مدينة **باتنة** كانت تقليدية بسيطة تعتمد على **(كحل سواك، حنة، زيت الزيتون، عنبر..الخ)** المعدة غالبا في المنزل أو من طرف الحلاقة التي تضيف بعض التقنيات حسب خبرتها " **الأصباغ والبودرات والمستحضرات التجميلية الطبيعية**" لإضفاء الجمال الناعم والجاذبية، غير أن هذا الفعل تغير اليوم بفعل التقدم الحادث في تقنيات التجميل ووسائله فمن تصفيف الشعر إلى زرعه، ومن المكياج الذي يزال بالماء والصابون إلى التفنن في رسم ملامح الوجه بالمكياج الدائم الذي قد يدوم شهور أو سنوات. هذا الأخير إما يرسم العين أو يرفع الحاجب أو ينفخ الشفاه، أو يُوريد ويُسمين الخدود والأرداف وغيرها من الممارسات التي تُستخدم فيها أحدث التقنيات الحديثة لزيادة الجاذبية كما بينت لنا العديد من **المُمَارِسَات** للحلاقة والتجميل ممن قابلناهن أو اشتغلنا معهن في بعض المرات كمصفِّفات شعر حتى يتسنى الملاحظة عن كثب من خلال ذلك الانخراط، وحقيقة تبين لنا أن الحَلاَّقة **(الحَفَّافَة)** تسعى لإبراز الملامح من خلال مستحضرات التجميل سواء المحلية أو المستوردة

[1] خواجة عبد العزيز، **مبادئ التنشئة الاجتماعية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص134.

دون تغيير في الشكل "**إضافة، نقصان**" ولا في الملامح لكي تحافظ المرأة على جمالها الطبيعي الي اتفقت عليه المبحوثات تقر به 'مبحوثة **(المقابلة رقم28)**

" عَنْدِي أَكْثَرْ مَنْ 25 عَامْ فَالْمِيتِي نَخْدْمُو السَبِيغَه وَالْمَكِيَّاج، نِيتَوَيَاجْ قُومَاجْ وْزِيدْ بَكْرِي خَدْكمَتْنَا تَتْحَكَّمْ فِيهَا الزَّبُونَة هِيَ الِّي تُطْلَبْ اللَّوْنَ تَاعْ شْعَرْهَا ونُوعْ الْقَصَة وَلْمَكِيَّاجْ اَلّي تْحَبْ وْكِي نْقُلْهَا نْزِيدْلَكْ الشْعَرْ وَلاَّ نْرَكَّبْلَكْ اشْفَارْ ماَتَّقْبَلْشْ مَابَالَك إِذَا عْرَضْتْ عْلِيهَا لِيلُونْتِي وَلاَّ نَّفَّخْلَهَا شْوَارَبْهَا مُسْتَحِيلْ تَقْبَلْ لِأَنَّهَا تْشُوفُّو بَلّي مَاشِي مَقْبُول لاَ مَنْ رَبِي وْلاَ مَنْ العَبْدْ"

فالتفاوض على مفهوم الجمال وآليات العناية الجسدية مطروح للنقاش في مختبرنا البحثي فالسَّعي للجمال لا يقف عند تلك الرغبات اللاواعية لبلوغ مراتبه إنما يتعداها إلى التربع على عرش **الجاذبية** في العائلة وبين الأقران وفي الفضاء العام بفضل ما تقدمه فضاءات التجميل من خدمات راقية. تتفنن خبيرة التجميل في رسمها ومُحاكاة النماذج والقوالب العربية، الغربية والعالمية. فالجاذبية أصبحت فن من فنون الجسد لكنَّها تختلف عما كانت عليه، فما يُرى اليوم أنه جاذبية قد يُرى على أنه غير مقبول وما أكثرها من نماذج للجمال الأنثوي "الطول، السمنة، البياض..." وغيرها من النَّمادج باتت اليوم غير مرغوب فيها. فلعبة الذوق والجاذبية تمتاز بالرهافة ... " يبدو أن الملمح الأساسي للجمال النسوي اجتماع النحيف والمكتنز للنحيل الممتلئ وللرشيق. [1] وسعيا لبلوغ النموذج المقبول تتبع الأنثى كل تعليمات الموضة التي بات لها مُمارِسَاتُها وفضاءاتها الخاصة **'الاظافر الرموش، الشفاه، الارداف"** تجد عندها الأنثى ضالتها دون عناء أو جهد. فما عليها سوى الاستسلام لخبرة المختصة والثقة في مهاراتها للحصول على الجاذبية التي تأسر الآخرين وتمنحهم المكانة والتفرد كما تمنح الخبيرة و/أو الممارسة السمعة التي تدر عليها المال الوفير وتكسبها مكانة بين الفضاءات. فلم يعد الجسد مجرد كيان بيولوجي مُحايد بل إنه بناء اجتماعي ورمزي يُعاد صياغته باستمرار عبر مختلف التفاعلات والتمثلات. أصبح لغة تُترجم من خلالها القيم والمعايير المجتمعية وتتجسد الطبقية والهويات الاجتماعية [2] تعيد انتاج اللغة الضمنية من خلال الجسد الصامت وتحوله إلى نص ثقافي قابل للقراءة يلعب دورا هاماً في إدارة **الانطباعات** حول مفهوم الأنوثة، ويستثمر **للتفاوض** حول المكانة الاجتماعية وإبراز الهوية الجندرية.

[1] جان ميزونوف وماريلو بروشون – شافيتزر، **الجسد والجمال**، تر: أنور مغيث، شركة الخدمات التعليمية، القاهرةد ط، ص28

[2] دفيد لوبروتون، **مرجع سابق**، س41.

2.3. الجمال الأنثوي المعيارية والهاجس

إن الحديث عن الجمال الأنثوي والهوية بين القيم **المعيارية والهاجس** يفتح الباب على مصراعيه أمام الأنثى التي تنتقي ما تريده من مُستحضرات تجميل وممارسات عناية جسدية للتعبير عن هويتها وانتمائها الطبقي. فهي لا تمنحها التميز فقط إنما تُعيد صياغة مفهوم الأنوثة والهوية الأنثوية **(شاوية)** حتى باتت هاجساً يأسرها عند كل خروج أو انخراط اجتماعي وثقافي. غير أن المعايير الاجتماعية والأخلاقية في مجتمع البحث تفرض سلطتها وتتحكم في تلك المعايير وتضبط تلك الهواجس وتقُوِّمُهَا لتتناسب وخصوصيتها " **الجزائرية، الدينية العربية والشاوية**" ويصبح اختيار المرغوب فيه مجالًا للصراع الاجتماعي والثقافي تتجاذبه قوى الهيمنة والتسليع **(الموضة)** من جهة والقيم المعيارية المقاومة للانفتاح من جهة أخرى. ولعل الرهان الحقيقي أمام الأنثى يكمن في بناء وعي جمالي يوجه اختياراتها ويتحكم في هاجسها مما يسمح لها باختيار المظهر الذي تريده شريطة أن يتماشى مع هويتها بمعزل عن القوالب الجاهزة المسوق لها إعلاميا، لكن عبثاً تحاول فكل مرة تصل تعود أدراجها لنقطة البداية، فامتلاك الجسد لعبة عصية عليها مفاتيحها من جهة في يد الآخر **(الأنثى)** ذلك الخفي الظاهر الذي يعيد إنتاج الهيمنة المستبطنة **(الذكورية)** التي رفضتها وثارت عليها (الام الاخت الجدة وكل امرأة) ومن جهة أخرى في يد مُنتجي ومُسوقي الجمال والذوق الجمال. هذا ما يحدث وحدث فعلاً أمامنا وعلى مرء من أعيننا ومسمعنا في الكثير من فضاءات صناعة الجسد. وأن ما يحدث كل يوم من ممارسات يومية من أجل الاعتناء بالجسد والتماهي مع قوالب جاهزة صنعها الإعلام وسوقت لها كبرى الماركات العالمية. فَتَعَلَّقَتْ الأنثى بها وبتلك المعطيات وبات مظهرها وظهورها مطلباً ورغبة تتغذى من نظرة الآخرين إليها، وفي بحثنا تعتبر **الأنثى مرآة للأنثى** التي تعييد تقييم المظهر والجمال معاً تقبل وترفض وبالتالي تُعيد صياغة علاقتها بجمالها بعيدًا عن هاجس المثالية القاتل كون الجسد المؤنث من صنع الجماعة خاضع لقوانينها واحكامها، وذلك ما عبرت عنه **مبحوثاتنا** في الكثير من المقابلات التي جمعتنا بهن مؤكدات لنا على سلطة الجماعة في تشكيل أجسادهن والتحكم في مظهرهن على اختلاف اعمارهن (كبيرات، صغيرات) ومكانتهن وانتماءاتهن (مدينة، قرية) تحرصها الأنثى خلال المراحل الانتقالية (المراهقة، البلوغ، الشيخوخة) على الاعتناء بمظهرها غير أن هوس الجمال تملك الكثيرات وجعلهن يقاومن هذه القيود المفروضة ويعملن على إعادة تشكيل الأنوثة والجمال وفق المعايير الحداثية التي يرون أنها تقدم خدمة للجسد " الجمال الرفاهية، الراحة" وأن العناية الجسدية والتفنن في إبراز الجمال خارج الأرض الخصبة"

العائلة، الزواج" فعل محرم اجتماعيا يتطلب تدخل سلطة الردع وأحيانا الاقصاء حتى يقوم ويعود للانسجام ويذوب في تلك المعايير التي غرستها مؤسسات التنشئة في وعي الأنثى منذ الصغر من أجل الحد من الهوس بالمظهر وبالجسد الذي تتحكم فيه وتمتلكه وأفقدها صوابها. وأن التصدي لكل هذه الوصفات والمسميات والممارسات التي تعتبرها الأنثى تعبيراً عن الذات والهوية كخيار حر يمنحها التفرد والتميز لن يتم إلا بإعادة بعث قيمه "العيب، الحرام، الشرف" وضبط أساليب الزينة وممارسات التجميل ما شَرْعَنَ فعل التَجَمُّلْ والعناية بالجسد كفعل واختيار شخصي. وعليه فان ترويض هذا الجسد عمل مهم وأساسي لاندماج الأنثى وقبولها عضواً كاملا في النظام التفاعلي. وحسب **جوفمان Erving Goffman** يُعد هذا القبول حاسماً لهوية الفرد الذاتية بوصفه كائناً بشريا وينزع إلى إدراك جسده كما لو أنه ينظر في مرآة تعكس صورة مَشَكَّلَة وِفق رؤى المجتمع ومحاباته، فلا يمكن فهم الجمال الأنثوي بمعزل عن البنية الاجتماعية الآخذة في التحرر من قيود الملكية الجماعية بفعل التقدم والحداثة التي تبني رأسمالها عليه ، حيث ترى فيه سوقا مزدهرة للاستثمار الاقتصادي وللصناعات التجميلية والرياضة التي انتعشت جميعها تخت شعار خدمة الجسد باسم الحرية والملكية التي نادت بها من قَبْلُ الحركات النسوية منتقدة مفهوم الجمال التقليدي الذي لا يصلح إلا للإنجاب ورعاية الأطفال ودعت الى إعادة تعريف الجمال بوصفه تجربة شخصية وثقافية متنوع مناديه بتحرير الأنثى وبعث مفهوم جديد للجمال يَسمو بها عن تلك المقاييس الموحدة والمفروضة. وأعادت بذلك صياغته وفق قوالب جاهزة مسوق لها على أنها نماذج حداثية متحررة من سلطة القيم والعائلة تمنحها مساحة أكثر حرية للاختيار الشكل الذي تريده وترغب في الظهور من خلاله، خاصة بعدما انخرطت في الحياة الاجتماعية "العمل، الدراسة، السفر..." وأصبح لها صوت مسموع وحرية الاختيار. فتحوّل الجمال الأنثوي بذلك إلى **هاجس جماعي** يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزينة وآلياتها خاضع لجملة من القواعد والمعايير العصرية التي تتحكم فيه. بل أضحى رمزاً للحداثة والتحرر دائم المساءلة والتقييم والقياس مما يفرض على الأنثى التماهي مع النموذج الجسدي الذي أفرزته موضة الجمال والتزيين ليتحول هذا المعطى الطبيعي والسمة الفطرية إلى بناء سوسيو–ثقافي خاضع لقواعد ومعايير تتحكم فيه، حيث لم تعد حكرًا على مجتمع دون سواه أو تنسب الى خصوصية ثقافية محلية، بل أضحى الجمال قالب جاهزة موحد أنتجه التفاعل المستمر المعقد بين قيم الحداثة المُنادية بالملكية والفردانية والتسليع وقيم العولمة (الصور الرقمية) التي فرضت نماذج جمالية شبه موحّدة انساقت لها الأنثى فاعلة تُعيد تشكيل جسدها كما تريد لكن ضمن هوامش يضبطها السوق والتقنية.

ثانيا: الجمال الأنثوي والعناية الجسدية آليات التدبير والبناء

الحديث عن الجمال هو خوض في مفهوم الممارسة والتقنية. والبحث فيما يجعل المرأة جميلة فاتنة، ولماذا تُبدع الأنثى في ابراز جمالها؟ ولما كان بحثنا هذا يغوص بشكل أعمق فيما يجعل الجسد الأنثوي جميلاً فإن ولوج الفضاءات التي يُعاد تشكيله فيها والعناية به أمر حتمي في الفهم العميق لآليات تدبيره، العناية به وإعادة تشكيله، وفهم التغيرات الحالية التي اقتربت من مضامينه ومفاهيمه القيمة والسوسيوثقافية. وأعادت تشكيل علاقة الأنثى بجسدها في ثقافة عربية إسلامية تتطلب منها التضحية للتناسق وتتناسب مع المعايير الحداثية الصارمة خاصة في مرحلة ما بعد **كوفيد 19"كورونا"**[1] وبالرجوع الى الميدان والخبرة المعاش في تلك الفضاءات تبين لنا أن كل من قابلناهن وشاركناهن عمليات التجميل والاعتناء بجمالهن تبين لنا أنهن يملن إلى الممارسات الحديثة التي تقترب الى الطب والبيولوجيا أكثر من الحلاقة والتجميل التي يرون أنها لا تخدم رغباتهن ولا مولاتهن.

1. التجميل والزينة تقاطع المتوارث والوافد

جُبلت الأنثى على حب الاعتناء بمظهرها ودُفعت الى التَّزَيُّن والتَّجَمُّل فطرياً فالتمست جمال الطبيعة واقتبست منها وقلدت كل ما يجعلها جميلة. فصبغت شغرها باللون الأحمر لما رأت منقار العصفور، وخططت عينيها ودببت حاجبيها لما انتبهت لعيني الضب المُكَحَّلَتَان، وكما ظفرت شعرها مقلدة ما رأته من الطبيعة التي تعلمت منها الكثير، وشيئا فشيئا طورت وأبدعت في أشكال الزينة حسب ذوقها حتى وصلت إلى إظهار مفاتنها التي لها تأثير عليها أولا قبل الآخرين... واليوم هي تقضي الساعات الطوال أمام المرآة تتفنن في إظهار جمالها مفاتنها "عين، ثغر، ساق، شعر، ..." لتكون أكثر جملا واغراء.[2]

1.1. آليات التزيين المتوارثة(التقليدية)

صيانة الجسد ورعايته الفصل الأول من فصول العناية بالجسد، تستند على الممارسات المعيارية والاجتماعية والأخلاقية التي تعلمتها وتربت عليها وتُتقن آلياتها ومفاهيمها منذ نعومة أظافرها وهي طفلة، حيث تسهر الأم على تعليم بناتها طقوس العناية بجسدها وتنظيفه من خلال الروتين اليومي

[1] سيكون لنا حديث عن الجمال في زمن كورونا الفصل الرابع

[2] سيمون دي بوفوار، **كيف تفكر المرأة**، المركز العربي للنشر بالإسكندرية، القاهرة، دط، ص49

الذي تتبعه "غسل الوجه والأطراف، مشط الشعر تقليم الاظافر..." باستخدام الماء والصبون، وتدريجياً ومع تقدم العمر تتعلم البنت الاستحمام لوحدها وتحثها الأم دوماً على الاعتناء بنظافتها وتحفيزها بعد كل استحمام أو عملية نظافة بالثناء عليها والمدح **صحيتي بنتي الزينة، الفحلة**- حتى تترسخ أهمية ذلك الفعل في وعيها، وعند ظهور علامات الأنوثة مع أول بلوغ " **دورة شهرية**" تُكثِّف طقوس النظافة التي ترتقي إلى **العناية** والذوبان في القالب الاجتماعي "المظهر النظيف، الرائحة الطيبة" فمن **النظافة** إلى **الجمال** نقلة جد مهمة في حياة البنت تُعتبر مرحلة انفصال عن عالم الطفولة **واندماج** في عالم الأنوثة التي تتطلب تكثيف الرعاية بهذه **التيمة** حتى تظل نظيفة وتبدو جميلة على الدوام ، والمُتتبع لآليات العناية الجسدية في المجتمعات العربية يجد الكثير من الرواسب الثقافية التي تشيد بأهمية الاعتناء بالمظهر والجسد، غير أن المشهد العام يوحي بتخلي كبير عما عرفته الأمهات والجدات من آليات تقليدية " **مسواك، حنة، زيت زيتون العنبر المسك...**" والتي تختلف تماماً عمَّا هي عليه اليوم من تقنيات حديثة يصعب أحياناً نطق اسمها أو معرفة ومكوناتها واستعمالاتها بل حتى إدراك مخاطرها. فأدوات الزينة المتوارثة تعبر عن تَشبث بالأرض واندماج مع الكون في كل معطياته لإبراز الجمال وبعثه، لذلك كانت الجدات تحرصن على تعليم بناتهن مفاهيم الجمال ومعاييره من خلال طقوس منها ما هو يومي ومنها ما هوم مناسباتي وهو الأهم بالنسبة للأنثى ويمنحها المكانة قبل الجمال.

إن هذه الممارسات التجميلية المُتعلمة والمُتناقلة بين النساء منها ما يرتبط بطقوس معينة ومكونة خاصة "**جلد الاضحية، عسل النحل، حليب الماعز، الزبدة...**" وأحيانا مناسبات خاصة " **الأعياد، المطر، الليل، النهار...**" لما للجمال من تأثير على صاحبته وعلى الجميع خاصة **الوجه** مفتاح القبول وسيد الموقف. حيث أكدت لنا بعض النساء ممن قابلنا داخل بعض الفضاءات الحميمية أن **جداتهن** كانت تعتني بالوجه أكثر من اعتنائها بباقي الأعضاء فكرَّست لذلك مُمارسات ومُناسبات منها مسح الوجه **بجلد الأضحية في عيد الأضحى** وهو طقس مازال قائما في بعض العائلات ليومنا وأن هذه الممارسة لا تستثني الذكور منها. فمسح الوجه سبع 07 مرات مباشرة بعد السَّلخ فعل جماعي يحمل مضامين الجمال، خُصَّ به الوجه دون غيره من الأعضاء لحمايته من الامراض "حبوب، نمش تصبُّغات، ...الخ يُبقيه مُشرقا ويضفي عليه الحسن والجمال، كما تنصح الأمهات بناتهن في حالة ظهور الحبوب بغسل الوجه **بحليب الماعز** خاصة في فترة **المراهقة. كما** يُستخدم قناع من **عسل النحل** ليحافظ على شبابه ويؤخر ظهور التجاعيد وغيرها من الاحاديث والوصفات (المقابلة رقم29)

نَانَّة رَبِّي يَرْحَمْهَا دِيمَا فَالْعِيدْ الْكْبِيرْ كَانَتْ ثْقِّلَنَّا أَمْسْحُوا وْجُوهْكُمْ

بَلْجَلْدَ وْهُوَ سْخُونْ يَبْيَاضْ وْيَتْنَقَّى خَاصَةً اَحْنَا لَبْنَاتْ لاَزَمْ عْلِينَا

نَغْتَنْمُوا لْفُرْصَة أَمَّا فِي لِيَّامَاتْ لْعَادْيِنْ تْوَصِّينَا بْعَسَلَ أَنَّحْلَة اَلِّي

يْدَاوِي لْجَلْدْ مَنْ الْحَبْ ويْنَحِّي التَّجَاعِيدَ

ما تَكَشَّف لنا جلياً من خلال المقابلات التي أجريناها أن اعتناء أنثى البحث بجمالها روتين يومي وانشغالها الدّائم الذي كرَّست له الوقت والجهد فأوجدت عدة وصفات من محيطها وبيئتها لتحفظ بريقه وتديم اشراقه فكل مواد التجميل التقليدية بسيطة وفي متناول الجميع وفي نفس الوقت فعَّالة في بعث جمال الجسد وبريق الأنوثة. تعلَّمتها من وسطها العائلي وهي ترقب أمها ونساء العائلة وهن يعتنين بجمالهن في البيت، الحمام، الاحتفالات وكل المناسبات. لقد تعلمت الأنثى كيف تُطوِّع الطبيعة لخدمة الجسد، فاستخدمت كل المُنتجات النباتية والحيوانية للاعتناء به إذا مرض أو هزل او ظهرت عليه علامات الكِبر، جمَّلته وزيَّنته وزادت من بريق شبابه. إنها صيدلية طبيعية مُتكاملة العناصر والمكونات لخدمة الجسد والاعتناء به، بجماله وصحته لا يمكن تجاهُلها ولا الاستغناء عنها إنما تتطلب تكاثف جهود الباحثين للبحث فيها والنبش في خباياها خاصة الانثروبولوجية منها مجال اهتمامنا.

2.1. آليات التزيين الوافدة (الحديثة)

تغيرت آليات تدبير الجسد الأنثوي عما كانت عليه في السنوات الماضية لتواكب العصر الحالي والظروف الجديدة التي تتحكم فيها التقنيات المتطورة في مجال العناية الجسدية وفي مجال التجميل والطبي التجميلي، حيث انجذبت إليها الأنثى كما تنجذب النحلة لرحيق الأزهار قاطعة الأميال مُتحملة عناء التجربة والفعل من أجل الوصول الى مراتب الجمال التي تسري فيها مسرى الدم من العروق. فازداد اهتمامها بمظهرها وكثَّفت من سعيها للعناية به من خلال انخراطها في لعبة التجميل والعناية الجسدية في فضاءات مخصصة تحوي العديد من مستحضرات التجميل والتقنيات المتطورة التي تُعيد رسم الملامح وتُبرز الجمال، وتُشكل الجسد وتبَعثه من جديد. إذ منحت لها هذه التقنيات والمنتجات مساحة واسعة للتفنن والافتنان، ومنحتها قدراً من الحرية في الظهور بالشكل الذي تريده، وما كل تلك الممارسات وذلك الانخراط إلا اعتراف فردي وجماعي على أن الجمال مطلب وغاية الأنثى في كل العصور والازمنة، لا يمكنها الاستغناء عنها كما يبينه الجدول التالي:

الجدول رقم 4: تقنيات التجميل بين الموروثة والوافدة (اعداد الباحثة)

تقنيات وممارسات التجميل التقليدية (المتوارثة)			تقنيات وممارسات التجميل الحديثة (الوافدة)
الوجه	**العينان**	الكحل الطبيعي (الإثمد)	قلم **العيون Eye liner– crayonne** – **Eyeshadow** ايشدو– عدسات لاسقة
	الرموش	الكحل – الزيوت الطبيعية	ماسكرا، تركيب الرموش **Extension**
	الحاجبان	الحناء، النمص، النتف	قلم الحواجب، شمع، خيط، الليزر
	الشفاه(الفم)	السواك، أحمر شفاه	قلم وأحمر الشفاه – تحديد، تلوين، نفخ، توريد
	الأسنان	السواك تغليق ذهب فضة	تبييض، تقويم، تزيين
	الأنف	لا يلقى أي عناية واهتمام	تنظيف الهالات السوداء، تصغير، تقويم
	الأذنان	ثقب واحد وضع الأقراط	ثقوب متعددة في الأذن والكثير من الأقراط
الوجه	**الخدود**	تنظيف، ماسك طبيعي	تنظيف، تبييض تقشير، نفخ، تحديد
	الرقبة	لا تلقى أي عناية واهتمام	التنحيف، شد من الترهلات
	البشرة	الماء والصابون، الوشم	الشد، التقشير، نزع الشعر بالليزر
	شعر الرأس	تنظيف بالماء والغاسول تلوين بالحناء قص ترطيب بالزيوت	تصفيف، ترطيب–كيراتين بروتين **Ondulé** تلوين**Méche** ليماش والأونديلي **وغيرها**
	الشعر الزائد	الوجه، الشوارب، الرجلين اليدين العانة (شمع خيط)	ينزع من كل الجسم **wax**، الخيط، الليزروغيرها
الجسد	التنظيف بالماء والصابون_ حمام، تسمين		نظافة، حجامة، رياضة، مساج، تسمين
	اليدين	الوشم، الحناء، الزيوت	الأظافر، الحرقوس، التبييض، اكسسوار
	الرجلين	الوشم، الحناء، الزيوت	التنظيف، الترطيب، الأظافر، اكسسوار

يوضح ذلك تكثيف العمليات وانتشار الفضاءات كمالتي تنبعث من ارث العادات وتتغذى من ثورة التكنولوجيا وتطور التقنيات. حيث تعمل هذه الموجودات التقليدية والحديثة كآليات للحفاظ على الذات وذلك الذي استمعنا إليه في المقابلات ووقفنا عليه بأنفسنا في مختلف اللقاءات التي شملها عملنا واختبرنا نتائجها ومدى الاقبال عليها وحدثتنا عنها مبحوثتنا ومُمَارِساتنا وتعذر علينا **التصوير** أثنائها إلا نادراً رغم

حضور بعض تفاصيل الجلسات وذلك لخصوصية المُمَارسة، فهي **حميمية** يتعرى فيها الجسد من لباسه وحُرمته يُشعر الأنثى بالخيفة والحشمة أمام الغريب حتى وإن كان من نفس الجنس. إنه خوف وحيطة من اختراق الجسد حتى بالنظر تحكمها قيم وتمثلات كثيرة تقف في حضرة الجسد ونحترم بطبيعة الحال قرارتهن وننصرف باحثين عن فرصة أخرى وزبونة تقبل مشاركتنا لعله يتسنى لنا إما الملاحظة أو المشاركة وتصوير ما يحدث في تلك القاعات المُغلقة المحاطة بالسرية والتي تثير الفضول وتبعث على الراحة لمن تدخلها. ونصنف هذه الممارسات سواء التقليدية او الحديثة . ولما كان العمل كذلك فإن مختلف هذه الصور المعروضة على صفحات هذا البحث إما قُمنا بأخذها بأنفسنا لحظة وقوع الحدث أو أرسلتها لنا المُمارِسات أو تم أخذها من الشبكة العنكبوتية من صفحات السوشل ميديا المختلفة **(انستغرام، فيسبوك، تيك توك)** الخاصة بتلك الفضاءات ميدان بحثنا و التي شملها عملنا والغنية بالصور والفيديوهات لمختلف الممارسات التجميلية وغيرها من الفضاءات المنتشرة في المدينة (باتنة) وأن هذه الصفحات الرقمية نعتبرها نقطة بحث جديرة بالاهتمام من مختلف الدارسين ولا يسعنا البحث للحديث عنها فهي تتسم بالوفرة ساعدتنا كثيرا في اثراء البحث. استطعنا الاستعانة مرات عديدة بهذه الصور المعروضة على هذه الصفحات الخاصة بفضاءات التجميل وصالونات الحلاقة لأجل ربط المفاهيم بالوقوف على أهم التقنيات التجميلية سواء المتعلقة بالجسد "اليدين، الرجلين، الارداف، الاثداء..." أو خصت الوجه "العنين، الحاجبين الشفاه الرموش، الخدود" وسنحاول الوقوف على البعض من هذه التقنيات والممارسات الحديثة التي أصبحت لا غنى عنها كما بيَّناه في الجدول أعلاه(جدول رقم 04) أما الرفض والمقاومة التي واجهت عملنا رغم معرفتنا العميقة بمالكات الفضاءات وانتمائنا لنفس الجنس واحيانا انخراطنا في لعبة التصنيفات التجميلية فإنها تنبع من خصوصية العمل وسرية الممارسة (التجميل) بل ومن حساسية الجسد الأنثوي المحاط بالخيفة والتوجس في كل حضور وممارسة (العين، السحر، هتك السر، ...) يتطلب الحذر والتكتم في مجتمع البحث(باتنة) كغيرها من مناطق الجزائر، يتأرجح بين الإقبال والإدبار القبول والرفض. فلطالما أخبرتنا النساء عن تكتمها في ولوج عالم التجميل لأنها ترفض أن تُدلي بإقدامها على خدمة الجسد وتجميله. وتنخرط بحذر مُتكتمة حتى أمام أقرب الناس كما بينته لنا **مبحوثتنا (المقابلة رقم30):**

" وَاحَدْ مَا عَمْبَّالُو بَلِّي دَرْتْ التَّجْمِيلْ فِي وَجْهِي يَالُوكَانْ يَسَّمْعُوا يْعَايْرُونِي

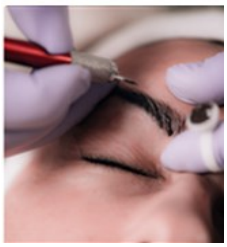
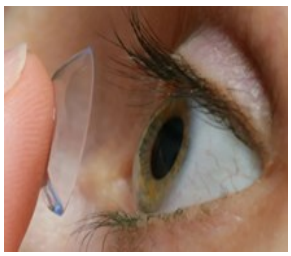
التجميل سواء كان تقليدياً أو حديثاً يعتبر من بين أهم الممارسات التي سلبت عقل الأنثى وجرتها إليها مُولعة بها مُقبلة عليها باعتبارها مانحة الرفاه والتوافق والتي غالبا ما تكون مدفوعة باختيارات خارجية فرضتها قيم جديدة خارجة عن حدود العادات والتقاليد والمتوارث في فهم وضبط الجسد. حيث تتنوع هذه التقنيات التي تتناول الجسد بالعناية والجميل وتثير إشكالاً كبيرا سواء في عالم التجميل وموضة الجمال أو في فضاءات العناية الجسدية التي شملها عملنا وحتى لدى الانثى المقبلة عليها كأحد آليات الضبط التي تتطلب الوقوف عندها وتفكيكها من الداخل حسب ما سمحت لنا به التجربة الميدانية في مختبرنا الانثروبولوجي. حيث تبين لما أن الأنثى تشعر بالفخر من نظرة المتفحصين لها ولجمالها وتزداد الرغبة في التربع على عرش الجمال وأسر الناظرين، فلا تترك فضاءاً إلا وانخرطت فيه طوعاً (نادي رياضي، مركز او عيادة تجميل، صالون حلاقة...) وغيرها من مجالات العناية والجسدية ولا تدَّخر وقتاً ولا ثمناً في سبيل المظهر الجميل والشكل الجذاب. فما تمنحه التقنيات والممارسات التجميلية مُهم وجذَّاب يمنحها البهجة وهي ترقب ذاتها في **المرآة** وتسمع إطراء الآخرين عليها ليزيدها افتناناً ويسلب رغبتها أمام كل جديد يعرض للاستهلاك. غير أنها تُخفيه عن الجميع ليظل جمالها عذريا وسمة تُميزها عن قريناتها. وسنحاول الوقوف على البعض من هذه التقنيات والممارسات الحديثة التي خصت الجسد الأنثوي وخصصت له برامج وجلسات حسب كل عضو تزيد وتُنقص حسب الحاجة.

أ- **تقنيات التجميلية المتعلقة بالوجه:** يعد الوجه المنفذ الوحيد الذي نُطل منه على العالم أخذ الحظ الأوفر من الاهتمام والعناية باعتباره الواجهة لكل ظهور والأكثر تعبيراً عن الجسد، له مكانه خاصة ويضم عدداً من الأعضاء التي تؤدي دوراً جوهرياً في إقامة العلاقات الاجتماعية [1] لذلك خُص بالاعتناء به وبكل جزئياته من طرف صاحبته وفي فضاءات التجميل. اعتنت به وبكل مكوناته جزء بجزء على يد خبيرات متمرسات **وحلاَّقات** ماهرات باستخدام أحدث التقنيات للحصول على النتائج المرجوة والذوبان في موضة الجمال. وهي معقدة نوعاً ما تُستخدم فيها أجهزة طبية **تَحْسِب وتُحلل وتُشخص** وتُقدم **الحلول** المناسبة. فالوجه يحتاج للكثير من العمليات المعقدة وللكثير من الوقت والجهد والصبر للحصول على النتائج المرجوة "النظارة، الشباب.." والتي تمنحها التقنيات الحديثة التي غزت فضاءات التجميل وكل العالم في الآونة الأخيرة يشترك فيها "الطبيب والحلاقة وخبيرة التجميل" كما لاحظناها في كل الفضاءات وجرَّبنا بعضها في بعض المرات لنختبر كل ما تَحَدَّثَتْ عنه الأنثى "راحة، مكانة، ألم جمال..." فالتركيز

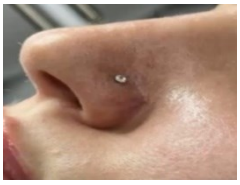
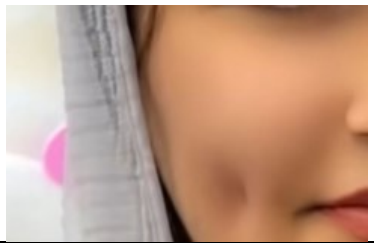
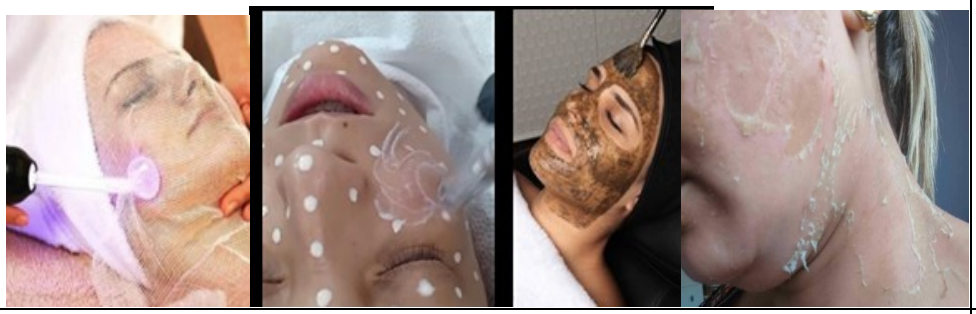
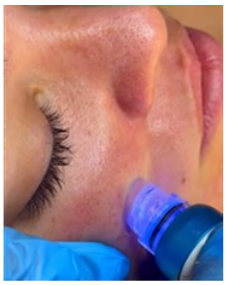
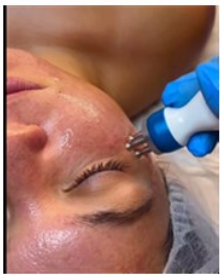
[1] منى فياض، **مرجع سابق**، 109.

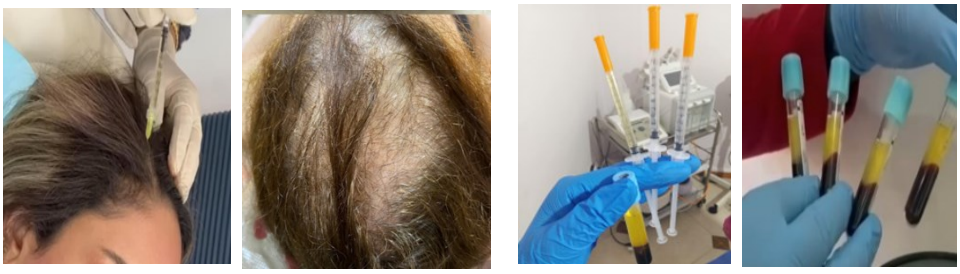
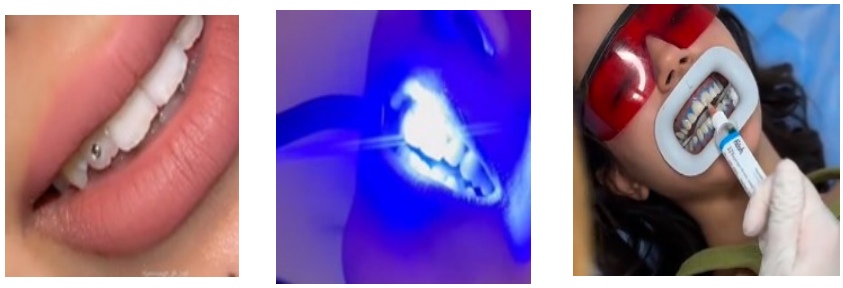
على الوجه ومكوناتها "**العين، الانف، الحاجب، الرموش، الشعر...**" بالعناية وصناعته كعلامة وماركة تتسابق عليه الأنثى ويتسابق عليه منتجو ومسوقو الموضة والاستثمار فيه، وما الاهتمام المتزايد بالوجه دون باقي الأجزاء الا للسطوع الذي يتمتع به هذا الجزء المهم وما له من رمزية عالية تَخْتَزِلُ كل الجسد[1] لاستعادة الشباب والقضاء على معالم تقدم العمر **(الشيخوخة)** مُحاكاة لا تنتهي ولا ينطفئ لهبها. رغبة في شفاه ممتلئة وعيون واسعة برموش كثيفة وبشرة ناعمة زجاجية خالية من العيوب لتبدو أكثر جمالاً وأصغر سناً، مما يزيد من شراهة الإقبال على منتجات تحسين الشكل والتحكم في المظهر والإقبال على التجميل بكل تقنياته ومستحضراته مواكبة للجمال والجاذبية بكافة الوسائل. مما يزيد فضاءات التجميل قبولاً وإقبالاً خاصة الوجه كما يبينه الجدول:

الجدول رقم 5: آليات وتقنيات العناية بالوجه

العناية بالوجه	آليات وتقنيات العناية المستخدمة
رسم الحاجب ميكروبليدين Microblading	   
وتركيب الرموش Extontion de cils العدسات اللاصقة	  

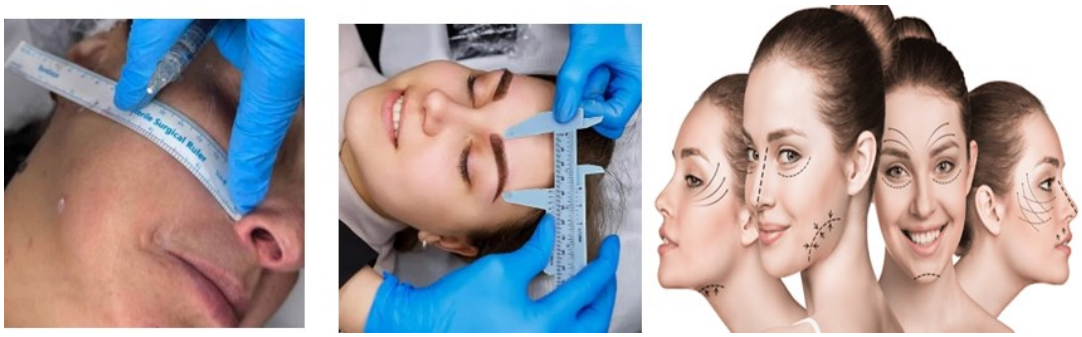
[1] مازن مرسول محمد، **حفريات في الجسد المقموع " مقاربة سوسيولوجية ثقافية**، دار الأمان الرباط المغرب، 2025، ص113.

ثقب الاذن **'الاقرط '**	 
الاعتناء بالانف تقويم الارنبة تصغيير وتزيين	 
الاعتناء بالوجه والخدود **(غمازات)**	 
تنظيف البشرة علاج حب الشباب التقشير الكربوني **ميكروبيلينغ** **Micro-peeling**	
ترطيب وتنظيف عميق للبشرة الهيدرافيشل **Hydra facial** **BB GLOW**	   

علاج تساقط **الشعر** بالبلازما أو **PRP بالميزوتيرابي** **Mesotherapy**	
التجاعيد وتقدم السن بوتوكس وفيلر **Botox - Filler** الخدود والجبهة	
تقشير ورسم **الشفاه** ملئها وتوريدها **BB GLO -Filler**	
تبييض **الأسنان** بالليزر **laser** **Blanchement** تزيين- أكسسوار- **بيرسينغ piercing**	

إن أكثر ما يشغل الأنثى والفضاءات معاً هو **العناية بالوجه**، حيث يحتل المرتبة الأولى في ترتيب العناية والاهتمام بالجسد، من خلال استخدام مختلف التقنيات والممارسات التي تتطلب حرصاً شديداً ومسؤولية كبيرة

حتى يدوم بريقه وشبابه بناءً على قياسات وحسابات تُحسب بآليات القياس الدقيقة وفقا لمقاييس الجمال العالمية التي تتولى تحديد الطول وفق الوزن بل وتحدد نسبة الشحوم الضرورية أو الفائضة في الجسم بناء على نسب مئوية غاية في الدقة.[1] حتى يظل جميلا كما تبينه الصورة:



الصورة رقم 2: حسابات وقياسات تجميل الوجه

ما توصلنا إليه أن الوجه يلعب دوراً كبيرا ورمزية هامة في عملية الجذب المفاجئ **و/ أو** التدريجي الذي يمارسه الجمال، أو ما يسميه **جورج زميل** " **الدلالة الجمالية للوجه**" وبالتالي فان أي تغيير في الوجه ولو محدود يمكنه أن يغير بصورة جذرية سماته وتعبيره. وتلعب العين (النظرة) دوراً أساسيا تختصر الوجه، الجانب المتفرد للمظهر الذي يسمح بتحديد هوية كل شخص.[2]

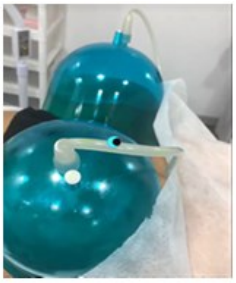
ب- **تقنيات التجميل المتعلقة بالجسد:** التجميل مُحبَّب بين النساء يزيدهن ظهوراً كما يُرضيهن ويرفع مكانتهن في المجتمع وفي سوق الزواج والعمل. فالجسد في مُختبر ورهان حقيقي في كل انخراط وحراك اجتماعي- ثقافي واقتصادي.... يزداد الإقبال عليه والاستثمار فيه دون هوادة رغم خصوصيته السوسيوثقافية وحمولته الدينية. ويتوسع سوق الاستثمار فيه بفضل ثورة التقنية وما حققته من قفزة حقيقية في عالم "**التنميط والقولبة**" فكل هذه التقنيات المتطورة والأجهزة المعقدة التي تُحلل بيانات الجسد لبلوغ مراتب الجمال رغم حداثة مجتمع البحث بها إلا أنها تلاقي اقبالاً عليها بشكل ملفت للانتباه، حيث يقوم الجهاز مقام المختصة و الطبيبة بكل عمليات الحساب والتحليل والتشخيص الدقيق **(الدهون، الفيتامينات...)** بما يسمح بالحصول على النتيجة النهائية الدقيقة حسب تحليل الجهاز رغم تعقيداتها

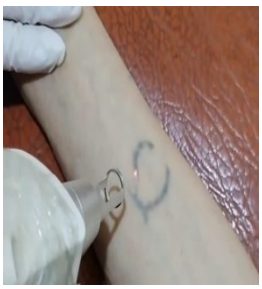
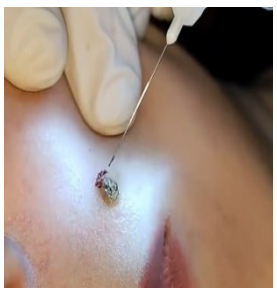
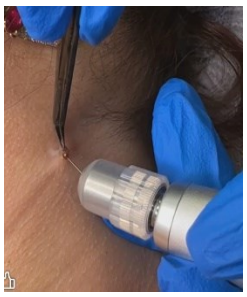
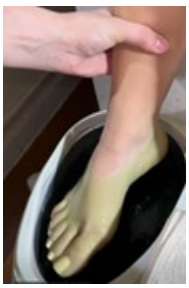
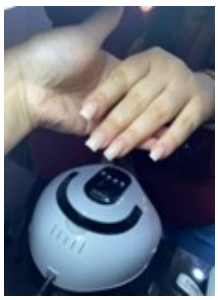
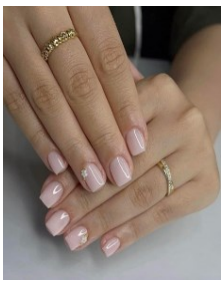
[1] خلود السباعبي، **مرجع سابق**، ص49

[2] جان ميزونوف، ماريلو بروشون-شفايتزر، **مرجع سابق**، ص37

إلا أنها تنتشر بين مختصات التجميل (**الحفَّافَاتْ**) تستعملها على نطاق واسع مُستثمرة بدرجة كبيرة في الجسد، فكل الأجهزة المستوردة مُتاح الحصول عليها من كل الماركات وبمختلف الاستخدامات، تشمل مواد الحقن والتخدير وأجهزة التقشير والشفط والليزر متواجدة في العديد من الفضاءات التجميلية وتنافس عيادات الطب المتخصصة، وأن العمل عليها يكون في ظروف غير آمنة وبأيدي اشخاص غير مؤهلين لذلك، حيث يكون فيها خطر الإصابة بالأمراض الخطيرة والعدوى الفيروسية كبير من " **الايدز، الفيروس الكبدي...**" وغيرها من الامراض التي تنتقل نتيجة الاستخدام الغير آمن، بالإضافة إلى خطر الإصابة بعاهات ة عضوية جراء الاستعمال الغير الواعي لهذه التقنيات الطبية في الأساس" **حُقن الفيلر والبوتيكس، البلازما، التخذير...**" مما يستوجب المراقبة من الجهات المختصة بحفظ الصحة ، ونراها نقطة مهمة لتوجيه البحوث من مختلف التخصصات **(أنثروبولوجية، طبية قانونية، نفسية....)** لما لها من قراءات متعددة تزيد في الفهم لعمق الظاهرة التي جذبت إليها الأنثى الباحثة عن الجمال من كل الأعمار والطبقات الاجتماعية نظراً لفعاليتها وسرعة نتائجها. وعليه فإن آليات العناية الجسدية والتجميلية سواء خصصت **للوجه أو الجسد** لم تترك جزء الا اعتنت به بما تقدمه التقنيات المتطورة والمتجددة من خدمات تتنافس فيما بينها. وسنقف على أكثرها اقبالاً وانتشاراً في الجدول التالي:

الجدول رقم 6: آليات وتقنيات العناية بالجسد.

العناية بالجسد	آليات وتقنيات العناية المستخدمة
تكبير المؤخرة – الثديين تنشيط العضلة النائمة **ليفتينغ كولومبيا** **Lifting colombien**	  

تنحيف مناطق الجسم والتخلص من الدون **Cavitation**	  
نزع الشعر الزائد الوجه– اليدين – الرجلين والمناطق الحميمية بالليزر	  
نزع الوشم من الجسم **الليزر laser** **Détatouage**	  
العناية باليدين والرجلية **Pédicure** **Manicure**	   

المتفق عليه في الفضاءات المدروسة أن العناية الجسدية سواء كانت تقليدية **متوارثة** أم **حديثة وافدة** فِعْلٌ أنثويٌ بامتياز يرمي إلى **إبراز** الجمال **والاستثمار** في كل موجودات الجسد التي وهبها إياها الخالق سبحانه وتعالى باستخدام عدة آليات سواء كانت بسيطة تُعدها الأنثى في بيتها حسب رغبتها "كحل، سواك، حنة..." من منتجات بيئتها الطبيعية أو حديثة من مستحضرات وماركات التجميل وتقنيات حديثة وأجهزة متطورة تقتنيها تقوم بها بنفسها أو تخضع لها في فضاءات تجميل وعناية جسدية معدة خصيصاً لذلك، وأياً كانت الآلية والتقنية فإن الأنثى لا تبرح لعبة التجميل ولا تمل. وذلك الذي نعرفه ونشعر به ووقفنا عليه بأنفسنا خلال جلسات التجميل. فلقد بينت لنا **الملاحظات** المعمقة **والمقابلات** أنا ما نقله لنا **المخبرين** حول سلطة التقنية على الأنثى وعدم قدرتها مقاومة إغراءات النتائج والرفاهية حقيقة وواقع كل أنثى، فالميدان مليء بالقصص والمشاهد والحالات التي تعجز فيها الأنثى عن السيطرة "**زبونة، مرافقة**" فسيطرة ذلك **الوافد الجديد** عليها " **تقنيات التجميل الحديثة**" أكبر من سيطرتها على ذاتها لا لشيء إلا أن التقنية فعَّالة في **استنطاق** الجمال **وبعثه** من خلال **الحفر والتنقيب** العميق **لإبراز** كل خفي بالزيادة والنقصان "**نفخ، شفط، تسمين، تنحيف، تقشير...**" **مُنْسِطَةٌ** و**مُسْتَمِعَة** لصوتها الداخلي ورغبتها الفطرية في التربع على عرش الحسن والجمال.

إن الفعل التجميلي الحديث على الجسد عنيف يُنم عن سيطرة من نوع آخر. بل نظام اقتصادي يستثمر في الجسد الأنثوي وفي والتقنية بوتيرة سريعة غير ثابتة باسطاً سلطته وفارضاً معاملاته على مفهوم الجمال والأنوثة، فألهب مشاعرها ودفعها لبلوغ مراتب الجمال التي تمنحها إياها كل هذه التقنيات المتطورة والمبتكرة كما بيَّناه من خلال **الجدولين السابقين** "**تقنيات العناية بالوجه- تقنيات العناية بالجسد**" وما وقفنا عليه من تعدد لاستعمال الأجهزة الحديثة والمُبتكرة في الكثير من فضاءات التجميل ناهيك عن عيادات الطب التجميلي التي يُعد من صميم عملها وخبرتها ومجالها التجميلي " **بوتوكس فيلر، ميزوترابي، ميكروبليدينغ، كافيتاسيون ليفتينق كولومبيا...**" وليدة تطور تقنيات الاستثمار في الجسد والجمال الأنثوي عبر ما يسوق له من منتجات وصور رقمية خاصة. وتعتبر تقنيات حقن **الفيلر والبوتكس** سواء في الوجه وبعض المناطق في الجسم من أكثر الإجراءات التجميلية تسويقاً وإقبالاً من طرف الأنثى وأكثرها انتشاراً بين فضاءات التجميل نظراً لدورها الفاعل في الحد من ظهور التجاعيد والخطوط الدقيقة وتحسين مظهر البشرة التي تبدو أكثر اشراقاً وشباباً، كما أن البعض من المُمَارِسَات تستخدم لأغراض طبية مثل منع تعرق باطن اليدين والإبطين. دون أن ننسى تقنية **تقشير الوجه** التي

عُرفت قديماً وتلقى اليوم رواجاً كبيراً في مختلف الفضاءات سواء الطبية منها أو التجميلية سواء لإزالة الشوائب" **كلف تصبُّغات، نمش، حبوب...**" أو لتقشير الجلد الميت وتجديد البشرة حتى تصبح مثل بشرة الأطفال (**وْجَهْهَا تْقُولْ بِيبِي**)عن طريق تقشير الجلد والكشف عن طبقة جديدة تمنحه النظارة والصفاء... ولا يستخدم التقشير فقط إنما يرافقه شدٌ للوجه والبشرة واخفاء للندوب وإزالة للحبوب حتى تستعيد البشرة نقائها من جديد، وفي بعض الأحيان تُستخدم أجهزة عالية الدقة والتطور.[1] وتبقى **تقنية الليزر** الأهم بين كل النساء على اختلاف الأعمار والمستويات. فهي تنقي كل الوجه من الشعر الزائد بالإضافة الى بعض المناطق في الجسد والتي تتطلب جهدا ووقتا للتخلص منه، بل وان التقنيات المتعارف عليها ليست فاعلا (شمع، خيط، مرهم...) غير فعالة مثل الليزر. غير أن هذا الأمر نراه فعل طبي أكثر منه تجميلي مما يستدعي التوقف عنده من طرف الدارسين للبث فيه.

2.الجمال الأنثوي والعناية الجسدية الانجذاب والمقاومة

تعتني الأنثى بجسدها وجمالها وتسعى للحفاظ عليهما، تقدمه للآخرين للنظر إليه وتتبعه والافتتان به، كما تقدمه للأنثى التي تقييمه وترغب في أن تكون أجمل منها، تعرفه جيدا وتبذل قصارى جهدها حتى تتربع على عرش الجمال بحثاً عن نظرة الإعجاب. فالنساء اللواتي رافقناهن في الجلسات الحميمة للعناية بالجسد "**نزع الشعر، تسمين الارداف والمؤخرة** يبدين اهتماماً كبيراً بهذه المناطق الأنثوية التي مُنع منا تصويرها وفي بعض المرات حضور جلساتها، حميمية بامتياز تنفخ الحياة في الجسد الباحث عن التفرد والتربع على عرش الحسن والجمال لبلوغ الجسد المثالي –**أجمل من فلانة أو أحسن من فلانة** – وبناءً عليها يقترب الانخراط ويبتعد ومهما تعددت المفاهيم واختلفت الأسباب فان هذا الجسد الجميل الذي نُظهره ونَعرِضه للآخرين أو نحفظه لذاتنا لا يمل من رحلة الاستثمار فيه بالعناية والتجميل سواء كان بناء ذاتي أو مظهر جذاب.

1.2. العناية الجسدية والقيم الجمالية

ليس من السهل الحديث عن الجسد الأنثوي (المرأة) دون أن يقفز إلى ذهننا أنه ذلك الكيان المُشبع بالرموز، المُثقل بالمعاني والدلالات التي ترسم حدوده وتحدد جغرافيته، حيث خصته بالعناية والقولبة باستخدام مختلف الممارسات والتقنيات التي تعكس عمق العلاقة بالذات وبالآخر "الإتصال والتواصل"

[1] دعاء ماجد عيدان وحمزة جواد خصير، **عمليات التجميل عند الرجال دراسة ميدانية في مدينة بغداد**، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 62 العدد 2 الملحق2 2023، ص190

وتصنع الفارق بين ما هو تقليدي متجذر في عمق العرف والتقاليد وما هو عصري يذوب في قوالب الحداثة وكل ما من شأنه إضفاء الجاذبية عليه. وأن تتبع ممارسات العناية به وتزينه لإبراز جماله او رعاية نظافته وصحته من شأنه أن يُحيلنا على فهم الطقوس والممارسات التي خَصَّته وخَصَّصَتْ له مختلف التقنيات والآليات ومستحضرات الزينة. فربط هذا الأخير "الجسد" بالجمال وبالعناية المتعددة الجوانب تبحث من خلالها الأنثى عن الرفاهية والاعتراف، والكثير من الامتيازات " النفسية، الصحية الاجتماعية..." تَفرض قيماً جمالية وأدائية معينة، وتُمارس سلطة رمزية لبلوغها تحقيقها وإعادة انتاجها حتى تتحول إلى معايير يؤخذ بها أمام سيل المعاني المتجددة لمقاييس الجمال ومعاييره، حيث لم يعد للمعايير التقليدية بقاء أمام القيم الوافدة التي حملت معها الكثير من الانفتاح على القيم الجمالية الغربية والعالمية الأكثر تنوعًا في الأشكال والنماذج. وأن هذا التغيير أتاح للأنثى التعبير عن هويتها بأساليب جديدة للاهتمام بمظهرها:

أ- **الجمال المُشَكلْ (بناء ذاتي):** تتعهد الأنثى جسدها بالرعاية والاعتناء وهي تشعر بالرضى من خلال استخدامها لمختلف مستحضرات التجميل وآليات العناية الجسدية سواء التقليدية أو الحديثة لإظهار جمالها **(مفاتنها)** المنبعث من خلال المرآة التي تقف أمامها لوقت طويل لأجل أن تبقى جميلة أمام مرآتها وفي مرآة المجتمع. حيث وتؤكد معظم حالات الدراسة اللواتي جمعتنا مهن الخبرة التجميلية أن هدفهن من وراء العناية الجسدية والاعتناء بالمظهر يمنحها الشعور بالرضى والسعادة **-بناء ذاتي-** وسط هذه الاهتمامات، ويشعرها بسعادة حقيقية عند قيامها بكل هذا الاعتناء امام المرآة كما اخبرتنا مبحوثتنا (المقابلة رقم 31):

" شْحَالْ تَعْجَبْنِي رُوحِي كِي نُوقَفْ قُدَّامْ مْرَايْتِي ونْمَاكِيّي وْفِي مْرَايَا تَاعْ
الْحَفَّافَة كِي تَخْدَّمْلِي وَإِلَّا نَخْدَّمْ لْرُوحِي كِي نْكُونْ مْغَشَّشَة وَلَا زَعْفَانَة
نْرُوحْ دِيرَاكَتْ نَحْكَمْ الْمَكّيَاجْ وَالْمَرَايَة انَّحِي الْغُمَّة عْلَيَّا وَنَفْرَحْ رُوحِي"

يُنظر إلى الجمال والسعي إليه كمدخل أساسي ومجال مهم في فهم احتياجات **الذات** وامتلاكها حيث يتجاوز هذا الأخير المظهر الخارجي ليشمل التعبير عن الذات والتميز الشخصي الذي تشعر به الأنثى كسمة شخصية، تبرز وتتميز من خلال طقوس العناية والاعتناء المنسجمة مع المعايير الاجتماعية ويحرص الحارس الأمين "**الأم**" على الانسجام مع العادات والتقاليد ليصبح عملية احترافية في بناء الذات وامتلاكها. ولا تعني فقط التحكم الجسدي، بقدر ما تُعبر عن خاصية فردية وهوية جمالية

لكل أنثى يظهر من خلالها الانجذاب والمقاومة، الرفض والاعتراف من خلال إعادة التشكيل وفق خيارات شخصية كتعبيرين الذات.

ب- الجمال الجَذَّابْ (بناء اجتماعي): الرغبة في التجميل والحصول على المظهر الجميل تحدي كبير أمام الأنثى وأمام فقدان الجاذبية، إنه رغبة جامحة تُحركها لتظل ساحرة وأكثر إغراء، فالجسد الجذاب إرهاص نفسي وتمثيل ثقافي واجتماعي يعكس معايير جماعية تقوم على ثنائية "**القبول والانجذاب" كما قلنا مراراً** ولن تتحقق الجاذبية إلا على يدي خبيرة مُتمرسة تعرف كيف تُظهر الجمال وتزيد من الجاذبية بين النساء كما تريد النساء. ولا تدخر في ذلك الوقت والجهد أو المال للوصول إلى مبتغاها، فلم يعد بذلك الجسد مُحرماً ولا مُقدساً كما كان بل غدى مُستباح ومُباح له كل شيء في سبيل الجاذبية والاغراء كما أطلعتنا **مخبرتنا** التي تعرف جيدا خبايا المُمَارِسات. فحسبها الجمال يتم تشكيله ويعاد إنتاجه من خلال المتفق عليه من معايير المظهر ومقاييس الجمال، وتتفاعل فيه التقنية مع الرغبة وتُغذيهما عدة عوامل "الثقافية، الاجتماعية الاقتصادية، السياسية" ومقاييس مشتركة "**الصحة الثراء، القوة، الانجاب، الغنى....**" المقابلة رقم32)

" وَجْهًا ضَاوِي كِي الشّمْسَ وهي زِينَة تْقُولْ قْمَرِ"

فإما أن يكون الجسد الممتلئ معياراً للجمال ومعياراً للعيش الرغد، والغنى، أو تكون النحافة والشحوب رمزا للفقر والمرض والاحتياج أو اعتبار البشرة البيضاء رمزا للجمال مقارنة بالسمراء. غير أن مقاييس الجمال متغيرة من مجتمع وجماعة الى أخرى ومن زمن إلى زمن اخر. فأحيانا يقترن الجمال بالنحافة والقوام وأحياناً اخرى يبدو الجسد الممتلئ أكثر جمالا وأنوثة. فالجمال في مجتمع البحث يعكس المعايير التي تربت عليها الأنثى وتعلمتها عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية رغم طغيان عناصر الحداثة التي تُشوش التفكير وتتحكم في الاختيار في بعض المرات خلال المقابلات التي كانت تجمعنا في قاعات الانتظار في بعض المرات حسب تصريح مبحوثتنا (المقابلة رقم33):

" لَمْعِيشَة تْزِيدْ فَالْزِّينْ وْفِي لْعُمُرْ، وَالصَّحَة قَالَتْ لْهُمْ أَقْعْدُو ثَمْ "

وعليه فأياً كانت المعايير والمقاييس فإن الجمال سيد المشهد في كل حضور يزيد من استثماره الفردي والجماعي.

ج- الجمال الانثوي والمرايا المتقابلة (الذات والآخر):حين تَقْتَحِمُ الأنثى الفضاء العام يُصبح الجسد مكوناً من مكونات العلاقات الاجتماعية البصرية، تظهر عندها التناقضات والثنائيات بين **الذات والآخر،**

ويخضع للمحددات المتداخلة بين النفسي، الاجتماعي، الديني، والانثروبولوجي ويغدو بذلك الجمال إحساساً ونظرة عابرة **للزمكان** خاضع لكل رغباته ومساعيه، هذا الأمر لطالما شكَّل مِحور حديث النساء أثناء الجلسات التي جمعتنا وإياهم في مختلف فضاءات التجميل حيث صرَّحن لنا عن خروج الأنثى عن المألوف في الفضاءات العامة، وعن كيف تَتْبَعُها الأعين وتنْعَتُها الألسن وهي لا تُبالي (حفّافَة باتنة)

" **شَعْبْ مَتْخَلَّفْ كِي يْشُوفُو وَحْدَة عَادْلَه رُوحْهَا تقُولْ مَاعْرَفْ وَاشَ شَافُو**

ايْطَيْشُولَكْ الْهَدْرَة كَلِّي مَانَعْرَفْ وَاشْدَرْتِي صَحْ النَّاسْ طَلْعَتْ لَلْقْمَرْ وهُومَا

مَزَالْهُمْ ايْتَبْعَوا فِينَا ونْسَاوْ نْسَاهُمْ وْبْنَاتْهُمْ وخْوَاتَاتْهُمْ "

إن هذه الصور والقوالب الجمالية مكَّنتنا من الوقوف على عمق التغير الذي فتح الطريق أمام الأنثى لتتعلق بالجسد وتتعلم فنون ترويضه، ومن ثمة فإن كل ما وقفنا عليه وشاهدناه بأم أعيننا وشاركنا فيه في بعض المرات يبين لنا أن موضوع التجميل والعناية الجسدية أمر شخصي غير أن الآخر يرقبه ويتفحصه " **الانثى، الرجل، المجتمع**" وينخرط الجميع في تقييمه ويسعون إليه. وعليه فالعلاقة بالآخر ليست أحادية الجانب ولا يُمكن لها أن تكون كذاك لا لشيء إلا لأن الجسد تركيبة بيو ثقافية وخارطة مُعقدة يصعب ضبط حدودها. تحوَّل بفعلها هذا الكيان وتلك الهوية إلى حكاية عن كيف كان وكيف أصبح " **الثابت، المتحول**" فلقد تبدلت كل المفاهيم التي لها علاقة بالجسد وتملاثته " **الجمال، الانوثة**" وتحولت العلاقة من دينية واجتماعية الى اقتصادية وسياسية وتحول **الجديد** الغريب بإذن الثقافة والتحرر إلى **قريب** ومُلح تتفتح فيه الرغبة التي تتغذى من سُلَّمِ تحضر مُتصاعد جعل الجسد الأنثوي شيء مُباح والجمال مطلق. وما مختلف الممارسات إلا مجرد اختلاف بين الذات والآخر غير قابلة للتفاوض. لنصل الى أن الجسد الأنثوي في مجتمع البحث يَشعر بنوع من الضجر والعزلة في كنف الحداثة التي حولت أُنْثَاهُ التي يقدسها الى صورة ومشهد استعراضي معروض للآخر وللمتعة عبر الاستراتيجيات المظهرية التي تقترب من إلغاء القيود والفوارق والحواجز من خلال قيمها الأكثر انفتاح " **أناقة، جمال ملكية..**" ولَّدَتْ إقبالاً كبيراً على الجسد دون أدنى قيد تماشياً مع استراتجيات الحداثة وما تصبوا وتسموا إليه الأنثى في حب الذات وامتلاكها.[1]

2.2. الجمال الانثوي وتمثلات المظهر في الفضاء العمومي

[1]-Melenecet Beatrice, Fabienne Juchât, (S /d), Le corps communicant, le XXIe siècle, civilisation du Galion .21corps. Ed l'Harmattan 2007. P

الجسد مرتبط بشكل وثيق بظهوره في الفضاء العام، فالشكل والمظهر البوابة الأولى للعبور الى الجسد المُحترم والمُحتفى به اجتماعياً والمُعَرَّضُ لكل اختراق رمزي **بالنظر** الذي يقلل من قيمته ومكانته**(عورة)** ويتطلب ازاحته والتحكم فيه. غير أن أنثى مجتمعنا البحثي اليوم تحاكي نماذج وقوالب الحداثة المنسجمة مع المشهد الثقافي بمختلف انتماءاتها (حضر، بدو) ومكانتها (عازبة، متزوجة ارامل، مطلقة..) تراها في الفضاء العام بمظهر الفاتنة مثل عارضة أزياء قد أثقلت مساحيق التجميل وجهها وغيرت ملامحها، ولعبت تقنيات التجميل بشكلها فجعلتها نسخة لوجوه المشاهير والمؤثرات على السوشل ميديا. فالرغبة في الجمال تَغْلِبُ الرغبة في الصحة والجاذبية تسبق السلامة فلا شيء يوقف سعيها الحثيث للذوبان في قوالب الجمال المُعدة للاستهلاك مما عرَّضها للسخرية والتنمر من طرف الفاعلين الاجتماعيين وهم يلومن هذا الذوبان والانسلاخ، غير أن مبحوثاتنا يَمْقُتْنَ بمرارة هذا الرفض وهذا الانتهاك لحقها في الاعتناء والظهور كما تريد، ترى أنه من المتناقضات أن ننخرط في لعبة التصنيفات الجسدية وصناعة الجمال ونقبل بالرفاه والتقدم ونحن نُطبق على جسد الأنثى وُنقيد امتلاكها له. فمن غير المعقول أن نقبل بميلاد فضاءات صناعة الجسد في مجتمعنا وندعوها لاستهلاك كل معطيات الحداثة **(التجميل)** وتجريب كل الممارسات التجميلية بمختلف آلياتها ثم نرفض مظهرها الجميل المعدل، نلومها وننعتها فهذان نقيضان لا يلتقيان ابداً. فما أن نقبل بهذا التّغير ونتكيف معه ونقبل قوانينه، ونعني بذلك القبول بشكل الأنثى وانخراطها في لعبة الاعتناء بالجسد والممارسات التجميلية أو نرفضها ونعرض عنها ونقصيها من كل حراك ونبتر المجتمع من نصفه الثاني(الانثى). وذلك ما لا نقدر عليه فموضة الجمال تحكمت في الأذواق ووجهتها وزادت من الاقبال عليها وعلى مختلف عمليات العناية الجسدية في مختلف الفضاءات المخصصة لذلك (مراكز، عيادات، نوادي صالونات...) لإجراء تعديلات معينة على جسدها أو انخراطها في نوادي الرياضة لتعديل معين في شكلها. فالجمال اليوم هَمُّ الأنثى وشُغلها الشَّاغل ما جعل المجتمع في حالة إلتباس وتناقض كبيرين وما بين القبول والتنكر يعيش النَّقيضين في الوقت ذاته ولا يمكن تجاهله، فالجسد مكون راسخ من مكونات البحث الاجتماعي والثقافي وجزء دائم الحضور بدرجة تزيد أو تقل في كل تفاعل وهو أيضا بؤرة للكثير من المحرمات والتحيُّزات والأحكام، وتتقرر مكانتنا في المجتمع بالكيفية التي نحرك بها أجسادنا ونكسوها ونصونها ونهذبها ونتفاعل بها.[1] من خلال:

[1] هيلين توماس، **مرجع سابق**، ص23

أ- **تسوية المظهر**: يُمارِس الجمال سلطته على النساء رغماً عنهن إذ لا غرابة إن اعتنت الأنثى بشكلها ومظهرها وسعت للانخراط في مختلف الفضاءات التي تُسهم في امتلاكها لجسد مثالي جذاب **(تحسين تسوية)** طبقاً لشيفرات ثقافية خاصة تُحدد ما ينبغي أن يكون عليه مظهرها في كل حضور وظهور وهي تَتَبَّعُ تفاصيله في **المرآة** وفقا لما تراه من نماذج في المجتمع والإعلام. فلقد تعلَّمت تحسين مظهرها منذ نعومة أظافرها ولا عجب اليوم إن انخرطت في عالم التحسين التجميلي بمختلف آلياته وممارساته. ويمثل هذا وعيًا جديداً بالذات ما يؤدي إلى اتخاذ قرارات شخصية أكثر حرية وهذا العمل يُعتبر بمثابة تمرد على التنشئة الاجتماعية والتوقعات المجتمعية في الظُّهور بشكل مُحتشم سواء على مستوى الوجه أو كل الجسد، حيث أن الأنثى لم تعد مطالبة بعدم الافراط في التزين **(التفنج)** وفي استعمال مواد التجميل إنما هي اليوم مطالبة بالوعي في خوض تجربة التجميل في مشرحة فضاءات العناية الجسدية خاصة التي تملكها **الحلَّاقات** اللواتي أسمين أنفسهن **خبيرات** تجميل من دون فهم لعلوم ولا دراية بعوالم الجسد الإنساني وتركيبته البيولوجية. حيث نجد الكثيرات منهن يتسابقن على استخدام آليات التجميل وتقنيات التعديل والتشكيل المختلفة ومسايرة الموضة متجاوزات حق الجسد في الحفظ والحماية والتي في الغالب اكتسبت خبرة فيها أو تعلمتها بالممارسة أو مكَّنتها الميديا والاعلام من تعلمها. غير أن البحث عن الجمال لا يترك فرصة للأنثى لتنتقي أو تختار فكل الفضاءات تُنتج نسخاً متشابهة من خلال استخداماتها لنفس التقنيات والأجهزة ما يجعل النتائج واحدة والاشكال مُوحدة خاصة مع ظهور نماذج تجذب إليها المقبلات على التجميل "شفاه روسية، مؤخرة كولومبية...الخ" تظهر على أن لها خبرة ونتائجها موثوق فيها، أما الثمن فهو مكلف وباهض في رحلة البحث عن الأنوثة الجذابة والمظهر الفاتن الممتد أيضاً في رحلة التجميل ليشمل نوادي الرياضة وعيادات الطب التجميلي المتخصصة وكيف تسعى هي الأخرى لبعث الجمال. حيث دخلت عالم الأنثى وتربعت على اهتمامات من هن أكثر إطلاع وعلمً ودراية بما تقدمه خدماتها الطبية المدروسة "حمية غذائية، أدوية علاجية، تحليلات طبية... الخ وذلك الذي قرئناه من نظرات وأفواه المبحوثات اللواتي تحدثن بشغف عن ثورة صناعة الجمال التي يكفلها الطب وتقومها الرياضة.

إن الانشغال بالمظهر مُقترن بحكم **الغير** وتقديرهم غير أن تنوع الأذواق يجعل الأنثى بين النزعة الفردية وبين النماذج العالمية ونجوم المجتمع وما يرتبط بهم من امتيازات تزيد الفجوة بين الظهور والمظهر والرغبة المتأججة في الحصول على إعجاب الآخرين، وهذه الرغبات ليست وليدة العصر إنما

عرفتها كل المجتمعات عبر العصور والمرتبطة بالحلي واللباس والتزين غير أن التطور التقني والثقافي ساهم في بروزها وبروز نماذج جمالية تزيد من حُمّى الاهتمام بالمظهر.

العلاقة بين الجمال والرغبة غير متكافئة تحاكي النماذج المَشكّلة التي تريد رؤيتها جميلة هو فعل متبادل (اريدها ، وتريدني) وان الاشكال تتغير بفضل المرايا والتقنيات التي لولاها ما كان لنا رؤية الذات وامتلاكها.

ب- **إرضاء الذات والآخر:** في مجال الجمال لا يتعلق الأمر بالحفاظ على المظاهر ولكن هناك طموح كبير للحصول على إعجاب **الآخرين** بل وأن تُعجب هي بنفسها وبجسدها. إنه سعي غني بالمعاني "**الجاذبية، اللذة، الرغبة، الهوس...**" أملاً في بلوغ مراتب الاعتراف سراً وعلناً، وارضاءً لذاتها التي تريدها جميلة بين الجميلات التي تراهن بعينها وباعتراف المجتمع، وبتلك المقاييس التي أنتجت ورُكِّبَت في فضاءات التجميل وقبلت بها الأنثى، بل وسعت إليها طلباً لاعتراف والاحترام. فلا يقتصر تعديل المظهر على إرضاء الذات فقط بقدر ما يروم إلى اكتساب إعجاب الآخرين ويعني الجاذبية التي تأتي لِتُثبت أو تَنْفِي خبرة **مرآتنا**، ولِتُقَوّي أو تَقْضِي على صورتنا عن الجسد من حيث هو موقع فائق الحساسية لهويتنا.[1] ... وبالتأكيد لا يُعجب المرء بغيره دون جمال وأن كلا المسارين "**الأنا والآخر**" مهم تلعب النرجسية فيهما الدور البارز ويلعب فيها الجسد دورًا كبيرًا في التفاعلات الإنسانية، حيث لم يعد محط اهتمام فقط بل امتد ليشمل المظهر الخارجي بما في ذلك الموضة والوشم وتجميل الجسم[2].

إن التعامل مع هذا الجسد موضوعًا هامًا في الحقل الاجتماعي **و الانثرو- اثنوغرافي** خاصة نراه يرتبط بشكل وثيق بالعديد من المُحرّمات والأحكام القيمية التي تحدد مكانته الاجتماعية بناءً على كيفية تفاعله مع الآخرين وتقديمه لهم. فمن العسير مناقشة الجسد بمعزل عن الثقافة، وبالتالي فإن العلاقة بالجسد والفضاء الاجتماعي والثقافي تحمل مضامين خاصة في المجتمع الذي يتم البحث فيه (باتنة) حيث تُبنى عليه المفاهيم المتعلقة بالجسد وبالعناية الجسدية وبالمظهر والذوق الجمالي. ولا يمكن أن تتكرر هذه المفاهيم والتمثلات في مجتمعات أخرى نظرًا لخصوصيتها. فالجمال والظهور في الفضاء العمومي مرتبط بشكل وثيق بالكثير من التصنيفات (المحترمة، المحافظة) حيث تمنح للأنثى القبول والمكانة أو تقصيها وتوصمها (الجريئة المحررة) فلا شيء يقف أمام سعيها حتى وإن بدت الوجوه

[1] جان ميزونوف، ماريلو بروشون-شفايتزر، **مرجع سابق**، ص37

[2] - **Danemark**: University of _Eich berg,Henning, **how to study body culture observing Human practice** ,p242007Heath and civil society, center for sports, Danemark,

متشابهة **كالدمى** أو أصبح الاختيار غير عقلاني تزيد فيه الخسارة والتكلفة ويزداد القلق. أصبح بذلك الجمال علامة من علامات الانجذاب للآخر ونقل للخبرة في مواجهة المرآة التي تصنع ذلك المظهر والحُسن المُنتظر الفائق الحساسية للهوية. ونعتبره نحن نرجسية ترتبط بسحر الأنوثة. ولغة غير منطوقة تجعلنا نقف أمامها في الكثيري من الأحيان مندهشين من سلطتها (الذات، الآخر) وهي تُعري الجسد تماماً كما تفعل الكلمات والالفاظ الخادشة للحياء "**عريانة، رخيسة، خامجة، ...**" وهي تغدو وتجيئ(الانثى) أمام الملأ – في الفضاء العام– دون حياء أو خجل من يتلك الألوان الصارخة لمختلف أنواع الماكياج التي رسمت الملامح وأبرزت التفاصيل "العينين الحاجبان، الشفاه، الانف الخدود..." **و/أو** نحتت الجسد ورسمت حدوده وبينت تفاصيله "الارداف، الاثداء، المؤخرة..." زادت الملابس من بروزها، وحولت الأنثى الى عارضة أزياء من خلال تلك الممارسات التي لم نفهم قيمتها لولا – **المرافقات**– اللواتي تعلمنا منهن كيف تبني الأنثى جمالها وأنوثتها، وبذلك فهن أيضا سفيرات مجتمعاتهن في نقل المفاهيم في رحلة محفوفة بالحذر. مُحاطة بالخيفة بذلنا فيها قصارى جهدنا كي نحضي بالقبول في مرافقتهن لكل العمليات الحميمية المحاطة بالسرية والتكتم على بعض المناطق في الجسد (العورة)....ومن ناحية أخرى يُظهر الجمال الغرور والرقة والانوثة فلا يمكننا ان نكشف جميع القيم التي يمكن مقارنتها (الجميل، الوسيم) يتجسد التهديد الذي لا يقهر نقيضه " الجميلة ، العارية، المتزينة، الإباحية" بجسدها الفاتك تقترب من الموت موت العفة والحياء والشرف، موت رمزي لأنثى العشق الممنوع بفقدان الأنوثة وفقدان الهوية **(شاوية)** ثم يفقد إلتحامه مع شريكه (الرجل) الذي يشتهي المظهر الجميل ويخشى امتلاكه ، ويصبح الجسد في الأخير علامة فانية مثل انتهاء صلاحية العلامات التجارية والموضة، لذلك يرفض فمجتمعنا البحثي امتلاك الجسد المباح ويشتهيه، إنها معادلة صعبة ومنحى عنيد يَجْذِبُ إلى ويُنَفِّرُ من المظهر المُتغنج الفاتن بالاعتناء.

إن فهمنا لعالم التجميل وخصوصيته باعتبارنا أنثى وممارسة أزاح من طريقنا الكثير من العقبات خاصة عملنا بمهنة التجميل وتصفيف الشعر في إحدة الفضاءات الذي مكنتنا من القرب من الأنثى"**زبونة، ممارسة، مرافقة**" في حين كان لاختصاصنا النفسي وتجربتنا الانثروبولوجية في مرحلة الماجستير تجربة سهَّلت علينا العمل في الكثير من المرات مع الممارسات والممارس عليهن(خبيرات، حفَّافَات، زبونات) وجعلت منا سنداً لهن في الميدان في بعض المرات متى تطلب الأمر ذلك لكن دون افراط. حسبما سمحت به الفرصة وما أتاحته لنا تجربتنا **الاثنوغرافية** حيث تبين لنا أن تقنيات التجميل

متطورة تراجعت أمامها آليات تدبير الجسد التقليدية وفرض التقدم التكنولجي والتقنيات الحديثة سلطته على **المُمَارِسَات والمُمَارَس عليهن** كما خلقت ثورة حقيقية في عالم التجميل والتجمل (التزين) الغير منفصل عن حياة الأنثى المدعوم من فضاءات التجميل **(عيادات، صالونات صالات...)** بمختلف ممارساتها وبدت الأنثى متحررة في العلن أكثر من السر وهي تجوب الفضاء العام بجسدها المفبرك والمعدل وفق قياسات عملت على تغيير خارطة الجسد حتى بات يصعب على الناظر التمييزبين **العازبة من المتزوجة والصغيرة من الكبيرة وبين ربة البيت من العاملة** فالوجوه متشابهة كالدمى، والتقنيات عرت الجسد وهتكت ستره، وأخرجت العذراء من خذرها مغيِّرة مفهوم الأنوثة والجمال التي صاغتها الأعراف وتحرصها المثل المجتمعية وأصبحت الأنثى على استعداد لرفض كل شيء يقمع رغبتها نحو بلوغ مجد الانوثة والارتقاء في سلم الجمال.

3.الجمال الأنثوي، موضة التجميل وعري الجسد

لا تُمثل **الموضة** جنوناً ثقافياً فحسب إنما هي ظاهرة تستحق التوقف عندها، فعلى الرغم من أنها لم تتوقف عن تسريع شَرْعَنَتِهَا العابرة وعن غزو الفضاءات جديدة، وعن ضم الطبقات الاجتماعية من كافة الأعمار المختلفة إلى مدارها، فإنها لم تبال بمن لديهم قناعة إبراز مرونة المجتمعات الحديثة.[1] فالتأثيرات الساحرة لموضة الجمال بادية وسطوتها المزعومة على الحياة الاجتماعية لا مفر منها ازداد انتشارها والاقبال عليها كمرحلة انفتاح على موضة الجسد والتجميل حيث تَلاحق انتشار أنماط الجمال وقوالبه بهوس تتجلى فيه السمات الجمالية والاجتماعية لفئة محددة (الانثى) ما يكشف عن بداية تجذُّرها في الوعي واللاوعي الفردي والجماعي على الرغم من بعض الانزياح عن المألوف والمتعارف الذي بدى واضحاً في بروزها في الفضاء العام وهي تتعرى جسدا مُتزيّناً بألوان الموضة التي لعبت به وبكل آلياتها وتقنياتها المتجددة باستمرار وتذوب في قوالب الجمال الجاهزة المُسوقة للأنثى العصرية المتمدنة رغم ايمانها العميق بحتمية ستر الجسد واتقاء فتنته وشروره.

لقد لعبت الحداثة الدور البارز والمحوري في بروز موضة التجميل وخدمة الجسد الأنثوي كما لعبت به وبتمثلاته ومن ثمة بقيمه ومرجعياته (الدينة، العربية الامازيغية) وخلقت علاقة جديدة بالجسد واضحة عند كل ظهور للأنثى حتى باتت فضاء متنقلاً للفعل الاجتماعي (التجميل) وحقلاً خصبا لزرع

[1] جيل ليبوفتسكي، **مملكة الموضة زوال متجدد" الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية** ، تر: دينا مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2017، ص13.

كل مفاهيمه المانحة للجمال والإقامة الدائمة ، فاتحة الهجرة إليها بلا شروط وبلا قيد مما خلق ولع كبير بأحدث التقنيات في عالم الجمال، والتي لم تكن معروفة ولا مألوفة من قبل لكنها تحظى بقبول واعتراف كبيرين. فلم يكن لتلك التقنيات والآليات أن تحظى بهذا الاقبال لولا ولع الانثى بذاتها، وستغدو ضرورة في المراحل اللاحقة من حياتها المتجهة نجو عبادة المظهر مما يجعلها تحلق من فضاء الى فضاء آخر علَّها تجد ما يُشبع رغبتها المتأججة. تلك هي سلطة الجمال وهيمنة الموضة المرتسمة على الجسد. والملازمة للفعل الإنساني الاجتماعي. تترجم الميل المتجذر نحو الاعتناء بالمظهر والرغبة في التميز.

إن سلطة الموضة على الأجساد (الانثى) أمر في غاية الأهمية يستحق التوقف عندها لقراءة المجتمعات من خلالها باعتبارها ذات علاقة وطيدة بالاجتماعي والثقافي، الاقتصادي والسيادسي والديني والأخلاقي والكثير من التحليلات المتعددة الرؤى والتفسيرات، ونرى نحن انثروبولوجيا أنه بات من الضروري الالتفات اليها بالدراسة لقراء رمزيتها الظاهر والمتخفية في بناء الوعي الجمعي وآليات الخطاب التي تحكمها. كنظام متكامل وظاهرة متعددة المداخل. ففي ظل وجود الموضة لن يتوقف البشر عن ملاحظة أنفسهم ولا عن تقدير مظهرهم ومظهر الآخرين رغبة في إرضاء الذات.

خلاصة

لقد تضمن الفصل تجربة حقيقية مبنية على الاقتراب والمشاركة للممارسات التجميلية بكل أبعادها وتقاطعاتها، سمحت لنا تفكيك مفهوم الجمال والتزيين لنحقق اقتراباً من العناية الجسدية وصناعة الجمال الأنثوي بالوقوف على مضامينه وخطاباته "**العيب، الحشومة، العار...**" المؤدية لأشكال التبادل الرمزي باعتبارها مرآة الهوية الأنثوية وعاكسة القيم المجتمعية، كما وقفنا خلال هذا الفصل على آليات تدبير الجسد الأنثوي وبناء الأنوثة للمرأة الشاوية(الباتنية) بالاستعانة بأدوات بحثنا الكمية خاصة **الاثنوغرافيا**

من خلال الوصف المكثف في مختلف المحطَّات التي سمحت لنا برصد كل الممارسات التجميلية الحديثة ، حيث قمنا بتفكيكها و قسَّمناها الى ممارسات تخص **الوجه** وأخرى تخص **الجسد** حتى يتسنى لنا الاقتراب من تفاصيلها من حيث أكثرها **اقبلا وقبولا** بين النساء وفهم كيف تشكل مفهوم الجمال في وعيهن. لنصل في الأخير إلى كيف غيرت من مفاهيم الجمال وتغيير المشهد الاجتماعي الذي تظهر فيه الأنثى مبدية جمالها عارضته في الفضاء العام للناظرين بعد أن سَوَّتْهُ وَعَدَّلَتْهُ وفق متطلبات الموضة وصانعات الجمال لتظل فاتنة.

الفصل الرابع:

الممارسات التجميلية وتقنيات صناعة الجسد" الظاهر والخفي"

تمهيد

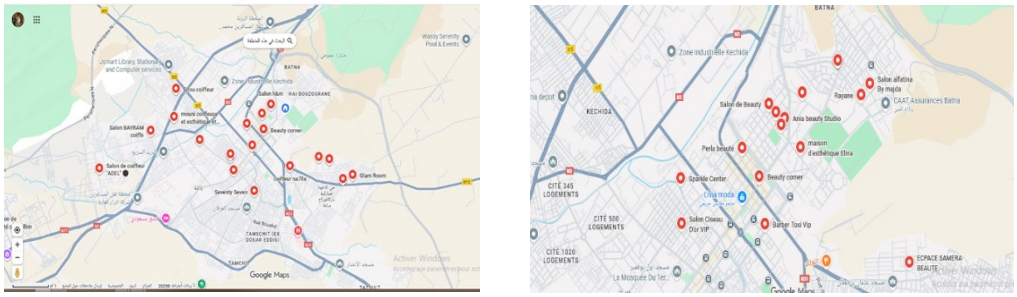
ان الجسد ليس معطى بيولوجي ولا واقعا قائما بذاتها كما يتبادر للذهن، بل أكبر من ان نراه من زاوية واحدة ،فهو الوجود الإنساني والنتاج السوسيوثقافي، فلا وجود له الا ضمن سيروراته وانساقه التي أوجدها الانسان وضبط من خلالها حركاته وسكناته وتتبع ممارساته وطقوسه الوثيقة الصلة بالعادات والتقاليد وبالقيم الاجتماعية المشتركة ، فهذه التيمة بمثابة عنوان للكينونة والهوية الفردية والجماعية لذلك فانه من العسير ان نتحدث عنه دون استحضار الجسد، الأنثوي، والتمثلات التي تنسج حوله من اجل فهمه حسب خصوصيته وتنظيماته، ممارساته وطقوسه في علاقتها بالانوثة والجندر التي تصبح تشخيصا لواقع الجمال الانثوي وللتجربة الجمالية المعاشة. ولانماط السيطرة والتحكم ونماذج القولبة والتنمط **للحسن والجمال/ الجاذبية والوسامة**، سمة العصر الراهن وسعي الانثى الدائم الذي يتجاوز رغبتها البسيطة في العناية بمظهرها الى الانفتاح على عوالم الجمال والعناية الجسدية من خلال الانخراط في فضاءات صناعة الجسد والذوق الجمالي. لتحقق اشباعات ظاهرة وخفية. وذلك الذي يشغل انثى مختبرنا البحثي (باتنة) والمجتمع الجزائري عامة وكل العالم. ما يضعه على المحك ويجعله موضوعاً للمساءلة وباباً للبحث والتقصي وذلك ما نصبو إليه من خلال هذا الفصل، النظر إلى الجسد واقتحام عوالمه من خلال **مرآة** العناية الجسدية. بالوقوف على ممارساته وتقنيات التجميل والاعتناء به عبر فضاءات حميمية أصبحت لا غنى لأي أنثى عنها "**حلاقة، تجميل، رياضة**" نتتبع سيرورتاها ونستنطق مدلولاتها المتنامية في فضاءات صناعة الجسد والذوق الجمالي بهدف إماطة اللثام عن مختلف العمليات والممارسات الجسدية باب الأنوثة والهوية الجندرية والتي تتطلب دراسة وتحليل أنثروبولوجي.

أولا: اثنوغرافيا فضاءت التجميل وبناء الهوية الجندرية

1. فضاءات التجميل وصناعة الذوق الجمالي

الحديث عن فضاءات التجميل وصناعة الذوق الجميل موضوع متشعب يجمع بين الرغبة الذاتية والخصوصية الاجتماعية تتفاعل فيها الممارسات بالمفاهيم والقيم بالتمثلات، وتتنافس فيه النساء على الحسن والجمال بما تُقْدِم عليه من اعتناء بالجسد عبر مُختلف الممارسات المُقدَّمة لديمومة جاذبيته وشبابه فبات شَكْلُهَا أكبر اهتماماتها ومُبتغاها الذي تبحث عنه في مختلف فضاءات التجميل وممارسات العناية الجسدية التي توجه ذوقها واختياراتها، بل وتتحكم فيها عبر ما تقدمه لها من خدمات عبر مختلف المستحضرات وتقنيات العناية الجسدية التي زاد من انتشارها تطور التكنولوجيا وما أفرزته من طفرة في عالم التجميل والتقنيات بما توفره للأنثى من رُقيي وراحة تجعلها تتفوق على الكثيرات من بنات جنسها. حيث لم يعد الجمال مجرد شيء ثانوي مصاحب للاحتفالات والمناسبات وإنما أصبح أمراً ضرورياً وروتين يومي لهذه الأنثى المتحررة المقبلة على ذاتها متفننة في الاعتناء بها بالانخراط في مختلف الفضاءات الحميمية التي زاد انتشارها في الجزائر وفي ومجتمع بحثنا والمنتشرة هنا وهناك في شوارع وأحياء المدينة كما تبينه الصور:

الصورة رقم 3: خارطة لموقع مختلف فضاءات التجميل



https://www.google.com/maps/search/%

تتنافس هذه الفضاءات التجميلية فيما بينها على اقتناء أحدث المستحضرات والتقنيات في عالم التجميل والجمال، فالميدان ثري يحوي قاموس من وأدوات التجميل المستوردة منها المتفق عليها بين النساء **(مشط، مجفف الشعر، مقص، مرآة، ملقط...)** ومنها الحديثة من الأجهزة المتطورة سواء المستخدمة في المنزل أو في فضاءات التجميل "أجهز الليزر لإزالة الشعر، أجهزة التقشير الكميائي أجهزة شد الوجه غير الجراحي، أجهز العلاج بالضوء..." وغير من التقنيات الحديثة المتجددة التى لا تعد ولا تحصى، معظمها نجدها في عيادات الطب التجميلي وتُعتبر من صميم العمل الطبي غير أنها

أُقحمت في عالم التجميل والتزيين في فضاءات التجميل. وباتت تنافس **عيادات الطب التجميلي** في مجتمعنا **الشاوي**، ولما نقول الشاوي فنحن نعني **الرُجلة والحرمة**. ذلك المفهوم المتربع على معاني "الشرف والحياء" **(الحرمة والنيف)** غير أن ذلك المُستبطن لم يعد له حُضور ولا سلطة، يظهر من خلال ما يشهده المجتمع من قفزة نوعية في ميدان العناية الجسدية وصناعة الجمال الأنثوي المُقترب من النماذج العالمية المُمجَدة للمظهر ما يوحي بأن المجتمع وأُنثاه يتأرجح بين القيم التقليدية والحديثة وبين المتوارثة الوافدة. فإبداعات هذه الفضاءات لامست الجسد ولعبت بتمثلاته ولامست حتى تسمياتها التي تغيرت عما عهدناه أنها صالون حلاقة وتصفيف الشعر ، **حلاقة النساء، حلاقة المناسبات**...الخ وباتت التسميات الجديدة أكثر اغراء تفتح الشهية للانخراط فيها " مركز، أخصائية، خبيرة عيادة، أكاديمية..." وغيرها من التسميات كما تبينه الصور:

الصورة رقم 4: أسماء فضاءات التجميل والعناية الجسدية



لقد تبين لنا من خلال التجربة المعاشة أن هذه الفضاءات بمثابة **معابد** و**عقيدة** جديدة تملَّكت أنثى المجتمع الشاوي (الباتني) تحكَّمت في الذوق ووحدت الوجوه، وروَّضت الجسد مُخضعة إياه لسلطتها **لتَحُجُّ** إليها الأنثى علَّها تجد مُبتغاها، فخدماتها مُتنوعة وتقنياتها مُتطورة لا تقدر على مُقاومتها، وازدادت هيمنتها بفعل ثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي تُسوق لمزاياها ولموضة استهلاك في غياب سلطة مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

1.1. صالونات الحلاقة "الحفَّافَاتْ" وتَفَجُّرْ الرَّغْبَة

تكتسب العناية بالجسد محوراً مهماً في الحياة الخاصة والحميمية للأنثى وتستولي على اهتمامها. حيث تبحث من خلالها عن إشباعات متنوعة ومعقدة تبعث على الراحة والغرور والافتتان وهي تتأمل نفسها أمام **المرآة** وتسمع مدح الآخرين لها، فتُقبل على استعمال مختلف المساحيق لِتُضِيفَ على جمالها لمسة سحرية، وأحياناً تجلس على كرسي **المُصَفِّفَة** أو **الحَفَّافة** لبعث بإشعاع جمالها وهي تتأمل ذاتها

في **المرآة وتتطلع** لنظرة الآخرين المُعجبين بجاذبيتها المتألقة بعدما عَدَّلت وسَوَّت، وبعدما قضت على خطوط الزمن وعلامات التقدم في العمر. فلم يعد أمام الأنثى اليوم شك في فاعلية هذه التقنيات الحديثة والممارسات المختلفة التي تُرضي نرجسيتها. وتمنحها الجمال المفقود، فهي لا وتشق لها طريق بين الجميلات والحسنوات فحسب بل تتصدر قائمة الجميلات، فحسب مبحوثاتنا الجمال يُباع والجسد يُصنع ليُحاكي نماذج جاهزة وأحياناً يتماهى مع مظهر الحفافة نفسها "**المُصَقِّفة الخبيرة، المُمَارِسة**" تلك الجميلة الفاتنة التي تعتبرها بوابة العبور لعالم الجمال وتتعلم منها كل ممارسات التجميل. فما وقفنا عليه بين لنا أن صاحبات فضاءات التجميل والعاملات فيه يبدون جميلات بوجوه مشرقة وبشرة خالية من كل العيوب وجسد ممشوق خالي من الترهلات، فجسدها المفرط الجمال بمستحضرات التجميل وعمليات الحفر والبناء التي مارستها عليه مُحفِّز للأنثى للإخراط ومُحرك للرغبة "الزبونة/ المرافقة" مما يزيد من قُبولها وإقْبَالها على الاعتناء بجسدها ليتماهى مع مظهر وجسد **الحفَّافة** المُغْري، والذي يُعتبر شهادة اعتراف بخبرتها وبفعالية الممارسات التي تقوم بها.

تبدوا فضاءات التجميل التي وقفنا عليها أكثر تنظيم، بأثاث راقي (ارائك، أضواء، معدات...) مُنسق بشكل دقيق وأجهزة متطورة مختارة بإحكام، لا تشبه تلك الفضاءات التي عهدناها وتربينا عليها لا من حيث أجهزتها ومعداتها، ولا مساحاتها. لقد تغيرت الموجودات كثيرا –من بسيطة الى حديثة– أصبحت المساحة أكثر اتساع عما كانت عليه بديكورات جذابة تتنوع من حيث شكلها ما بين الواسعة المساحة **(قَارَاجْ، محَلْ)** وبين المتعددة الغرف **(دَارْ، بَطِيمَة، سُكْنَة)** ومنها ما هوم متواجد في الطابق الأرضي **(سفلي)** ومنها ما يتواجد في مكان متعدد الطوابق **(الأول، الثاني، الثالث...)** سواء كانت عمارة أو منزل حسب المتوفر. متواجدة في مختلف الأحياء والشوارع من المدينة بعدما كانت تقتصر على بعض الأماكن. وهذا لا ينفي محافظة بعض الصالونات على بساطتها وعلى شكلها. حيث تتفق جميعها على خدمة الأنثى فمنها ما هو مخصص للعرائس فقط (خطوبة، زواج) اكْسَبَتْ صاحبتها سمعة من خلال مهارتها في تجميلها وتجهيزها وبالتالي فان استخدام تقنيات التجميل **الحديثة** ليس من اختصاصها ولا يهمها سوى تجهيز العروس او المخطوبة وتزيينها باستخدام مستحضرات التجميل بعيدا هو سلطة التقنية الا نادراً، أو أنها تكون مخصصة لكل الفئات العمرية والطبقات الاجتماعية والمناسباتية. وهي الأخرى لا تمارِس التجميل مُكتفية بتصفيف الشعر والحلاقة والتزيين المستند على مستحضرات التجميل ومهما كانت خدماتها أو تسمياتها فإن هذه الفضاءات تعمل على خدمة الأنثى والعناية بجسدها

وبعث جمالها " **تصفيف الشعر، تزيين الوجه، الاظافر...** " وتعد أول الفضاءات التي عرفها مجال التزيين والعناية الجسدية، فهي قديماً مهنة لمن لم يُسعفها الحظ في إتمام تعليمها "المتوسط أو الثانوي" بينما اليوم جذبت اليها المتعلمات والموظفات من كل الطبقات والمستويات التعليمية والاختصاصات كما اخبرتنا النسوة والممارسات اللواتي قابلناهن (المقابلة رقم 34)

بَكْري الّي مَاتَقْرَاشْ تْحَلْ حَفّافَه، يَعْنِي مَاعَنْدْهَا لاَ قيمَة لاَ مُسْتَقْبَلْ بَصْحْ ذُرْكْ الْحَفَّافَات قَارْيَاتْ تَلْقَايْ المُحَامْيَه، الفَرْمْلِيه والأُسْتَاذة وغِيرْهأ رَاهُمْ بْقِيمَتْهُم خِيرْ مَن الطْبِيبْ

حَدَّثَتْنا **المخبرتان الاثنتان** اللتان استعنَّا بهما قبل البدء في الدراسة الميدانية مُصرِّحة أن مهنة الحلاقة في المدينة ارتبطت بالفشل **الدراسي (البكالوريا– المتوسط)** وأكدته لنا بعض **المُمَارسات** اللواتي قابلناهن أن **الحفافة** معروفة قديما في مدينة باتنة أنها لم تكمل تعليمها وبالتالي فمستواها لا يتعدى الثانوي أو المتوسط، أو أنها مهنة تصلح للتي بدون مستوى تعليمي والتي تتجه الى **التكوين المهني** بعد اخفاقها في الدراسة من أجل الحصول على شهادة تكوين حسب رغبتها –حرفة المستقبل– من" **خياطة، حلاقة. طبخ...** " وغيرها من التخصصات بحثا عن الكفاءة التي تسمح لها بولوج عالم الشغل أو إنشاء مشروعها الخاصة، ومنها امتهان الحلاقة والتجميل لفتح **صالون** يسمح لها بمزاولة المهنة، وبموجبها تبدأ الأنثى ممارسة فن الحلاقة. كما يتفق المجتمع على تسميتها بـ **الحفَّافَة**. والتي لم يكن عددها كبيرا ولم تكن منتشرة بالشكل الذي هي عليه الان لعدة اعتبارات اجتماعية وثقافية.

إن هذه الفضاءات على اختلاف مسمياتها " **صالون حلاقة للنساء، صالون حلاقة وتجميل صالون الحلاقة وتصفيف الشعر، حلاقة للعرائس...**" تتفق جميعها على أنها أماكن جُهِّزت لأجل هذا الجسد الأنثوي للاعتناء به وبجماله. فمن خلال اقامتنا بها تبين لنا أنها فضاءات مخصصة للحلاقة بسيطة في شكلها وألوانها ومُعداتها وحتى خدماتها المبالغ المدفوعة فيها منها البسيطة ومنها ما هو في متناول الكثيرات ومنها الباهظة الثمن التي لا يقدر عليها إلا فئات معينة من المجتمع وأن اختيار أي فضاء أو الأفضل بينها مرتبط إما بالمعرفة الخاصة أو بالسمعة والأخلاق، أو لكونها تلبي حاجاتهن المالية والتجميلية. أما خدماتها ففي الغالب تخص المناسبات " **عرس خطبة، ختان عيد...الخ**" وأما البعض منها فلقد اختار مجالاً وتوجهاً محدداً معروفاً **(حفَّافة لَعْرَايَسْ)** حتى باتت قبلة المقبلات على الخطبة والزواج فقط معروفة بخدماتها الراقية **(تصفيف الشعر والمكياج، أظافر، رموش)** باستخدام مختلف الماركات والمستحضرات المحلية والمستوردة " **غاسول، ماسك مرطب، ماكياج...**" **تهتم** بـ"

الوجه والشعر" دون سائر الجسد المتفق عليها لدى الجميع. فلا غنى عنها ولا يتم العمل من دونها بل وأنه مهما بلغ عالم التجميل من تطور وتغير بقيت عنصر ارتكاز هام في العناية الجسدية مُحافظة على خدماتها كما أخبرتنا بذلك إحدى الحلاَّقات قائلة:

أَنَا عُمْرِي لاَ نْبَدَّلْ خَدَّمْتِي مَع ٱلْعْرَايَسْ يَعْنِي سْبِيغَة وْمَاكِيَّاجْ وهِيَّ خَرْجَتْ بُوبِيَّة بْلاَ تَجْمِيلَ الّي هَابْلِينْ عْلِيهْ النْسَاء يالُوكَانْ جَاتْ فِيهْ فَايْدَة كُنْتْ دَرْتُو أَنا قَبْلْ مَنْهُمْ وَلَّا دَخَّلْتُو فِي خَدَّمْتِي بَصَّحْ نْشُوفْ فِيهْ أَوَّلاً حْرَامْ وثَانِياً مُضِرْ بَالصَّحَه وزِيدْ مَهُوشْ مِيتْينَا وَالّي بْغَاتْ اذِّيرُو نَنْصَحْهَا تْشُوفْ طْبِيبْ خِيرْ لِيهَا خَاطَرْشْ الصَّحَة مَمْعَاهَشْ اللَّعْبْ والحَفَّافَاتْ الّي تَخْدَمْ فِيهْ رَاهُمْ ايبَزْنْسُو بِيكُمْ

حديثنا الحميمي أفضى لعدة معاني ومدلولات لفعل التجميل في فضاءات الحلاقة التي باتت تعرف تغيرا كبيراً فمن الحلاقة والتزيين المبني على مستحضرات التجميل وتصفيف الشعر انخرطت الكثيرات في عالم **التقنية** المتحكمة في الجسد بالتعديل والتحسين الذي ترى الممارسات قبل الزبونات أنها تجاوز محفوف بالمخاطر، وتعتبره فعل طبي يحتاج لخبيرة تجيد قراءة الجسد بيولوجيا، فلقد اخبرتنا البعض ممن قابلناهن أن هذا الامر يعد تجاوزا باعتراف مجتمعي تدعمه الأنثى المنخرطة دون أدني اعتبار أو توجس. ونعتبره نحن مؤشر حقيقي على زيادة الافتنان بالجسد والإقبال على خدمته وقولبته بكل الآليات وفي مختلف الفضاءات. فإن ما وقفنا عليه ليس مجرد فعل قابل للملاحظة بل ممارسة مثقلة بالرموز حاملة للمعنى، تقبع ضمن شبكة دلالية تعيد إنتاجها الأنثى حسب ثقافتها المحلية كمحاولة للتوافق مع معايير المجتمع وتمثلاته المفروضة اجتماعيا.

2.1. مراكز التجميل والعناية الجسدية التحرر والخضوع

لقد انتشرت بين النساء مفاهيم الجمال "**الجاذبية، الذوق، المظهر**" كلها مفاهيم مرادفة للجمال تُنم عن شغف كبير بعالم الجمال والتجميل وعن تنامي كبير في الإقبال على الممارسات الخاصة بالعناية الجسدية، تعيد من خلالها الانثى رسم العلاقة مع الجسد وتعتبرها تأشيرتها للعبور إلى عالم الانوثة والجمال على حد تعبير **غلام علي حداد عادل ... "امتد فيها فن الانوثة على مد البصر"**[1] وأصبحت بذلك القبلة الأولى التي تمنحها المكانة بما توفره من أساليب عناية جسدية متطورة وبأحدث التقنيات في

[1] غلام على حداد عادل، تر: عبد الرحم العلوي، **ثقافة العري او عري الثقافة**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص19

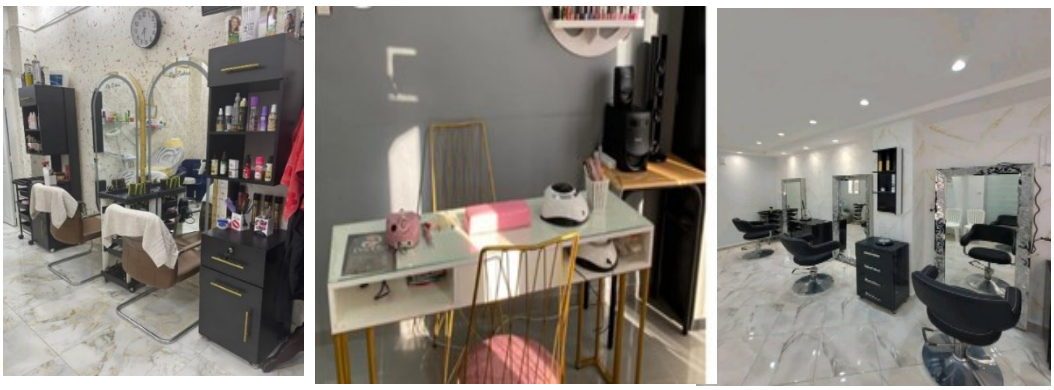
عالم التجميل وصناعة الذوق الجمالي مالكاتها نساء يسهرن على خدمة الأنثى بتفاني دون كلل أو تعب يُقَدِّرْنَ رغباتها ويعرفن جيدا احتياجاتها النفسية والجمالية من دون أن تطلب أو تبوح. بل وتوجه ذوقها الجمالي حسب ما يناسبها عند كل حضور وذلك مبتغاها الذي أُوجدت لأجله. حيث أن تلك الفضاءات التي زرناها وأقمنا بها طيلة عمر البحث أنثوية بالكامل سواء كانت **مُمَارِسَة (مالكة)** أو **مُمَارَسْ عَلَيْهَا (زبونة)** أما المالكات القائمات على كل الممارسات والمشرفات على كل العمليات إما متحصلات على **شهادات** من " **التكوين المهني**" تؤهلهم لمزاولة المهنة، أو يتجاوز مستواهم التعليم **الجامعي** بمختلف التخصصات **(قانون، أدب عربي، انجليزية...)** أو ممن تركن العمل للتفرغ لشغفهن في الحلاقة والتجميل **(محاميات، معلمات، ممرضات...)** من مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية كما أخبرتنا بذلك إحدى المبحوثات (صاحبة مركز تجميل باتنة):

أَنَا كُنْتْ نَخْدَمْ مُحَامِيَة وَمْبَعْدَ دَرْتْ فُورْمَاسْيُو فِي التَّجْمِيلْ وَفْتَحْتْ الْمَرْكَزْ تَّاعِي خَاصْ بَالتَّجْمِيلْ بِدُونْ جِرَاحَة وْرَانِي نَاجْحَه مْتَّتْخَيْلِيشْ خِيرْ مَنْ قْبَلْ وَالّي نَخْدَمَّلْهَا ثْوَلّيلِي

الملاحظ أن أنثى بحثنا انخرطت في لعبة التجميل وأقبلت عليها **كمهنة وفن** بكل حرية. وأن هذا الانخراط يعبر عن رغبتها في إرضاء ذاتها وخدمة الانثى، ووسيلتها للظهور ولغة تفاوض حولت الجسد الأنثوي إلى فضاء لإنتاج المعنى يستقطب إليه النساء من كل الفئات والأعمار تُقبل عليها **فُرادة وجماعة** بحثاً عن راحتهن النفسية ورغبتهن في تحقيق حُلمهن في امتلاك جسد جميل فاتن ما زاد من انتشارها وتخصيص خدماتها بل وحتى تنوع تسمياتها المختلفة المشار إليها آنفا. فالممارسات متحصلات على عدة شهادات وتكوينات تؤهلهن لممارسة المهنة كما أخبرنني البعض ممن قابلناهن وتحاورنا معهن أنهن تَكَوَّنَ في مجال التجميل على يد ممارسين وخبراء محليين ودوليين، من خلال الدورات التكوينية التي سمحتن لهن بمزاولة التجميل العصري أو ما يُعرف بالطب التكميلي ومنحتهن شهادات تتزين بها مكاتبهن. أقول عمداَ **تزينت بالشهادات مكاتبهن** لنُبين أن الوضع تغير فلقد أصبح الفضاء يحتوي على مكتب مخصص للقاء الحالات **(زبونات)** بالإضافة إلى غرف مخصصة لكل جلسة تجميل" فمن خلال دخولنا وخروجنا عليها أحصينا العديد من المراكز المختصة منها من تخصصت في خدماتها التجميلية حتى باتت تعرف بها. فلقد تخصصت الخدمات بعدم جُزِءَ الجسد والفعل التجميلي الى وحدات مركبة وجُعل لكل واحدة منها خدمات مُخَصَّصَة لكل عضو من أعضائه لينسجم ويتوافق مع موضة الجمال. ونعني بذلك أن تطور تقنيات العناية الجسدية أحدث ثورة كبيرة في عالم الجمال و فتح شهية الأنثى

لتكثيف العناية بجسدها عضواً بعضو في فضاءات مخصصة لذلك عرفت بـ: " تركيب رموش**Extention De Cil** " " تركيب أظافر**Onglerie**..." "البيرسينغ **Piercing** " وغيرها من الخدمات التي لا تستثني أي عضو في الجسد من الاعتناء، وساهمت بذلك في خلق سوق جديد للاستثمار أكثر انفتاح على عوالم الجسد وأصبح لكل جزء زاوية وركن للاعتناء به أو فضاء مستقل تقصده الأنثى عند الحاجة وتدريجياً توضَّحت معالم **مِهَنٍ جديدة** " ترافق اهتمامات النساء وتطلعاتهم" **خبيرة، طبيبة** وتَحِيدُ عن مسمى " **الحَفَّافَة، المُزَيِّنَة المُصَفِّفَة** " رسمت معالمها معاهد التجميل والمؤسسات التي تُقدم مختلف التكوينات خاصة الأجنبية منها التي وَجدت في الجزائر أرضاً خصبة للاستثمار وفتحت سوقاً لا توصد أبوابها، بل تُلقي بظلالها على كل المجتمع الذي زاد اقباله على مختلف عمليات التجميل " **التجميل بدون جراحة ويسير مُتخفيا شاقا طريقه الى ما يعرف بالجراحة التجميلية**" ليس كفعل تطبيبي وانما كمتعة شخصية وضرورة اجتماعية بل وهيمنة تلبس ثوب التقدم والانفتاح على الذات الانثوية وعلى الآخر. **ولا تهمنا الأرقام** بقدر ما تهمنا **الممارسات**. فما وقفنا عليه مُتشعب حد الاختلاط، فمنها من تمارس كل أنواع العناية الجسدية في فضاء واحد مخصصة لكل نوع إما مكان خاص أو زاوية تصلح لذلك عكس الفضاءات التقليدية التي تشبه المشرحة الجماعية لا تراعى فيها أي خصوصية مثلما يحدث في الحمام الجماعي حيث تتعرى النساء من ثيابهن أو جزء منها وأمام الجميع للوصول إلى النتيجة المرجوة. في حين تتميز الفضاءات الحديثة بالخصوصية وتمجيد الفردانية (غرف منفصلة) فكل فعل تجميلي هو حدث وزاوية خاصة. ماعدا قاعات الانتظار التي تجتمع فيهن النسوة يتشاركن تجاربهن كما تبينه الصورة:

الصورة رقم 5: ديكورات حسب نوع الخدمات التجميلية (حلاقة، مكياج، أظافر)



لقد أصبحت الفضاءات الحديثة أكثر رفاهية تحاكي الفضاءات العالمية والعيادات الطبية في تجهيزاتها وأدواتها ومُعداتها حتى أنك تعتقد أنك حقاً في عيادة طبية من خلال شكلها ومعداتها أو من خلال مظهر المختصة ولباسها "**مئزر قفازات، واقي طبي...** " أو من حديث الزبونات حين مناداتهن لها بـ **الطْبِيبَة** التي سمعناها مراراً وتكراراً من أفواه النساء في قاعات الاستقبال وأثناء الممارسات المختلفة وهن يتحدثنا عن خبرتها ومهارتها **كطبيبة**. أما المُعدَّات والأدوات فهي طبية في أدق تجهيزاتها من: "**قفازات قناع طبي، إبر، ضمادات، مخدر، كحول، ملاقط، سرير...**" متعددة الاستعمالات تعطي للمكان حضوراً طبياً بامتياز يبعث على الراحة ويُشجع على الانخراط، تحظر في مجتمع البحث بكثافة وبشكل متباين تزيد وتنقص حسب الحاجة إليها. حيث أصبح الاعتماد عليها أمر ضروري بخدماتها **المعلنة والخفية** التي تتفق **على التشخيص والعلاج** وتشترك فيها مع العيادات الطبية حتى يشتبك عليك الأمر ويختلط عليك التمييز بين العيادة الطبية ومركز التجميل وصالون الحلاقة كما تبينه الصورة التالية:

الصورة رقم 6: معدات وتجهيزات فضاءات التجميل



المُلفت للانتباه أن لغة الحديث والحوار في هذه الفضاءات من نوع خاص، مفردات من صميم الفعل التطبيبي **(الطب)** توحي بأنك داخل قاعة علاج منها "**بروتوكول، علاج، تشخيص، شفاء...**" وهي لغة المُعالج مع مرضاه غير أننا في الحقيقة داخل فضاء التجميل، وأن استعمالاتهم لهذه المصطلحات الطبية مجرد لغة **تسويقية** توحي بنجاعة المُمَارَسَات التجميلية وحجة على خبرة المختصات اللواتي أصبحن يتحدث عن " **الكولاجين الهايلوزينك اسيد، فيتامينات...**" وغيرها من المصطلحات الطبية التي لا يعرفن مكوناتها ولا تفاعلاتها البيوطبية، كما أن استخدامها بمختلف مسمياتها واستعمالاتها يعزز الثقة في التقنيات والمُمَارِسات كما تبينه الصورة مما يبعث على الراحة والاقبال عليها. وأياً كان مستوى المُمارسَات وخبرتهن فإنها تتطلب فهماً اوما يعرف بـ" **التشخيص والعلاج**" ما يوحي بان الفعل

التجميلي يحمل في طياته "**العلاج، الشفاء والراحة**" ويبدوا ذلك من خلال استخدامها لمختلف المعدات الطبية "إبرالحقن، الملاقط، الواقي الطبي،..الخ" كما يظهر في الصورة:

الصورة رقم 7: الوسائل الطبية في صالونات الحلاقة ومراكز التجميل



المظهر العام لهذه المراكز فلقد أصبحت تُنافس العيادات الطبية باستخدام مختلف التقنيات والأجهزة الطبية التي سبق ذكرها والحديث عنها في طيات ذا العمل. يتم استخدامها لعدة أغراض تجميلية " توريد الشفاه**BB LIPS**، نزع الوشم **Dé tatouage** تغذية البشرة بالأوكسجين**Oxi Glow** زرع الشعر عن طريق الحقن بالبلازما، نزع الشعر من الجسد بالليزر وحتى تبييض الاسنان... وغيرها من عمليات الحفر والتنقيب باستخدام الأجهزة الدقيقة والتقنيات المتطورة التي تتطلب الحذر في استعمالها والتعقيم المستمر لتفادي انتقال الامراض والفيروسات.

إن هذا الانفتاح والتحول الذي تزامن مع ثورة الاعلام زاد من إقبال النساء من كل الأعمار والمناطق الجغرافية والمستويات على مراكز التجميل لبلوغ الجسد العصري المُعاد تشكيله بفضل التقنيات المتطورة المستخدمة في هذه الفضاءات التي اقتلعت الأنثى من قيمها التقليدية وغرستها في حقل جديد انعكس على شكلها، فظهر نمط جديد من النساء **بشفاه** منتفخة مملوءة **بالفيلر** ملونة بأحمر شفاه قاني وبارز، ووجه مشدود من دون أدنى علامات التقدم في العمر قد حُقن بإبر النظارة **والبوتوكس** ومؤخرة مملوءة ومشدودة نُحتت لتتوافق مع قياسات محسوبة وبأحدث التقنيات، وغيرها من الممارسات التي تحكمت في تفاصيل الجسد وأخضعته ليصبح أكثر انفتاحاً وقبولاً. فتكشَّف الجسد وبرزت الأنوثة صارخة خادشه للحياء العام. وأصبح يُنظر للجمال بنظرة الغرب الذي اختزله في جسم ومعالم، والجسم يجب أن **يَسْتَهْلِك ويُسْتَهْلَكَ**... فذبحوها في مسلخ المال [1] خلال سعيها في رحلة البحث عن الجمال وهي ترقب الوجوه والاجساد" **ممثلات وعارضات أزياء، مذيعات، مؤثرات...**" وغيرهن من القوالب الجاهزة التي

[1] غلام على حداد عادل، **مرجع سابق**، ص39

تتماهى معها لتُغير وتُعدل، تَزيد وتُنقص كلوحة زيتية يتحكم فيها صانعها. في غياب تام للرقابة لهذه الممارسات المحفوفة بالمخاطر جراء استخدام بعض المعدات والأدوات الطبية "**التخدير، الحقن...**" حيث يُحذر الأطباء والمختصين من هذه التجاوزات الخطيرة والممارسات التي تجلب الكثير من الأضرار.

لقد وقفنا دون مبالغة على عدة تجاوزات في الميدان نتيجة استخدام مواد التجميل بطريقة خاطئة و/أو بكميات غير مدروسة من زيارات متكرة **للعيادة الطبية** التي شملها بحثنا ، حيث وقفنا على حالات لنساء يُعانين من "**ألام وانتفاخات وتورمات**" جرَّاء خضوعهن لبعض عمليات التجميل في هذه الفضاءات مما وجَّه مُؤشر البحث إلى التَّمحيص في هذا الجانب الهام من البحث، حيث وجدنا أن بعض الفضاءات لا تكتفي بالتجميل والحلاقة بل تتعداه إلى العلاج " **العقم، النحافة، تشحم الكبد، الغدة الدرقية، قياس نسبة السكر، تضييق المهبل تصغير الانف والشفاه تبييض الاسنان ونزع الوشم....**" وغيرها من الممارسات **الطب–تجميلية** إن صح تسميتها بذلك، كما تُروج لنفسها من خلال الإعلانات عبر الاعلام والميديا أو من خلال الزبونات اللواتي ينقلن الخبر بينهن على أنهن معالجات. في حيث تكشَّف لنا أن بعضها يعمد الى العلاج "حسب الشباب، النمش، الشعيرات الدموية قياس السكري وضغط الدم.... الخ) والذي يبدوا واضحا من خلال واجهات محلاتها(**فيترينة**) أو بعدما اطلعنا على خدماتها من خلال إعلاناتها على صفحات السوشل ميديا بمختلف وسائطها التي يُقرأ منها الظاهر والخفي فقمنا بعرضها وإخفاء باقي التفاصيل حفضاً لخصوصيتها لأن هدفنا يسعى للتوضيح فقط كما تبينه الصورة رقم 08:

الصورة رقم 8: خدمات فضاءات التجميل والعناية الجسدية



إن الخدمات المقدمة في هذه الفضاءات تجاوزت فعل **العناية** الجسدية والتجميل إلى **العلاجات** المتعددة والمتداخلة باستخدام أجهزة خاصة تقوم بالتحليل العميق لمعطيات الجسم ومواده قبل تبدأ العمل والتي تتطلب الكثير من الفهم والدراية، باعتبارها علاجات مبتكرة وحديثة نابعة من تخصص الطب وموجهة للأطباء يجيدون التعامل مع مختلف المعدات والتجهيزات وعلى اطلاع وفهم هذا الكيان

البيولوجي المعقد " **دورة دموية، فيتامينات، معادن، بشرة، كولاجين، الاحماض الأمنية ...**" والمعرض للإصابة بأي مضاعفات نتيجة خطأ الممارسة أو نقل المرض " **سكري، ضغط، اكتئاب، حب الشباب، الاكزيما**" غير أن الواقع أثبت لنا أن من يمارسن التجميل لا يعلمن عن هذه المعطيات الطبية إلا القليل مما اطلعن عليه على صفحات الانترنت وتعلمناه في دورات التكوين التي خضعوا لها بعيداً عن الفهم الحقيقي للمعنى الطبي المعقد والمتجدد. لكنهن يُقبلون بشراهة على ممارستها وكأنهن أطباء وممارسون أكفاء خاصة ما تعلق بتجميل الوجه " **فيلر، بوتوكس ميكروبليدينغ، ميكروبيلينغ، تقشير... الخ**" او الجسد " **تكبير المؤخرة والثديين، التنحيف...الخ**" التي تعرف إقبالاً ورواجاً كبيرا بين النساء. مما كثف المراقبة في المدينة على هذه المراكز. حيث شهدت في سنة **2024/2023** ثورة حقيقية في مجال المتابعة والمراقبة من الجهات الوصية " **مديرية التجارة، مديرية الصحة، الامن...**" تلتها حملة إيقاف وغلق للمتجاوزين حقوق المهنة والممارسة كما أخبرتنا مبحوثاتنا (مُمَارِسَة باتنة):

"الدُولَة تْوَلْهَت بِينَا ومَنْعَت البْرُودوِي تَّاعْ الخَارَجْ وشَدَّتْ عْلَى النّظَافَة تَاعْ المَتْرْيَّالْ"

وأخبرتنا إحدى المالكات لمركز التجميل والعناية الجسدية قائلة:

"كَثْرُوا المَرَاكَزْ وَلْحَفَّفَاتْ الّي فَزْدُوا عْلِينَا الدُّمَانْ وْذُرْكْ الدُولَة مَنْعَتْ بَزَّافْ احْوَايَج بْسَبْتْ الحَفَّافَات الّي ادَّيرْ دَوْرَة تْاعْ نْهَارِينْ تَشْرِي مَتَرْيَالْ تْقُلَّكْ أَنَا خَبِيرَة تَجْمِيلْ ""

غير أنا الزبونات لهن قول آخر يتجسد في تصريح احداهن (المقابلة رقم 35):

"عَنْدَهَا الْحَق الدُولة كِي اتْوَلْهَتْ بِيهُم خَاطَرْ وَلاَت سُوقْ وْتَخْلاَطْ يَخْدْمُوا فِي خَدْمَة خَطْيَتْهُم وْكِي تَصِرَالَكْ حَاجَة اتَّفْرَت فِيكْ أَمَّالاَ مْلِيحْ تَقْفَلْهُمْ كَامَلْ يَخْدْمُوا لَحْفَافَة كِيمَا كَانُوا بَكْرِي وَيْخَلُوا التَّجْمِيلْ والْعِلاَجْ لَطُّبَة يَخْدْمُو خَدْمَتْهُمْ "

إن تكثيف المراقبة على هذه المراكز والفضاءات للحد من تلك التجاوزات المُضرَّة بالصحة العامة والمُسببة للكثير من المشاكل الصحية نتيجة الممارسات الغير آمنة. ولقد أفضت تلك المراقبة كما أخبرتنا المبحوثات إلى فرض غرامات لمن يتجاوزن تلك اللوائح والقوانين أو توقيف نشاطاتها. إلا أن الخوض في حيثيات المراقبة ليس مجال اهتمامنا وما يهمنا أن مهنة الحلاقة والتجميل أصبحت مثل السوق تجلب المستثمرين إليها من مختلف التخصصات مما يتطلب مراقبتها للحد من أخطارها. فرغم سعى المشرع الجزائري الى تنظيم هذه المهنة وغيرها من المهن المتعلقة بقطاع الصحة من خلال تحديد صفات الأشخاص المخول لهم ممارسة النشاطات المتعلقة بالطب الإنساني والصيدلاني والشبه صيدلاني. ألا

ان المشهد العام ما يزال يشهد انتشارا واسعا للكثير من في هذه الفضاءات وسطوها على الذوق العام في حياة الأنثى والمجتمع المبحوث.

3.1. عيادات الطب التجميلي الترسيخ وإعادة التشكيل

تعتبر عيادات الطب التجميلي من بين الفضاءات المهمة التي تعتني بالجسد الأنثوي وتبرز جماله وتديم صحته من خلال خدماتها التي يسهر عليها أطباء ذوي خبرة علمية وكفاءة في مجال الصحية الطب التجميلي، ففي الغالب مالكاتها هن مختصات في الطب وتخصصن إما في الأمراض الجلدية أو في التجميل ونزع الشعر مثلما هو حالة العيادة التي اشتغلنا معها، فهي درست الطب بالجزائر لسنوات لتنتقل الى الخارج وتنقل لمجتمعها الهبرة في التعامل مع الجسد الذين درسوا الطب في المعاهد والجامعات لسنوات ليتخرجوا بشهادات أكاديمية تسمح لهن مزاولة مهنة الطب في اختصاص التجميل. وهن لا يتوقفن عن التكوين والبحث في هذا المجال المتطور والمتجدد على الدوام. وفي مجال بحثنا أجرينا مقابلات مع أربع 04 مختصات في التجميل على أنهن طبيبات أوصلتنا إليهن المخبرتنا اللتان تعملان في مجال التسويق وتعرفان جيداً خبايا التجميل في مدينة باتنة، حيث أوصلتنا اليها واختصرت علينا الوقت والجهد. كما استقبلتنا أصحابها وأبدت استعدادهن لمساعدتنا وكانت هذه الخطوة بمثابة استطلاع للميدان، غير أننا اكتشفنا منذ الوهلة الأولى أن هذه العيادات مجرد فضاءات للتجميل لا علاقة لها بالطب إلا التسمية التجارية "خبيرة تجميل، عيادة التجميل ..." أو ما تكونت فيه الخبيرة من دورات تدريبية على يد مختصين داخل الجزائر وخارجها كما بينته لنا شهاداتهم التي فصلت في الموضوع ولم يُسمح لنا بأخذ صور عنها وادراجها في متن البحث. غير أنهن حاولنا اقناعنا أنهن خبيرات وطبيبات وأن التجميل عمل فني وتجميلي أكثر منه طبي الا إذا كانت الحالة **مرضية** او مصابة بتشوهات تتطلب تدخل طبي أو المعالج مثلما صرحت لنا احداهن قائلة (مركز تجميل باتنة):

مَكَانْ حَتَّى فَرْقْ بِينّا وْبِينْ اطْبِيبْ نَخْدْمُو بْنَفْسْ لْمَتَّرْيَالْ

والصَّح التَّجْمِلْ خَذْمَتْنَا احْنَا لْحَفَّافَاتْ وَالطْبِيبْ خَدْمْتُوا

العِلاَجْ وَشَ ادّضاهْ لَتَّجْمِيلْ بْقَالُو غِيرْ التْسَشْوِير وتَكْمَل

ولما كان عملنا الحقلي يتطلب عيادات طبية ممن تمارس التجميل والجراحة التجميلية قررنا التخلي عن خبيرات التجميل الأربعة 04 لأنهن لا يخدمنا غرضنا البحثي المستند على **طبيبات التجميل** التي تخدم بحثنا لنصرف للبحث عن طبيبة مختصة وبعد سنتين من التنقل والبحث عثرنا على طبيبة

مختصة في الجراحة التجميلية درست لسنوات الطب التجميلي خارج الجزائر وعادت للوطن لتقدم خدماتها وخبرتها لبنات جنسها وولايتها لأنها رأت الكثير من التجاوزات في المجال التجميلي من خلال الحالات التي كانت تزورها بعدما خضعت للتجميل في مراكز العناية الجسدية كما اخبرتنا مبحوتنا (طبيبة) أن الحالات التي تأتيها أحيانا تتطلب منها تدخل دوائي لمنع تفاقم الحالة:

اتْجِينَا لَلْعِياةَ يَوْمِياَ نِسَاءْ وْبَنَاتْ فِي حَالَة مَنْ التَجَاوُزَاتْ فِي اسَتِعَمَالْ

ًمَوَّادْ التَّجْمِيلْ مَنْ الْتْهَابَاتْ وحُرُوقْ نَتِيجَةْ تَقْشِيرْ الوَجْه وقَلَقْ مَنْ

تَشَوُهَاتْ مِنْ حَقْنْ البُتُوكِسْ والْفيلَرْ وَنَزْعْ الشَّعْرَوَغَيْرْهَا مِنْ الحَالاتْ التِي

تَتطَلَّبْ تَدَخُلْ دَوَائِي وبْرُتُوكُولْ عِلاَجِي يَدُوم أيَّام وشُهُور وقَد يَتْرُك تَشَوُّهَاتْ

أما عن الخدمات التجميلية التي تقوم بها الطبيبة في عيادتها فإنها تتطلب **التشخيص** الدقيق المستند على عدة فحوصات طبية قبل بدأ كل عملية للتأكد أولا من الصحة والسلامة من الأمراض التي قد تسبب مضاعفات، وبعد التأكد من السلامة والخلو من الأمراض يأتي دور الفحوصات لمعرفة سبب تلك العلامات التي تظهر على الجسد"**شعر، حبوب، ترهل...**" وأن هذا التشخيص الدقيق للفصل ما بين المرض الذي يتطلب التدخل الدوائي وما بين التجميل الذي يتطلب عدة جلسات تجميل. فالطبيبة تعرف جيدا متى وكيف تستخدم كل تقنية ومادة وذلك الذي أطلعتنا عليه طبيبتنا المختصة في التجميل عن التجاوزات في استخدام محلول **التخدير** خاصة **الذي ينتشر في هذه الفضاءات** للتقليل من الألآم اثناء العمل ويستخدم من دون تخصص طبي بالمقارنة مع استخدام الطبيبة له، فهي جيداُ أي نوع تختار ومالكميات المناسبة التي تحقنها بما يتناسب وطبيعة العضو المراد تجميله. وغيرها من المفاهيم الطبية التي تجعل من عملية التجميل آمنة وذات فائدة للجسد وللصحة العامة. وان تكوينها الطبي يخول لها القيام بأنواع من التجميل **الجراحي غير الجراحي** سواء لحل مشكل يتعلق بإعاقة أو تشوه خلقي نتيجة تعرض لحادث مما يستدعي التدخل الجراحي أو لأنها غير راضية على شكل أحد الأعضاء مما يتطلب التدخل التجميلي من خلال تقويم العضو وتعديله بما يتناسب وشكلها. حيث مُنعنا من أخذ أي الصور خلال الجلسات التي حضرناها فالطبيبة تعتبرها انتهاك لحرمة الجسد وملكيته لذلك اكتفينا بالحديث عن مجمل الممارسات لأجل المقارنة. حيث خلصنا الى أن عيادات التجميل فضاءات طبية بامتياز روادها "زبونات" من الفئات المثقفة التي تعرف جيدا خطورة ممارسات التجميل من طرف غير الأطباء على

المدى البعيد لكن هن قلائل مقارنة برواد فضاءات التجميل إلا من دعتهن الحاجة الصحية لذلك. ويبقى التجميل الطبي آمن ويتطلب وعيا كبيرا من الانثى التي غاب فهمها لحفظ سلامتها.

نصل في الأخير إلى أن الإنصات للأنثى في مدينة باتنة وهي تتحدث عن جسدها وآليات العناية به في فضاءات صناعة الجمال والذوق الجمالي حديث متشعب، تتشابك في المفاهيم والدلالات ما بين الرعاية، التدبير، البناء وإعادة التشكيل. الرغبة والخيفة والانسلاخ وتتنوع الخدمات بتنوع الفضاءات المتنافسة في خدمتها " **صالونات الحلاقة والتجميل ، مراكز التجميل، عيادات الطب التجميلي...**" تتفق جميعها على أن خدمة الجسد وبروز جماله هدفها الأسمى سواء كان **تجميل جراحي** يقوم به **طبيب مختص** في الطب التجميلي أو تجميل **غير جراحي** يتم على يد ممارسات لفن الحلاقة والتجميل من تحسين وتقويم ممن أسمين انفسهن" **خبيرات تجميل** " وهن في الواقع **حَلاَّقَاتْ– حَفَّافَاتْ** متمرسات في الحلاقة وتصفيف الشعر ووضع كل مستحضرات التجميل التي اكتسبن مهاراتها من خلال تكوينات متخصصة في التجميل خضعن لها، وأن هذه التكوينات المتعددة مكنتهن من **إتقان استعمالها** أقول **استعمال** فقط هذه الأجهزة التجميلية غير أنها لم تمكنهن من **التشخيص** الطبي الذي يتطلب تدخل العلمي متخصص في الأساس طبي "**علاجي، تحسيني، تجميلي**" المبني على حسابات وتحليلات دقيقة وما بين الاثنان" **العلاج والتجميل**" خيط رفيع يشغل الأنثى المقبلة على ذاتها والعناية الجسدية ويشغلنا نحن أيضا كباحثين. يُحرك فينا رغبة البحث والتقصي للفهم لهذا التداخل الذي لاحظناه وصرحت به حالات الدراسة من مالكات للفضاءات وزبونات **ومخبرات** وفيات سَهَّلْنا عملنا طيلة هذه السنوات من المشاركة الفعلية والملاحظة والسؤال، لأن الحديث عن صناعة الجمال والذوق الجمالي في فضاءات العناية الجسدية حديث متشعب يتشابك فيه الجمالي بالصحي والنفسي بالسوسيو ثقافي والاقتصادي والديني. مما يطرح الكثير من التساؤلات لكل ما يحدث فيها من ممارسات وطقوس عناية تجميله تقويمه.

إن الرسالة الجديدة لهذه الفضاءات تتماشى مع إعلاء اجتماعي فوق العادة، ففي ظل النظام التقليدي كانت مهجورة اقترنت بالمناسبات والافراح، فلم تكن أسمائهم لامعة ولا أماكنهم مجهزة كما هي عليه الوقت الحالي، ولم يكن عملهم منتشراً عبر الاعلام أو يكتب عنها في صفحات الجرائد وفي قنوات التلفاز. انتقلت تدريجيا إلى حياة الأنثى لتصبح روتينها اليومي ونظام إلزامي يصعب تجاهله أو الخروج عنه.

لقد أضحت الفضاءات ومالكاتها الوجهة المُعترف بها، يُحتفى بأسمائهن وبِتفرد خدماتهن وحداثة فضاءاتهن في وقت أصبح العصر ثرياً بابتكار كلمات مثل "**آخر صيحة** " "**ترند**" التي لها سلطة تكريس الجسد للاستعراض عبر الإعلانات الممولة لزيادة انتشار الخدمات والاقبال عليها، وتدريجياً أصبح الجسد المُتزيّن والمُنمَّق يُعرض **كمودل رقمي حيث** تظهر الأنثى عارضة جسدها في كامل أناقتها بعدما عُدِّلت الملامح أو أثناء جلسات العناية، وهي التي رفضت استغلال صورها للبحث، تناقضات رهيبة بين العرض والتخفي بين المستور والمكشوف. فُحمَّى التجميل زحفت على الجسد وامتلكت عقل الكثيرات من اللواتي قَبِلْنَ بعرض أجسادهن للناظرين كعارضات لمختلف المنتجات والتقنيات التي تُظفي عليهن بريقاً وجمالاً يزد من سحرها تعديلات الخوارزميات المدروسة حيث يصعب معها مقاومة ذلك التأثير السحري، فلم نعد نتحدث عن الفردانية والحرية في العناية بالمظهر والجمال الأنثوي إنما نحن الآن نقف على فردانية وحرية وتملُك من نوع آخر يدفع الأنثى إلى **امتهان** الجسد الذي أصبح سلعة تُباع وتُشترى في سوق الجمال والموضة. تملَّكها عالم الجمال وسحرتها منتجاته المرتسمة على الجسد، وتجلت هيمنة التقنية الرقمية في ظهور نجوم مزيفين ينتهي بريقهم بعد بانتهاء العرض الترويجي لأي منتج أو ممارسة.

4.1. نوادي الرياضة اللياقة البدنية والصورة الجسدية

قاعات الرياضة أو ما يعرف باسم النوادي الرياضية **Salles de sport**أو نادي اللياقة البدنية المتعارف عليه باسم "**الصَّالة**" التي تعني جميعها مكان واحد تُمارس فيه الرياضة بمختلف تدريباتها في مكان يضم مجموعة من النساء على اختلاف أعمارهن ومستوياتهن، كل حسب رغبتها وهدفها بما يوفره الفضاء من معدَّات وتجهيزات تمنح المنتسبات ما يرغبن فيه من تدريبات تبني الجسد وتقومه حفاظاً على الرشاقة والصحة والقوام كما اخبرتنا **احدى المبحوثات(المقابلة رقم36).**

الصَّالَة هِيَ البْلَاصَة الوَحِيدَة كِي نْجِيهَا نَرْتَاحْ وَنْرَيَّحْ نَفْسِيًّا وْجَسدِيًّا

الانخراط في التدريبات حسبهن يمنح الصحة والراحة، وتعتبرها فضاءات حميمة تشاركية للياقة وليونة الأجسام وصحة الانسان، فمعداتها متنوعة ومَرَافِقُهَا صُمِّمَتْ خصيصا لخدمة الجسد. إنها فضاءات جنوسية، ذكورية بامتياز اخترقتها أنثى العصر الحالي، وبرز معها ميل لإشباع رغبتها في مزاولة الرياضة الترفيهية باسم تعديل وتقويم الجسد (سمنة، ترهل) وأحيانا يكون الانخراط فيها رغبة في الانجاب كما اخبرتنا مبحوثتنا:

" قَاتْلِي الطْبِيبَة دِيرِي السْبُورْ بَاهْ تَتْنَحَّالَكْ الشَحْمَة وتْهَزّي لْكَرْشْ "

الحوارات التي أجريناها تُنِمُّ عن رغبات ظاهرة وأخرى خفية للانخراط، غير أنها تشترك جميعها في أن الاقبال عليها من أجل الشكل والمظهر، نحته ومنحه القوام المقبول. وبالتالي زاد الاقبال عليها وبات الاستثمار فيها يَعرف ازدهاراً كبيراً من طرف مالكيها الذين هم بالأساس **رجال** وجدوا فيها سوقاً لانتضب، ووجدت فيه الأنثى مساحة آمنة لخدمة الجسد بما توفره تكتُّم وخصوصية تمنحه الرفاهية والراحة من خلال التمارين والحِمية التي يسهر عليها مختصين " **كوتش، مختصة تغذية، مختصة نفسية**" على رغم أنها فضاءات ذكورية إلا أن التقسيم الجندري واضح فيها من خلال تخصيص أيام للذكور وأخرى للإناث في أوقات يُمنع فيها اختراق الفضاء من الجنسين سمة المجتمع **شاوي** والجزائري عامة كما يتردد في الأغاني والامثال الشعبية على أن الجمال يعني الجسد الذي تتجسد فيه معاني الحرمة والنيف وتدافع عن الشرف والروابط القرابية وتحفظ القيم الاجتماعية.

ففي هذه الفضاءات يتجسد فعل التشارك للاهتمامات وللرغبات والمشاعر وما تمنحه تلك الممارسات والتدريبات في هذه النوادي من فرصة تنسج من خلالها شبكة من العلاقات الاجتماعية. فهن يتشاركن فيها الاهتمامات الجسدية والاجتماعية والثقافية رغم المقاومة من المجتمع لهذه الفضاءات إلا أن المُقْبِلَاتْ عليها والمُنْخَرِطَاتُ فيها يزداد عددهن يوما بعد يوم، رغم أنه لايزال الحضور والانصراف عند بعضهن محاط بالسرية التامة عن المعارف وأحياناً عن الأهل والعائلة. حيث تبين لنا أن منهن من يحضرن بعلم أهلهن ومنهن الكثيرات من يتكتمن خوفاً من الرفض والمقاومة "الاسرة والمجتمع" مما يدل على أن هذه الأماكن ما تزال غير مُعترف بها رغم انتشارها، مقاومة للتحرر، خاضعة لأحكام وسلطة القيم والأعراف في حكمها على المرأة الشريفة.

مُسْتَحِيلْ نْخَبَرْ دَارْنَا بَلِّي نْدِيرْ سْبُورْ يَقْتَلُونِي حَتَّى يَالْكَانْ ايْكُونْ

الطْبِيبْ الِّي بْعَثْنِي خَاطَرْشْ يَحْسْبُوهَا عِيبْ كِي عَادْ يَّخْلُهَا لُولَادْ

مِي أَنَا نْرُوحْ بَدَّرْقَهكِي نْرُحْ لَلْجَمِيعَه بَصَّحَ لُوكَانْ ايْفِيقُو يْبَطْلُونِي

لقد أفضت المقابلات التي أجريناها في نوادي الرياضة (02) شدة المقاومة المجتمعية التي يُبديها المجتمع على دخول وانخراط الأنثى في هذه النوادي المتعارف عليها أنها ذكورية، فكما يتضح لنا أنها ممزوجة بمفاهيم "**الشرف، الحياء**" مما يُشعر الأنثى بالخوف ويجعلها محل مُتابعة من الآخرين. غير أن الأنثى تتحدى الأحكام والنظرة السلبية لتُرضي ذاتها باسم حرية التحكم في الجسد وملكيته التي تمحنها الشرعية والسُلطة في تدبيره كما تريد وأينما تشاء ووقت ما تشاء. سعياً حثيثاً لامتلاك ذلك الجسد المثالي

ولن تصل إلى ذلك حسبها إلا إذا انخرطت في هذه النوادي التي توفر المزيد من التدريبات والمعلومات عن الغذاء، العناية والحركة...الخ والمزيد من الراحة والاستمتاع بالأنشطة. فالتمارين والتدريبات هامة جدا للياقة البدنية والصحة الجيدة ، فحسبهن تُقلل من خطورة الإصابة بأمراض القلب والسرطان وارتفاع ضغط الدم والسكر وأمراض أخرى، كما أنها تُساعد على بقاء الجسد في حالة جيدة بحيث لا تظهر التجاعيد مبكراً، كما تمنحه القدرة على الصبر والتحمل عند ممارسة الرياضة فيبدأ الجسم في استهلاك الطاقة الموجودة به مما يقلل الشحوم ويساعد على الشفاء من الأمراض وعند بعضهن حدوث الحمل.

ليس اللباس وحده من يعطي القيمة للجسد، وإنما العناية بهذا الأخير من يحفظ ديمومته وسط المتضادات، فالرياضة طريقة أخرى لصيانة الجسد، أقبلت عليها أنثى العصر الراهن بشغف كبير فهي تعد حكراً على الرجال إنما دُعيت إليها النساء من مختلف الأعمار والطبقات مُنخرطات في تدريباتها المُنافسة لتقنيات التجميل وممارسات العناية الجسدية. فزاد الطلب على قاعاتها ونواديها بين النساء دون تمييز للعمر والانتماء الجغرافي، فلكل واحدة قصة وراء الانخراط حسب ما توصّلنا إليها من خلال المقابلات التي جمعتنا بهن، فما بين السعي للصحة واستعادة العافية رغبة تتفتح نحو بلوغ الجمال وما بين السعي لتحسين المظهر سعي للظهور بأحسن قوام يتغذى من النظرة المشتركة ، حيث تجد كل واحدة منهن فيها منافسة شديدة أيهما الأجمل ويحدث مالم يُحسب له منذ البداية، حيث تتحول رغبة الانخراط في الاعتناء بالذات امتحان يبحث على الاعتراف من الآخر، فالكل يرقب بعضه ويُقَيِّمُه من خلال الحديث الجانبي بينهن أثناء التدريبات وبعدها " **ثْبدَّلْتِ، ثْغَيَّرتِ، اخْرجْ عليك السْبُور**..." وأصبحت بذلك مدرسة ثانية لترويض الجسد تلعب تدريباتها المدروسة دوراً كبيراً في الاقبال، الاستمرار و/أو الانسحاب خصصت لها وقتاً يتطلب الالتزام للحفاظ على قوامها وبعث اشراقة جمالها تماماً كما تفعله مستحضرات التجميل وتقنيات التعديل والتقويم لما لها من تأثير في تحسين المظهر والصحة عامة، ولبَّت بذلك فضول الأنثى لتصبح وجهتهن المفضلة بعد كل تعب وإجهاد:

كِي فْتَحْنَا كَانْ الْعَدَدْ تَاعْ النْسَاء قْلِيلْ وَالّي تَرْبَّاح وَلاَّ تُولَدْ مَتَرْجَعْشْ

بَصَّحْ ذُرْ كَ الحَمْدُ لله عَنْدْنَا شْحَالْ مَنْ قْرُوبْ بَعْدْ مَافَهْمَتْ المْرَأة بَلّي

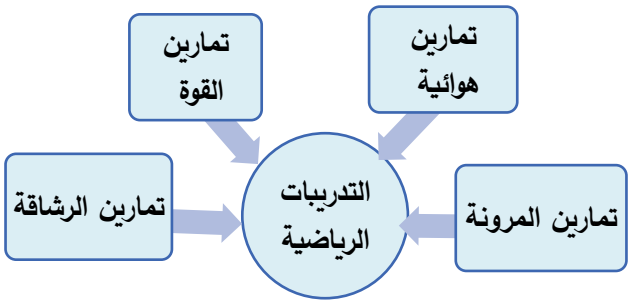
ألْسبُورْ لاَزَمْ لَصَّحَة ولَلْجَسْمْ تْعَلْمَكْ الْكُوتْشْ كِيفَاشْ تَتْهَلاَيْ فِي كُلْ

بْلاَصَة فِيه وْبَاشْوِيَّة تْوَلّي مُدْمِنَة كِيفِي وْمَتْحَبْسِشْ خَاطَرْكِي تَتْلاَقَايْ

بَالنْسَاء أدّيرِي الْقَلْبْ وبَاهْ تَبْقَايْ مْحَافْظَةعْلَى الشّكْلْ ولْمِيزَانْ الّي وْصَلْتيهْ

ما توصلنا إليه مهم ويحتاج لدراسات مستقلة عن الدور الذي تلعبه فضاءات الرياضة في حياة الأنثى الاجتماعية بعيدا عن علاقتها بالشكل والمظهر، فلقد تجاوزت الفعل التحسيني الذي يبحث عن المظهر الجميل من خلال مختلف التمارين الفردية والجماعية، إلى جلسات للترويح عن النفس من خلال تلك الايقاعات والاغاني المصاحبة (زومبا) والتي في بعض المرات تكون بمثابة عرس جماعي يحضر فيه الرقص وتعلو الزغاريد في جو حميمي والآمن يعلو فيه صوت الموسيقي داخل أسوار عالية مغلقة لا تسمح بالرؤية ولا الانفتاح على العالم الخارجي، أنثوية بامتياز شقت طريقها سريعاً الى جمهور أوسع لا تفرق بين الكبير والصغير العليل والمريض، المتعلم والجاهل، حتى باتت تعرف بالجيم **gym** تعيد صياغة خبرات اللذة والمتعة والتباهي بالجسد من خلال اللباس الرياضي الذي يشد على تفاصيل الجسد فيبرزه ويمنحه القوام والبهاء الذي تراه في عيون الحاضرات وكلماتهمن. وهي بذلك تنظيم من نوع خاص غير معلن أفضت به المقابلات كونها لا تمنح الجمال فقط وانما أصبحت مكان للتنفيس الانفعالي وتبادل الخبرات بينهن، تدلي بمكنوناتها وتتحدث عن ألامهن، وتكتسب أحياناً أخرى المهارات في إدارة حياتها وحل بعض مشاكلها، بل أن هذا الأمر شجَّع بعض النوادي الرياضية على الاستعانة بمختصين التغذية وعلم النفس في الميدان. حيث تسمح لها الجلسات مع المختصين من تعلم التغذية السليمة لتصل الى تقبل الذات وتعطي التدريبات نتائجها المُرتسمة على المظهر والشكل. وعليه فان عملية بناء الذات لا تنفصل عن بناء الجسد المنسجم مع الإيقاع والحركة كما يبينه الشكل التالي:

الشكل رقم 8: أنواع التدريبات الرياضية في نوادي الرياضة النسائية.



إن هذا الانتشار لفضاءات الرياضة النسوية أوجد **سوقاً** ثرية للاستثمار في الجسد الأنثوي وازدهرت معها تجارة الجسد المرتكز على الرياضة " **الزومبا، الفتنس، ايروبيك** ..." رياضات السعادة كما تسميها الكثيرات، حيث تحتل الصدارة في خدمة الجسد وتحصيل اللياقة البدنية والصحية حتى أضحى الاقبال عليها من أولويات الأنثى وما تمنحه لها من امتيازات:

أ- **الرياضة والجمال الأنثوي:** لا تقتصر أهمية الرياضة على الصحة الجسدية والنفسية فحسب بل تؤثر على جمال المرأة وتمنحها الشباب والحيوية، حيث ترى **الكوتش** التي قابلناها أنها تزيد من جمال البشرة وتعيد لها نضارتها خصوصا تمارين **الكارديو**. فحسبها لا يمكن تخيل أهمية الرياضة لصحة المرأة الجمالية إلا إذا انخرطنا في تلك النوادي ومارسنا تلك التدريبات التي تمنح الأنثى اللياقة والرشاقة كما تُحارب التجاعيد وعلامات الشيخوخة والتقدم في العمر.

ب- **الرياضة والصحة الجسدية:** للرياضة تأثير كبير على صحة الأنثى، حيث أنها لا تمنحها رتوين خاص فحسب بل تحيي الجسد وتُكسبه الصحة كما بينت لنا **الكوتش** أن ممارسة التمارين الرياضية بانتظام تساعد على تحسين الدورة الدموية مما يساعد على تدفق الأكسجين والعناصر الغذائية إلى جميع أجزاء الجسم بما فيها البشرة. وبالتالي تزيد من نضارة الوجه وتمنح الأنثى مظهرًا صحيًا مشرقًا. كما تُحفز إنتاج الكولاجين والبروتين المسؤول عن تجدد الخلايا مما يُبطئ ظهور التجاعيد وعلامات التقدم في السن. وعليه فان هذه التدريبات ليست نشاطاً ممتعًا فحسب، بل برنامج صحي ممكن أن يتماشى مع البرامج العلاجية الدوائية (بإذن الطبيب) "**فقدان الوزن، تقوية العضلات...**" وبالتالي فان ممارسة التدريبات بانتظام يقلل من الإصابة بأمراض "**السمنة**" فمن خلال امتداد الأنسجة والتعرق الذي يغذي الدم ويحسن الدورة الدموية (الوقاية من الامراض) حيث أن ممارسة الرياضة لمدة أربع04 ساعات على الأقل في الأسبوع يقلل من الإصابة بسرطان الثدي حسب **الكوتش** التي قابلناها في احدى نوادي الرياضة التي تشرف عليها منذ سنوات. وحسبها الرياضة لها فوائد كبيرة في مرحلة انقطاع الطمث أيضاً. كما تعمل على تعزيز قوة العظام خاصة للنساء اللواتي يدخلن سن اليأس. وفي الحقيقة أن علاقة الرياضة بالصحة يطول الحديث عنها وما يهمنا في بحثنا ما تمنحه للجسد من جمال عبر مختلف التدريبات التي لم نستطع توثيقها واستعننا ببعض الصور من الانترنت لتبيان ذلك حسب ما يظهر في الصورة:

الصورة رقم 9: التدريبات الرياضية في نوادي اللياقة البدنية.



إن ممارسة الرياضة تجربة فريدة من نوعها بالنسبة للأنثى تختبر ذاتها من خلالها وترى كيف يمكن أن تكون وترى أكثر كيف أراد لها الأخرون أن تكون "**إكراه مزدوج**" يسلبها الرغبة في التوقف والتصرف بالذوق، كما تُكسبها مفاهيم جديدة حول الجمال وصفاة الأنوثة. وذلك الذي وقفنا عليه خلال عملنا الحقلي المشحون بالصعاب خاصة استخدامنا **لآلة التصوير** التي يعتبرها مالكي النوادي الرياضية فعل مُحرم "**ممنوعة**" حيث يُطلب من الجميع وضع الهاتف في كيس مغلق مخصص لذلك قبل الدخول للصالة ويكون استرداده بعد الانتهاء من التدريبات عند الانصراف ورغم الحاحنا باستخدامه لأغراض بحثية ووافقن على تصويرهن وأن الصور تبقى في سرية محفوظة للأغراض البحثية غير أن ذلك لم يشفع لنا وبائت محاولاتنا بالفشل، فلا مجال للجدال فالأمر محسوم قبل البدء، وعليه اكتفينا باستغلال بعض **الصور من الانترنت** أو الصور المرسلة لنا من طرف صاحباتها بعدما أصبحت تربطنا بهت صداقات وأكدن علينا أن استخدامها لغرض التحليل لا النشر. وعليه فلقد تبين لنا أنه رغم الانفتاح والاقبال على الثقافة الرياضية التي أصبحت تبدو كنمط وروتين للأنثى لا يمكن الاستغناء عنها لارتباطها بمفهوم الجمال والأنوثة في مجتمعنا الشاوي (باتنة) وجزء لا يتجزأ من ثقافتها إلا أن المهتمين بها والقائمين عليها يبقونها تابعة لمفاهيم **الشرف والعيب** مما يوجب الحفاظ عليها وسترها وحصرها في مجتمعها الأنثوي بعيداً نظرة الآخر ولو عبر صورة. فهي حقا كسرت كل الحواجز الثقافية وتعالت على الأعراف والعادات وانخرطت في تلك الفضاءات إما **علناً او سراً** للحصول على الجسد المثالي المكتمل الصفات. لكنها تستبطن تلك القيم وتُحافظ عليها. على الرغم من أنها الوجه الحضاري للمدينة وشكل من أشكال التواصل الاجتماعي غير رسمي بما تتيحه اللقاءات من فرصة للتعارف وبناء العلاقات بل وتصبح فسحة مصغرة للحوار والجدل وتبادل الرأي في مسائل وقضايا ذات طابع حميمي. يُكسب الأنثى مهارات جديدة ووعي جديد بالجسد وصيانته حتى باتت بمثابة مركز ثقافي يتناول مختلف القضايا التي تخص حياتها واهتماماتها فهي أشبه بالمرآة العاكسة لحال الثقافة مثلها مثل وسائل التواصل الحديثة ما يعكس تحوّلاً في فهم الجمال والجسد. بعيداً عما كانت ترمي اليه من القوة الجسدية أو المهارات البدنية، فلقد عُدت اليوم باعثاً للجمال ومفجراً للبنية الجذابة "**الجمال الداخلي**"، بغية الحصول على **جسد مثالي لا** يعكس فقط الجمال الخارجي، ولكن أيضًا الصحة النفسية.

" **الرِّيَاضَة تْخَلِّيكْ تْحَسِّي رُوحَكْ مْلِيحَة وَتْرَيْحِي مَنْ كُلْ التْعَبْ الجَسَدِ وَالنَّفْسِي**"

إن آليات صناعة الجسد وتشكيله تمر عبر سيرورات مختلفة إما متوارثة أو صنَّعها السياق الاجتماعي والثقافي وسوَّق لها الاعلام والتقدم الاقتصادي، ما حرك الرغبة للاعتناء بهذه التيمة – الجسد– **من "العناية الى المتعة" لا لشيء إلا لأن** العناية بالجسد "**الزينة والجمال**" تنسج خيوطها على الجسد الأنثوي ولها علاقة مباشرة بمفهوم "**الموضة**". وما تملكه هذه الأخيرة من سلطة على تشكُّل الأذواق الجمالية، فهي عامل قوي في تغير المفاهيم والتمثلات حول مفهوم الجسد. فهي لا تقل هيمنة عن سلطة وهيمنة العائلة والمعايير الاجتماعية. لم تُحوِّل الجسد من مفهوم **العناية الى المتعة والرفاهية** فحسب بل جعلت منه حقل استهلاك سوسيو اقتصادي رهيب يتجاوز المظهر الخارجي ليصبح أداة للتمييز الاجتماعي والثقافي من خلال الامتثال لمعايير جمال معينة لإثبات الأنوثة الراقية. وبذلك فالجمال معيارًا للقبول الاجتماعي كما كشفت لنا أطروحة الدكتوراه للباحثة **عبد الله حاج حمو زهية** المعنونة "**الجسد والجندر: الحداثة ورهانات الزينة والتزيين: دراسة سوسيو–أنثروبولوجية لتمثيلات وممارسات العناية بالصحة والجمالية بالجسد في الجزائر**"[1] من خلال أبعادها النظرية والميدانية، وأن سعي المرأة للجمال غاية تتجلى أبعادها في المجالين الاجتماعي–الأنثروبولوجي والنفسي الذاتي، الفردي والجماعي. إنها متجذرة في منظومة المفاهيم وعمليات التفكير، ومُعطاة في الواقع. إنها رغبة تتعاظم في الكائن الأنثوي لانسجامها مع سماته. رغبة نابعة من نرجسية المرأة وحبها لذاتها وتحقيقها لذاتها ورضاها. تعتبرها سبيلها لدخول المجال العام وترسيخ وجودها فيه من خلال بناء شبكة علاقات اجتماعية تُسهّل التواصل وتحقيق أحلامها. إنها أيضًا رغبة قوية نابعة من إيمانها بأنها الطريقة الأمثل للعثور على شريك حياة وضمان حياة رومانسية ناجحة تُتوّج بالزواج. ولكن أيضًا وسيلة للهيمنة الاجتماعية والثقافية. تسعى الأنثى في الكثير من الأوقات إلى تعزيز مكانتها في المجتمع من خلال الامتثال لهذه المعايير الجمالية وبالتالي تصبح جماليات الجسد الأنثوي حسب الباحثة مرادفة للنجاح الاجتماعي ومعيارًا يعكس الهرم الاجتماعي والاقتصادي مما يوحي بوجود ارتبط بين العناية بالجمال والمتعة**(قيمة)** وهذا الارتباط يمكن أن يساهم في تعزيز اقبال الأنثى على استهلاك كل ما له علاقة بالعناية وبالجسد والمظهر بكل شراهة. قبول لا مشروط للحفاظ على المظهر الاجتماعي والشخصي وإظهار جمالها "**المثالي**" بالتالي تبني عادات ونظم حياتية جديدة تهدف إلى تحسين مظهرها الجسدي من خلال التجميل، والرياضة

[1] عبد الله حاج حمو زهية، "**الجسد والجندر : الحداثة ورهانات الزينة والتزيين: دراسة سوسيو –أنثروبولوجية لتمثيلات وممارسات العناية بالصحة والجمالية بالجسد في الجزائر**" ، أطروحة دكتوراه منشورة، تخصص انثروبولوجيا جامعة وهران 2، 2015.

التجميلية، والعناية الطبية والتجميلية بالجسد بطرق متعددة تقق للجسد الأنثوي موائمة وتمثيل ثقافي يعيد رسم خرائط الجسد وتحديد الحدود الفاصلة والواصلة الواصفة لتفاصيله، وهكذا تصبح التدريبات ووجبة غنية لإعادة التوازن والحفاظ على القوام المانحة للجمال الدَّائم والُتفرِّد.

2.التجميل شيفرة الهوية الأنثوية والوجوه الموحدة

شهد العالم خلال العقود الأخيرة إقبالاً كبيراً على التجميل مما شجع الكثيرين (نساء، رجال) على خوض تجربة تحسين المظهر وتعديله عبر ما يُعرض من خدمات في مجال الطب التجميلي مدفوعاً بتطور التقنيات الطبية. وهذا الازدهار لم يَعُد مجرّد استجابة لحاجة إصلاحية أو علاجية، بل يتجاوز الرغبة في الظهور بمظهر حسن ليأخذ طابعاً قهرياً يسعى لبلوغ مراتب الجمال يتغذى من الإعلام وتحولاته التي قَلَّبَتْ موازين الأنثى حتى باتت مفتونة بخدمة جسدها وتجميله متأثرة بثقافة الصورة الرقمية التي تروّجها منصات التواصل والمشاهير، حيث أصبح " الشكل " أكثر حضوراً وأصبح " **التحسين** " وسيلة لحصد القبول الاجتماعي. وعرفت بذلك ممارسات التجميل والعناية الجسدية ثورة حقيقية واقبالاً عليها غير مسبوق في مجتمع البحث وكل المجتمعات العربية وكل بقاع العالم، هذا الاقبال المتزايدً المدفوع برغبة في تحسين المظهر الخارجي وتحسين جودة حياة البعض منهن بينما ساهمت هذه العمليات في الخروج عن القوالب والمعايير المتعارف عليها ووحدت الوجوه. فالإفراط فيها أدى إلى ظاهرة جديدة تُعرف **بـ " الوجوه الموحدة"** وتبدو بذلك الوجوه والملامح متشابهة "العينين، الشفاه، الحاجب.." نتيجة تعديلات تجميلية متكررة ومتطابقة بقياسات موحدة "شفاه روسية" "بشرة زجاجية" "مؤخرة كولومبية" وفي الغالب مرتبطة بمعايير جمال دخيلة على المجتمع ما يهدد الجمال الطبيعي ويفقد الأنثى هويتها الفردية. فظاهرة " **الوجوه الموحدة**" وما تثيره من قلق وزلزلة للبنى الاجتماعية والقيمية التي تقضي ببقاء المرأة بالبيت والقيام بأدوارها التقليدية "الزواج، الطبخ الانجاب..." فليس من السهل الحديث عن الجسد في ظل الثقافة العربية لأنه ملتبس بالتنظيرات الفقهية ويَّحَكُّمه المخيال الجمعي، مرتبط بالمُحرم مما يجعل هويته تتحدد بين الرؤية الدونية والرؤية القدسية يتخبط خَبْطَ عشواء في المشهد الثقافي باحثاً عن هويته الحقيقية في ظل مجتمعات تتجه نحو تحديث مفاهيمها وإعادة بلورة الوعي بها. [1]

[1] فريد الزاهي، **مرجع سابق**، ص20.

1.2. الأنثى حُمَّى المرآة والهيمنة الناعمة

تكتسب العناية بالجسد محوراً مهماً في الحياة الخاصة أو الحميمية التي تطبع حياة الأنثى في الوقت الرَّاهن حيث تبحث من خلالها عن مكافئات متنوعة ومعقدة، لذة الاستحمام، العناية بالنظافة التي تحمل لنا بعض الاشباع النرجسي ونحن نتأمل أنفسنا في **المرآة....**[1] تمارس سلطتها وهيمنتها كأداة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها وآلية دفاعية أمام تقلبات العمر وخطوط الزمن، وتعتبر عماد فضاءات التجميل على اختلاف تخصصاتها وممارساتها وتنوع أشكالها "**دائرية، مربعة، مستطيلة...**" وأحجامها "**كبيرة صغيرة...**" حيث انتشرت كقطعة أثاث لا غنى عنها تُزين غرف النوم **و/أو** تحملها الأنثى في حقيبتها كما تتعدد استخداماتها "**للوجه، للجسم**" فهي حارسها الأمين الذي يُطلعها على كل التفاصيل ترى نفسها فيها متى شاءت، وتقيس جمالها المُرتسم على سطحها. فالوقوف أمام المرآة أمر لا يمكن تجاوزه لما له من تأثير وضرورة لا بد منها أكثر من أي وقت مضى إذ تعتبر الواجهة التي يُقاس من خلالها القبول والوصول، كما تبحث من خلالها الأنثى عن الجاذبية والاعتراف وتُشعل فيها رغبة الاعتناء المستمرة التي لا تكتمل إلاَّ بالنظر إليها في بيتها أو الجلوس أمامها على كرسي المُصفِّفة أو خبيرة التجميل لتمنحها الوجود والتَّفرد، تُمكِّنها من التعرف على جسدها كما لم تعرفه من قبل. وزاد رواجها مع الانفتاح على الذات فباتت الرقيب الأول لكل تفاصيل الجسد ترقبه وتحرص على تعديله متى نقص بريقه من خلال ما تحمله من مستحضرات تجميل وطقوس عناية.

لقد برزت قيمة **المرآة** في حياة الأنثى على حد تعبير **ناجوم** " **مرحلة المرآة في التاريخ**" مخصصة لدور البصر والمشاهدة المتعلق بالجسد وتقدير جماله.[2] فزاد من إقبال الأنثى على الاعتناء جسدها. وحصل الهيجان الاستهلاكي الذي رأى أنها ترسيمات الحداثة المرتسمة في وعي وجسد الأنثى وحسبه " **تَحووَّل الى دين للجسد والجمال والموضة**"[3] وتولدت علاقة حميمية بين **الأنثى والمرآة.** تلك المرآة السحرية التي من خلالها ترى صورتها المنعكسة على السطح وتترقب تفاصيلها سعياً للوصل الى الحسن والجمال الذي لا تريد أن يسبقها إليه أحد وهي تحاورها متأملة، تماما كما كنا نفعل في ألعاب الطفولة

---

[1] جورج فيغاريلو، **تاريخ الجمال "الجسد وفن التزيين من عصر النهضة الأوروبية الى أيامنا"**، تر: جمال شحيّد،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2011. ص236.

[2] جان ميزونوف، ماريلو بروشون–شفايتزر، **مرجع سابق**، ص34.

حينما نسأل مرآتنا **(مرآتي يا مرآتي من أجمل الجميلات...** لتجيبنا المرآة **أَنْتِ أَجْمَلُ الْجَمِيلاَتْ)** لندرك أن **المرآة** أداة سحرية عاكسة للجمال الظاهر باعثة لإشعاعه تُطلعنا على انطباع الآخرين اتجاهنا (قبول ، رفض) كما نرى من خلالها مدى ملائمة شكلنا وزينتنا لمظهرنا وللقواعد الاجتماعية، ثم نرى أنفسنا دون قيود ونعترف بها أمامنا قبل أن يعترف بها الآخرون لنا. بما تُطلعنا عليه وعن كل كبيرة وصغيرة دون تزييف وتشويه كما يفعل الآخرون أحياناً. فهي لا تسمح بولادة الجمال وانبعاثه وترشيد خدماته فحسب، بل توجه وعي الأنثى وممارساتها الذي تملَّكته وبسطت سُلطتها عليها حسب " **بورديو Pierre Bourdieu** هي "**هيمنة خفية**" تمارس في الجسد وبالجسد أو امتداداته، تكشف عن آليات **الهيمنة الرمزية** عبر **الرأسمال الرمزي** وأن هذه القوة السحرية والسلطة الرمزية تُعتبر أرقى التعبيرات السلطوية لا توجه نشاطات الافراد والجماعات إلا إذا تم الاعتراف بها.[1] كما أنها ممارسات **استحواذية** ونوع من المواجهة تتخذ شكل الدفاع عن الذات أمام الآخر وأمام تقلبات العمر وتحديداً الوجه. حيث تبحث الأنثى عن تلك الأخاديد التي تخافها لتُخفيها. **فالمرآة** إذاً وُجدت لِتُرمم وتُعيد البناء بعد المُعاينة، إنها رفيقهن الحميمي في رحلة البحث والسعي للجمال المُتجلي في ثنايا الوجه رمز الشباب الدائم. هذه العلاقة التي وُجدت من أجل التمتع بجمال الوجه والتغني بنظارته أجبرتها على الانخراط في مختلف طقوس العناية الجسدية في المنزل وفي قاعات الحلاقة ومراكز العناية الجسدية وعيادات التجميل، ونعتبرها نحن طقس عبور (مرور) وانتقال من حالة طبيعية للجسد العادي الى حالة ثقافية للجسد المشتهى والنموذج الثقافي المَعدل والمُرتسم على سطح المرآة.

لقد انتشرت **المرايا** في فضاءات التجميل كقطعة هامة وديكور حسب الحاجة والاستخدام وتصميم الصالون منها ما يُثَبَّتُ على الحائط يسمح برؤية الوجه فقط ويستخدم للحلاقة والتجميل (مكياج). ومنها ما يكون منفرداً يمنح مساحة للجمال وللأنثى للتأمل فيها كامل الجسد. وأن هذه المرايا على اختلاف أحجامها وأشكالها تُمكِّن المصففة (الحفافة) من المراقبة، حيث تستعين بها في عملية التصفيف والتزيين في مختلف مراحل خدمة الجسد وهي مقابلة للمرآة. كما يُمَكِّنُ الزبونة من تتبع تفاصيل العمل مما يجعلها تطلب بعض التعديلات والتحسينات بناء على ما يظهر لها وتراه أمامها حسب الرغبة. وذلك الذي بدا واضحاً أمامنا من أول دخول لهذه الفضاءات. لقد تبين لنا أنا **المرآة** مفتاح للمراقبة حتى يكتمل الجمال

[1] بيير بورديو، جان كلود باسرون، **إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**، تر: ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان، ط1، 2007 ص55

والجاذبية. وان الوقوف أمامها ضرورة لا بد منها تُمكِّنُ الأنثى من الاعتناء بجمالها وشكلها كما تعتني بملابسها لتمنح مظهرها الظهور المقبول، تُرضي ذاتها وتزيد من نرجسيتها لتعتلي عرش الأنوثة والجمال والأناقة فتبدو كأنثى راقية، ونعتبرها نحن **نرجسية واضطهاد وهيمنة** غير واعية تدفعها للسهر على هذا المظهر بكل حيثياته الصغيرة والكبيرة حتى يبرز بل كي يتفرد. إنها عبودية من نوع آخر.

المغلوب مولوع بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده

عبودية للموضة والمظهر تبحث عنها في النظرة والكلمة. وكأن الاغراء مطلب أساسي للجمال والمكانة. والمرآة جهاز قياس فعال لمستوى **تردُّدَات** الجمال المنعكس على سطحها. فالصورة في **المرآة** هي جزء من الذات خارج الذات ...حيث رسم الجمال لنفسه قامة جديدة في المرآة المكتومة، التي تسمح بانبعاث جمالياته.[1]

لقد شجعت هذه المرايا الباحثين على الشكل والأناقة في رحلة التجميل والعناية الجسدية، وبدى سوق التجميل من خلالها أكثر اقبالاً وأصبحت الواجهة الحقيقية لمراقبة الذات وتصحيح العيوب كلَّما وقفت الأنثى وجهاً لوجهاً مع ذاتها ترقبها امام **المرآة** وتقييمها على الدوام مما جعلها أمام اختبار أكثر صرامة (العائلة، المجتمع) يجبرها على الامتثال لضوابطها وقوانينها التي تشعر أحيانا بالرغبة في الخروج عنها والقبول بمعطيات موضة الجسد فمغرياتها لا تقاوم (نفسية جمالية،...) ونتائجها واقعية " مظاهر ونماذج معروضة عن قرب وعن بعد" إنها حرية مرهونة بالافتتان والمتعة أمام المرآة التي لم تعُد قطعة كمالية فحسب بل جهاز حسَّاس لقياس انبعاث الجمال ومدى هوس الأنثى بمظهرها وشكلها.

أ- **الجمال الأنثوي ثنائية الأناقة والاغراء :** العناية الجسدية تُعيد صياغة الجسد الأنثوي وتشكيل ملامحه ما يبعث على التساؤل أناقة ام اغراء؟ فالسعي للجمال والأناقة والرغبة في الاعتناء ومضاعفة ممارسات العناية الجسدية بالانخراط في مختلف الممارسات والفضاءات لا تعد أمراً هينا إذ تقتضي معرفة شاملة بخصائصه وبطرق التحكم فيه والسيطرة عليه حتى يكون وسيلة تعبيرية بليغة وعلامة يَستدل بها الناظر إليها، فطريقة العناية منبع الترميز تُخول للنَّاظر تقييمه وفك دلالة الرموز فيه، [2]وأن تكثيف العناية والتجميل مظهر حداثي لا يمكن لأحد أن ينكره أو يتجاهله، يشغل الجميع ويجلب اهتمامهم وسعيهم اليه يعمل على ترويض الجسد حسب قيمه وقوانينه ونماذجه التي تسوق لها موضة الجمال، وأن انتشارها

[1] جورج فيغاريلو، **مرجع سابق**، ص52.

[2] امال قرامي، **مرجع سابق**، ص195.

وزيادة الاقبال عليها مؤشر دال على رغبة الأنثى في الانسجام مع قوالب تفوق رغبة الاعتناء بالمظهر مما يتيح لها فرصة للاندماج في الفضاء الاجتماعي ويمنحا مساحة من الظهور لإنها تريد ان تكون كما أُريد لها " **فاتنة ، مغرية**" وترفض ما تربت عليه بل تعتبره بالياً رثاً.

لقد تحررت من تلك القيود وفرَّت من حارس البوابة الأمين (الام) إلى الموضة بل ودعت حارسها للانخراط في الرفاهية التي تزيد شبابه وتفتح له آفاق. فزاد التحرر بعدما قبلت العائلة والمجتمع معاً مما زاد من انتشار نماذج الجمال ومنتجات التجميل وفضاءات صناعة الجمال، فأصبح الجسد مسؤولية ذاتية وملكية شخصية بعدما كان تابع للعائلة ومُنسجم مع قيم المجتمع، لقد طغت الفردانية بشكل متسارع وحررت الأنثى من قيود العرف والعادات وملَّكتها زمام أمرها بالظهور كما تريد باعتبارها أنثى متحضرة. ولم يكن هذا الأمر لولا مباركة الأهل والعائلة وقبول المجتمع مما زاد من انتشار فضاءات التجميل وتفاقم الإعلان لخدماتها عبر منصات التواصل التي تسوق لنماذج النساء الجميلات الناجحات، واللواتي يسوقن بدورهن لقصص نجاحهن وحريتهن الشخصية. مقدمة نصائح للاعتناء بالبشرة وأنواع المنتجات التي تزيدها جمالاً، فمن خلال ما تنشره عبر صفحتها أصبحت مدرسة لتعلم الاعتناء بالمظهر وللدفاع عن الحرية والتحرر على أنها القوية الناجحة. ومع ذلك ما يزال الجسد والأنثى خاضعين لمعايير الضبط والمراقبة رغم انتشار الموضة المتسارعة وماركاتها المغرية للحد من أشكال الانفلات والانحراف عن القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية، وبالمقابل تنشط سوق موازية لإبراز الجمال والقوام في صالات الرياضة ونواديها المنتشرة بشكل محتشم، تجلب اليها المتعطشات للقوام والمظهر الجذاب من خلال تلك التمارين المعدة خصيصا لذلك، تعمل على ترويض الجسد للوصول للنموذج المثالي ما يوحي لنا أن حضور الجسد ما يزال محتشماً وغير مُعلن وبالتالي فإننا اليوم نقف أمام نموذج جديد لأنثى عصرية تتميز بالاستقلالية مثقلة بالتمثلات الاجتماعية التي تهيمن على فكرها. فأنثى الحداثة انخرطت في الانفتاح والفردانية وحكَّمت ذاتها على ذاتها المشغولة بذاتها (جلدها، اضافرها...) العاشقة لنفسها أوما يعرف بالمرأة النرجسية.[1]

ب- **الأنوثة وهوس المظهر**: إذا كان الاهتمام بالشكل والتجَمُّل من فطرة الأنثى ومن أقدم الممارسات البشرية على مرّ العصور استجابة لعض الرغبات النفسية والمعتقدات فإن هوس التجميل سمة العصر الحالي، تملَّكت الكثيرات وتزداد تحكما فيهن كلما تقدمت إحداهن في العمر وارتسمت ملامح الشيخوخة

[1] نوال السعداوي، **مرجع سابق**، ص253

على وجهها. حيث توصلت الباحثة **هناء عمراني**[1] **في أطروحة الدكتوراه** إلى أن الهوس لا يأتي جراء التطور في كماليات الحياة ورفاهيتها فحسبها إنما عدم التوازن النفسي والاجتماعي هوما أدى بالأنثى الى الهوس بجسدها وتعديله نتيجة القلق والهلع من الكبر وعدم الرضا بالشكل عموما غير أن ما توصلنا اليه يدحض ذلك ولو على مستوى مجتمع المدروس الذي هزت الموضة عرش تمثلاته، دفعته لانخراط في مختلف الفضاءات فَقَبِلَ بذلك الاعتناء وهو يشعر بالكثير من الراحة والرفاهية والتميز المنسجم مع ما تجود به من خدمات وتمنحه من مظهر. ورغم تحكم موضة التقنيات والمنتجات في الاذواق والاختيارات "**قوالب جاهزة**" فلقد تبين لنا أن المبحوثات لايشعرن بقلق مرضي يستوجب تدخل مختص لاستعادة التوزان النفسي بل إنه قلق يدفع الى التَّنقيب عن موطن الجمال والأنوثة وفعل ثقافي مُمَنْهَج. يُحرك الرغبة في الاعتناء والسعي لبلوغ مراتب الحسن والجمال، يبعثه بعد موته ويحيِّي بريقه المنطفئ بفعل السنين، فتُقبل الانثى على حقن الشفاه والخدود بمواد تزيد من بروز جمالها (فيلر – بوتكس) وترسم الحواجب وتُعدلها تُصفف الشعر وتلونه حسب الحاجة لذلك. وتُمارس مختلف التدريبات الرياضة وتفتخر أمام قريناتها أنها تمارسها، بل وتزور الطبيبة ليكتمل جمالها. فتعتني بمظهرها دون هوادة وذلك الذي أكدت عليه الحركات النسوية على أن تحرير الجسد الأنثوي يتطلب تفكيك الأنظمة التي تستغله سواء كانت تلك الأنظمة أيديولوجية أو اقتصادية، وستكون حياته اختزالاً مستمراً للعالم في جسدها... الموجود في قلب العمل الفردي والجماعي وفي قلب الرمزية الاجتماعية، له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر[2] غير أن الحرية وامتلاك الجسد وهمٌ كبير فكل مرة تصل فيه الأنثى تعود أدراجها لتعود من جديد. لا لشيء إلا لإقصاء اجتماعي وتعدي للغة عليها وعلى جسدها، فامتلاك الجسد لعبة عصية عليها مفاتيحها في بيد الأخر وأن الآخر لم يعد ذلك الذكر الذي حدثوها عنه طويلا (خوك، باباك، راجلك) الآخر اليوم هو ذلك الخفي الظاهر، وفي بحثنا الآخر هو تلك **الأنثى** التي تعيد انتاج **الهيمنة** وفق اللعبة الذكورية، إنها هيمنة ناعمة –**هيمنة الأنثى على الانثى**– (الام، الأخت، الجدة، وكل امرأة) التي طالما رفضت قوانين اللعبة الذكورية وثارت عليها. هذا ما يحدث في بحثنا وحدث فعلاً أمامنا رأيناه بأعيننا وسمعناه بأذاننا في الكثير من المرات في مختلف فضاءات صناعة الجسد. فلقد رحلت بلا عودة أيام الرضى عن المظهر والجمال والذات أمام المرآة، فلم يعد الاعتناء الذاتي كافياً وأصبح من الضروري الوقوف أمام

[1] هناء عمراني،**إشكالية الجسد من خلال ظاهرة التجميل والاعتناء في المجتمع الجزائري**، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الحضري، جامعة وهرن 2، منشورة،2022–2023

[2] دفيد لوبروتون، **مرجع سابق**، ص5.

مرآة المُمَارِسَة التي تُجيد رسم الحدود وبعث البريق، حولت التجميل والاعتناء بالمظهر الى هاجس وهوس بالصورة المنبعثة أمامها في المرآة والمُشعة في عيون الآخر (الانثى). وتجلب الانتباه والتقييم. لا تردع كما عهدناها **(أَحْشِمي، أَتْرَبّي...)** وانما تدعوا للانخراط. فلقد أصبح المظهر شكلاً من أشكال العبور والتعبير وصياغة العلاقات الاجتماعية **(جميلة جذابة، فاتنة) (باهية، زِينة تْهَبّلْ، تْقْتَّلْ)** كما يخلق الانطباع وهذا ما يفتح الشهية للاستهلاك ويزيد من هوس الاقبال على التجميل. هوس نراه يمنح الكثير من الامتيازات وإلا ما انخرطت منذ البداية.

2.2. موضة التجميل وتنميط الجمال الانثوي

العناية بالجسد ترسُم ملامح الانوثة والمجتمع معاً، وتقدم الأنثى في صورة المرأة العصرية المتحررة من قيود الأسرة والمجتمع، تَّنم عن هيمنة واسعة للموضة على الذوق الفردي والجماعي كسمة من سمات المجتمعات الحديثة (العربية، الغربية) متربعة على الذوق والاختيار من خلال معطياتها التي تطل علينا في الغالب من نافذة الاعلام (الانترنت) باسطة هيمنتها على الذوق الجمالي، وما يهمنا الذوق والجمال المحلي (الشاوي) المُنخرط في لعبة التصنيفات الجسدية والجمالية "الموضة" التي لا تنفصل عن معنى الاستهلاك والهيمنة الاقتصادية او ما يعرف اليوم باسم **style ستيل** الذي يدخل في تنميط الجمال وقولبة الذوق الجمالي ضمن معايير ومزاج عالمي موحد، عبر مختلف منتجات وماركات وتقنيات التجميل والعناية الجسدية الموحدة التي لا تعمل على تنميطه وقولبته فحسب بل تُوَّحِدُ مقاييس الجمال بما يتماشى ومساعي شركات منتجيه ومسوقيه ويجعلها مادة قابلة للاستهلاك (الموسمي المناسباتي) جذبها إليها وللانخراط في خدماتها وديكوراتها وتقنيات العناية المعلن عنها عبر المظهر والمتجددة كما اخبرتنا احدة المبحوثات (المقابلة رقم36)

" كُلْ خَطْرَة تُخْرُجْ لْنَا أَمُودَا جْدِّيدَة وَاَنْتِّ تْحِّيرِي وَاشْ تَّبْعِي يَا البَشْرَة
الْسَّمْرَة وَلاَّ لْبَيْضَا وْسَاعَاتْ لْمَكِّيَّاجْ لْقَاوي وْتَرْكَابْ الشْفَارْ وْلِيلُونْتِي
وْسَاعَاتْ سَامْبَّلْ وَانْتِ أَقَّعْدِي عَسِّيوْتَبْعِي وَاشْ يُخْرَجْ وْهُومَا يَرْبْحُو "

في حين أخبرتنا احدى المرافقات ممن قابلنا في فضاءات التجميل قائلة(المقابلة رقم37)

كُلْ خَطْرَة تُخْرُجْ لْنَا أَمُودَا جْدِّيدَة وَاَنْتِّ تْحِّيرِي وَاشْ
تَّبْعِي يَا البَشْرَا الْسَّمْرَة وَلاَّ لْبَيْضَا وْسَاعَاتْ لْمَكِّيَّاجْ
لْقَاوي وْتَرْكَابْ الشْفَارْ وْلِيلُونْتِي وْسَاعَاتْ سَامْبَّلْ بْلَا

أَيّ حَاجَا وَانْتِ أَقَّعْدِي عَسِّي وْتَبْعِي وَاشْ يُخْرَجْ وْهُومَا يَرْبْحُو

إن تغير المعايير المستمر ترك الأنثى في خيرة من أمرها أي الخيارات تتبع، فلا هي تماهت مع العرف والتمثلات الاجتماعية ولا هي تماهت مع قوالب الحداثة. تيسر مُترنحة ما بين الإقبال أحيانا والإدبار احياناً أخرى رغم الانخراط، وما توصلنا إله ان ما يجعلها بين الثنائيات المتناقضة خفي لا تُدلي به فهو مُستبطن يتحكم في وعيها وقراراتها ويوجه رغباتها إن هي حادت، وتعيد انتاج معانيها في اللقاءات ويُقوّم كل الانزلاقات ويشرعن للجسد الفعل التجميلي في قالبه المقبول عرفا ودينا وثقافة محلية.

3.2. خيبة الجسد، الشباب والشيخوخة ثورة الجسد الثالثة

أسطورة الجمال وهم الخلود الأزلي الذي لا يَنْئَ عن التحول والتغير بالرغم من أزليته تلك، ينتقل من السُّمنة الى النَّحافة ومن المُمتلئ والرَّخو إلى العضلي المشدود، لكنه أيضا يمدح الليونة والطراوة ونحولة الخصر في كل حين[1]. فموضوع الجمال خاضع للتحول المستمر متغير مع الحقب الزمنية من الشباب اليافع إلى الشيخوخة المنطفئة المحفور عليها خطوط الزمن عبر التجاعيد التي تخفي خلفها تمثلات المجتمع الموضوعة تحت المُراقبة حتى يدوم الشباب من خلال التدبير والاعتناء، ويزداد مع تقدم العمر وظهور علامات الشيخوخة (التجاعيد) خوفاً من انطفاء ملامح الأنوثة وجاذبيتها. حيث تتغير نظرة الأنثى لذاتها وتتغير نظرة الآخرين لها، فإما يزداد الاحترام والوقار ويُنتظر منها التقليل من الاعتناء بجمالها وترك زينتها أو يُنتظر منها الاقبال على الاعتناء بمظهرها والانخراط في فضاءات صناعة الجمال وبناء الجسد.

فحسب المتعارف عليه في مجتمع البحث أن انحناء الظهر وغوص ملامح الوجه في خطوط البشرة وتجاعيد الوجه يزيد الأنثى وقاراً واحتراماً ينبعث منه جمال من نوع آخر، جمال مُتخفي يُرَسِّخُ الحضور ويحفظ المكانة بعيدا عن الزينة ما عدا الكحل الرفيق الدائم. وحسب قولهن "**يْرُوحْ الزِّينْ وْيَبْقَاوْ أَمَارَاتُو**" دليل على أن الجمال أزلي لا ينطفأ ولا يُعاد بعثه. غير أن التمثلات حول مفهوم الجمال الأنوثة اليوم تتحكم فيه قوى خفية ومعايير جديدة دخيلة على المجتمع، تدفع بالأنثى من كل الأعمار للاعتناء بجمالهن ومظهرها وبعث الحياة وفي الوجه والملامح ، وذلك الذي وقفنا عليه بأنفسنا، حيث انخرطت **المرأة المتقدمة، الكبيرة في السن**" الى جانب اليافعة المزهرة في لعبة التصنيفات الجسدية وأقبلت عل الاعتناء بجمالها وبعث جسدها من جديدي بعدما تقدم العمر وظهرت علامات الشيخوخة حسب حاجتها

[1] منى فياض، **مرجع سابق**، ص155

لذلك، و تتجلى بذلك ثنائية **الشباب/الشيخوخة ، الموت/الحياة** من خلال خدمات العناية بالبشرة وإزالة التجاعيد والبقع من على كل الجلد بما فيها اليدين لإخفاء علامات تقدم السن، حيث خصصت للجسد في هذا السن العديد من الخدمات "**خيوط الشد، ابر النظارة، بوتكس، التقشير الكربوني، تبييض البشرة، ازالة التصبغات والوشم...الخ**" وغيرها من الممارسات التي توفرها أحدث التقنيات في عالم التجميل، فمن خلالها يُقدَّم الشباب كمعيار جمالي دائم تَظهر من خلاله النساء بملامح ناعمة وبشرة خالية من العيوب ويقضى على ملامح الشيخوخة التي تعتبرها تهديدًا لجاذبية الجسد الأنثوي كما تبينه الصورة رقم10

الصورة رقم 10: الممارسات التجميلية في مرحلة الشيخوخة



لقد عرف التقدم في السن في المجتمعات العربية ومجتمع بحثنا خاصة على أنه وقار مصحوب بانسحاب من كل اعتناء بالمظهر (التزين) فحسب المشاركات مرحلة الشيخوخة والتقدم في السن هي مرحلة الإفلات من الاعتناء بالمظهر والمراقبة "**عجوزة، كبيرة، نانة** " تترك فيها الأنثى زينتها كلما تقدم بها السن، هذا الأخير يصعب تحديده لأنه يقاس بالإنتاج لا بالعمر الزمني **(كبر الأبناء، زواجهم)** حيث تشيخ الأنثى بالأبناء لا بالعمر. لكن الأمر في مراكز وفضاءات التجميل غير ذلك، ينظر للشيخوخة من خلال البشرة والملامح، حيث غيرت مفاهيم الأنثى عن الجمال وباتت ترى أنه من حقِّها الاعتناء بجمالها مهما بلغ بها العمر، و أنه من واجبها الاعتناء بشكلها غير مُبالية بنظرة المجتمع الذي يرى أن التقدم في السن لا يتطلب الاعتناء، بل عليها السعي لتظل مُزهرة مُشرقة من خلال ما تمنحه لها طقوس العناية والتجميل، وترفض النظر إليها على انها مُسنة انطفئ بريقها، فلقد شجعت هذه الفضاءات الأنثى

على الاقبال على ذاتها بما تقدمه من خدمات وما تنشره الميديا من محفزات، فأنثى اليوم لا تعترف بالشيخوخة وترى أن الشباب في القلب والروح كما حدثتنا إحدى الزبونات (المقابلة رقم37)

وَاشْ مَنْ عْجُوزْ أَنَا مَازَلْنِي نْشُوفْ فِي رُوحِي صْغِيرَة خِيرْ مَنْ عْرَايْسِي

وَبْنَاتِي نْرُوحْ لَلْحَفَّافَة دِيمَا وِمَانَنِسَاشْ رُوحِي طُولِ عِلاَهْ رَبِّي مَاخْلَقْنِيشْ

إن هوس التجميل مع تقدم العمر وارتسام ملامح الشيخوخة زاد من انتشار تقنيات العناية بالجسد والتجميل بجراحة ومن دون جراحة، حيث تُحقن الشفاه والخدود بمواد تزيد من بروز الجمال وتُرسم الحواجب وتُركب الرموش ليزداد بريق العين وينبعث اشعاعها، ويُصفف الشعر ويلون ليَخفي الشيب حسب الحاجة لذلك، وتُملأ تلك الأخاديد والتجاعيد بمواد خاصة تزيد من تمدد الجلد وانبعاثه. وكما تشترك في مختلف التدريبات الحركية داخل نوادي الرياضة وصالات **GYM** التي تقضي على ترهل الجلد وانحناءات الجسد وتُقَوِّمُ القليل من اعوجاجه. فالظَّاهر أن طقوس العناية تهتم بكل الجسد وتفاصيله تعتني به عضوا بعضو، وتمارس المعايير الجمالية هيمنتها على الجسد دون أدنى اعتبار للعمر.[1] وذلك الذي اتضح لنا من خلال تواجدنا بمختلف الفضاءات مما يوحي بتحكم كبير في الجسد على أوسع نطاق في قاعات التجميل ونوادي الرياضة ومراكز العناية الجسدية تماشيا مع قيم الحداثة وثقافة الجسد دون مراقبة أو تحكم حتى باتت الرقيب الشرعي والحميمي الجديد للجسد الأنثوي. وان هذه الرغبة النرجسية في الانسجام تتعدى كونها مجرد رغبة لتصبح هوس يُضاعِف ويُكثِّف عمليات الاقبال على الاعتناء بالجسد كفعل ترميمي للصورة المهتزة عن الذات وتحقيق الرضى، بل وتُعتبر عملية الترميم هذه بمثابة آلية سيكولوجية فعالة وميكانزيم دفاع قوي يقف أما التقدم في السن وظهور علامات الشيخوخة وانطفاء بريق المظهر والجمال.

4.2مسابقات الجمال الأذواق المُعَلَّبَة

إن ظاهرة الاهتمام بالشكل والمظهر أو ما يعرف بالجاذبية والذوق الجمالي تعكس تغيرات ثقافية تعددت تسمياتها العالمية "**ملكة جمال العالم، ملكة جمال الكون**" والعربية **ملكة جمال العرب**" والمحلية "**ملكة جمال القبائل، ملكة جمال الاوراس...**" إذ تعتبر مؤشرا ومثالاً هاماً على التحولات التي مست مفهوم الجمال، وتحكُم عليه على أساس المظهر الذي يقود إلى التَّفرد والبروز في تمثيل ثقافة أو خصوصية مجتمعية، غير أنها تحمل رسائل ضمنية لتسليع الجسد التي يخفيها مسوقو ومنظمو هذه

[1] جيل ليبوفيتسكي، **مرجه سابق**، ص43.

المسابقات والمغذِّي الفعلي للجمال والذوق الجمالي، حيث جعل من الأنثى مظهر جسدي يحصد النَّظرات والاعترافات في كل مكان واختزلها في مظهرها وشكلها وأصبح اختيارها لمظهرها أمر مفروض عليها يعيد تشكيل معايير الجمال. فانتقلت بتلك معايير الجمال من الداخل إلى الخارج وحولت الوجوه إلى نسخة موحدة تلاعبت بخصوصية الملامح والمجتمعات. وأصبح من الصعب التمييز بين الهويات الجسدية "العربية، الغربية" بعدما اختزلت الأنثى في جسدها وسارت إلى طريق الاغراء والمتعة لتصل الى لقب ومرتبة "**الملكة**" وفي الحقيقة فإن هذه المسابقات ليست مجرد حدث ثقافي ولا حداثي إنما واجهة اجتماعية تَنْسِف بالقيم والعادات والتقاليد وتقفز فوق مفاهيم الحشمة والشرف ليتجسد فيها العيب والحرام، حيث تسربت مبادئها إلى وعي الشعوب، فلم تسلم منها جماعة اجتماعية إلا وأصبح الجمال هو الواجهة المرتبطة بمحددات اجتماعية وثقافية غيرت مفاهيم الجمال والأنوثة خاصة إذا ارتبطت بالأنثى العربية المسلمة.

فلقد وقفنا على أول مسابقة أقيمت في مجتمعنا البحثي "ملكة جمال الاوراس" سنة **2022** بدار الثقافة بحي النصر باتنة والتي تمت دعوتنا إليها من إحدى **مخبراتنا** حيث وقبل البداية تم إيقاف المسابقة لظروف نجهلها وأسدل الستار قبل البداية فتفرقت المشاركات ولم نتمكن من الحديث مع المشاركات إلا واحدة منهن أخبرتنا أن مشاركتها في المسابقة تجسيد لحماية تراث الأجداد وحفظ مكانة المرأة الشاوية واثبات أن جمالها يحق له أن يكون عالمياً. ولما كانت البيئة غير مناسبة **وُئدت** هذه المسابقات في المهد فالمجتمع ما يزال يُمجد أنثاه ويعطيها مكانتها بعيداً عن الانتهاك العلني أمام الاخرين وكاميراتهم، فحسب عبد الله محمد الغامدي " الجسد الأنثوي صفحة بيضاء تكتب الثقافة عليه وتحفر وتنقش معانيها ورموزها حتى بات هذا الأخير حافظاً وناقلاً لكل هذه التمثلات والتصورات التي نسجت حوله. وصار صفحة للقراءة الفردية والجماعية ومادة للقراءة الثقافية، بل نعتبره كتاب مفتوح للقراءة والفهم نقرء منه سعيي الأنثى للاعتناء بجمالها الذي أوجدته الثقافة بمواصفات خاصة بتواطئي اجتماعي[1]. وبقية الرغبة متأججة في تنظيمها **لمسابقات** الجمال وانفتاحه على العالم مما سمح بتنظيم مسابقة ملكة جمال الأوراس سنة **2025** والتي لم يتسنى لنا حضورها، أقيمت بمباركة عدة جهات حاضنة للفكرة باعثة لتجسيد قيم جديدة على المجتمع البحثي وتسير بخطى متثاقلة في المجتمع الجزائري محاولة بسط نفوذها وسلطانها عليه كما تبينه الصور:

[1] عبد الله محمد الغامدي، **مرجع سابق**، ص73.

الصورة رقم 11: مسابقة ملكة جمال الاوراس 2025



https://www.facebook.com/ETDjazairi/posts

مسابقات الجمال وعي جديد بالجسد بدأت القوانين العالمية تشق طريقها من خلاله إلى وعي الانثى المنادي بحرية الجسد والمطالِبة بكرامته. إنها هيمنة واعتراف يُطل من نوافذ الإعلام والانترنت مُشَرْعِنَا هيمنته على الذوق المحلي "**الشاوي**" في ثوب عالمي وافد مُحَمَّلْ بقيم مجتمعات أخرى "عربية وغربية" مُدلي بظلاله على الجسد، تمثلاته وممارساته. يزيد من انخراطه وانسلاخه في موضة الجمال وخدمة الجسد، وبذلك فرضت الموضة سلطانها واختفى التميز الطبقي خلف ستار الهوية [1]

وعليه فسحر الأنوثة ذلك الحس المشترك بين بني البشر يثير الرغبة والمخاوف ويبعث على الحيطة والحذر. مرتبط بالشهوة والاغراء، الاثارة والمتعة، تنسج حوله المعاني وتتجسد الرموز. يدعوا للاحترام والتقديم في النظر والكلام واضح لا يمكن انكاره حيث يقع السحر بشكل واضح في ... كان سحر المرأة في أعين الرجال يأتيها منهم أنفسهم[2]

5.2. الموضة ووحشية التجميل القوة الناعمة

موضة التجميل في العصر الرَّاهن سمة العصر وخاصيته، تربَّعت على المشهد العام، لعبت بالأذواق وأعادت تشكيل التمثلات من خلال منتجاتها المتجددة وخدماتها المتطورة في عالم الجمال وخدمة الجسد، كما نسجت علاقة جديدة وقوية بين المرأة ومظهرها اليومي، تجلّت في انخراطها المتزايد في فضاءات صناعة الجمال بوصفها مجالًا لإعادة إنتاج الأنوثة وبعث صورتها **المشعّة والفاتنة،** المُثقلة بالمساحيق التي تمنح الوجه جمالاً ساحراً من دون عيوب بفعل الممارسات والتعديلات السطحية

[1] ايفلين ريد، **مشاكل تحرير المراة رؤية ماركسية**، تر: رغد قاسم، ط1، 2021، دار الخيال، لبنان، ص99.

[2] سيمون دي بوفوار، **الجنس الاخر "التجربة الحياتية"**، تر: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2015، 42

والعميقة التي غيَّرت الملامح ورسمتها بمقاييس محسوبة ومدروسة وحولت الأجساد الى مساحة للفعل الثقافي وحقلًا خصباً لزرع مفاهيم الجمال وتسويق منتجاته وتقنياته المتطورة والمتجددة على الدوام والمُشجعة على الاستهلاك لإرضاء الذات والحصول على تقدير الآخرين، إنه رضى **مُستتر** يظهر على أنه اختيار حر وفردي غير أنه يَتشكل داخل منظومة متكاملة من الرغبات المُنتَجَة اجتماعياً ومن خطابات الموضة والإعلانات. فالخيارات المُتاحة لا تخرج في جوهرها عن اطارها المعياري المُحَدَّدُ سلفاً، يتحكم في الأذواق ويوجه الممارسات المُنْسَاقَة والمتماهية مع النماذج المُهَيْمِنَة والمحددَة سلفاً لتنسجم وتتلاءم مع مفهوم الجمال ما يتطلب من الجسد الأنثوي التكيف المستمر مع إيقاع الموضة ومتطلبات السوق، بما يعيد إنتاج مفهوم الجمال في صورته المعيارية والضابطة.

إنها قوة ناعمة تسعى لامتلاك الجسد الأنثوي بما أوتيت من سبل وتقنيات من خلال منتجاتها المتجددة على الدوام، التي فتحت شهية الأنثى للانخراط في عالم الموضة والتجميل دون هوادة بما تمنحه من امتيازات معنوية مكَّنتها من التكيف مع النماذج الحداثية الجذابة. فقبلت دون وعي بزيف الجمال وقوالبه. وأن ذلك له تداعياته على منظومة قيم المجتمعية. إذ يسهم هذا النسق الاستهلاكي في إعادة تشكيل الأذواق العامة وتغيير البنية الرمزية للمجتمع، فلم يعد ما يُسوق له من موضة الجمال مجرد خيارات فردية بريئة بل تحول الى آليات غير معلنة تتحكم في الأذواق وتقيد حرية الاختيار من خلال محاكاة النماذج والقوالب الجاهزة باعتبارها نماذج مثالية لأنثى أكثر جمالاً ونجاح. وأكثر افتتان بالماركات والعلامات التجارية المعروضة التي تُشعل الرَّغبة التي من شأنها ان تُوصِمُ الانثى وتُقْصيها اجتماعياً ورمزياً من دوائر القبول الاجتماعي. وقد يبدو الأمر بسيطاً غير أنه خطير كما تبين لنا من خلال إقامتنا في مجتمع البحث. فهوس الاقبال على التقنيات التجميلية الحديثة لا يستثني عمراً ولا طبقة اجتماعية بل إنه قوة تهيمن على الوعي والاختيار لم تستثني حتى الفتيات الشابات، اللواتي أقبلن على التجميل وهُنَّ مازلنا في ريعان الشباب. سُلبت منهن الرغبة واقبلنا على التجميل وتقنياته باسم الحداثة والمظاهر المسوق لها وفي الغالب قوالب هي غير واقعية تم تعديلها وفق خوارزميات مدروسة.

تبدأ رحلة الاستثمار في الجسد باكراً مع أول جلسة لتتوالى الجلسات ويصعب بعدها الانسحاب أو المغادرة، إنها هيمنة من نوع خاص لابد من الالتفات اليها وأخذها بعين الاعتبار فاستحواذها المتجسد في الفعل التجميلي هيمنة خفية حسب **بورديو Pierre Bourdieu عنف رمزي غير مرئي** يمارس وحشيته على الجسد عبر اللغة وتصنيفاتها المختلفة وعبر الذوق العام **المُشَرْعَنُ** من قبل الفاعلين

الاجتماعيين على أنه السائد في الوقت الراهن والذي غذَّى الذوق الجمالي ومعاييره يظهر **كرأسمال رمزي** يمنح لصاحبته القيمة والمكانة الاجتماعية في حين يقصيها ويهمشها كلما حازت، حيث يعاد صياغة **الهبيتوس** الأنثوي عبر أنماط التعلم الاجتماعي المعاد انتاجه داخل الأسرة عبر مؤسسات التنشئة خاصة فضاءات التجميل والجمال.

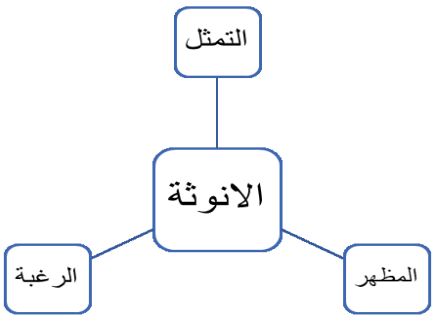
كما ساهمت الحركات النسوية في بلورت هذه المفاهيم وبروزها على الساحة العربية والكثير من ورائها من روائيات غربيات عربيات جمعهن هم واحد، استرجاع هيبة الأنثى ومنْحِها دورها الطبيعي في الحياة السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها، بل لتكون المرأة هي الوجود والحقيقة واللغة والكينونة.[1] بعدما اعتلت منابر العالم الغربي المنادي بحرية ملكية الجسد والمناشدة بالحقوق والمساواة واعتبار حرية الجسد حق مشروع. وكان للفيلسوفة **سيمون ديبوفوار Simon de Beauvoir** الصوت المناهض لمثل هذه الملكية التي تحررها من العبودية وتعترف بكيانها، وأن الجندر ليس معطى طبيعي بل يُنتج اجتماعيا عبر سيرورات من الفعل المتكرر داخل أطر معيارية. حيث تظهر هيمنة التجميل التي تعتبر أن ممارسات العناية الجسدية وتقنيات التجميل مانحة للجمال وجزء من **الانوثة السوية**، فحسبهن القبول الاجتماعي يُقاس بمدى الملائمة والذوبان وأن الخروج عنها خرق للمعيار الجندري، وتحولت التقنيات بذلك إلى أدوات لإعادة الانسجام والتوازن لهذا الكيان الإنساني وإعادة انتاج الانوثة المنسجمة مع مواصفات جمالية محددة بما خلق فجوة بين الأنوثة المنسجمة والهامشية الخارجة عن المعايير والقيم المعدة للاستهلاك.

ثانيا: الجسد الأنثوي بين السيطرة الذاتية والمتطلبات المجتمعية

الجسد منظومة شيفرات متداخلة سيكولوجياً وسوسيوثقافيا، يحمل معاني كثيرة للجنسين موسوماً بمعايير جندرية تُنْتَجُ داخل أُطر مُسيجة بالعُرف والدين والقانون، وفي المجتمعات العربية ظل الجسد ولاسيما الجسد الأنثوي مُرتبط بمفهوم "**الطابو والعورة** " يذوب في المحرم والمتوجس منه "المقدس والمدنس" هذان المفهومان اللصيقان بالجسد الأنثوي مما جعله خاضعاً لسلطة الاجتماعي والرمزي ومساحة لِنَسْجِ القيم الأخلاقية والتمثلات الاجتماعية ولو لِوَقْتٍ من الزمن قبل كتابتنا لهذه الأسطر. فهو

[1] نادية هنداوي، **مرجع سابق**، ص10

بذلك نقطة التقاء وتنظيم لهذه الشيفرات والمحتوى والمعنى الكلّي الذي يُسيطر عليه الرجل وتستلمه الأنثى مانحة إياه كل المعنى. فمنه بدأ الكفاح الذي قاده التّيار النسوي، وانتظمت حوله الخطابات ونسجت المعاني والتمثلات المتعلقة به وبالجنسانية. أما في المجتمعات الحديثة فإن الجسد فرض نفسه على كل الموجودات، تغيرت المعادلة ولم يعد يُنظر له كتابع وطابو يستوجب الملاحظة والتقييم بل أصبح أكثر حضوراً مُفعما بالحياة تَزيَّن واعتنى بنفسه واقتحم فضاءات لطالما كانت حكرا على الرجال" قاعات الرياضة" لأجل ذاته غير مبالي بنظرة الآخر له. فلقد تغيرت موازين الحاكم والمحكوم، وتغيرت الرؤى لهذا الجسد الأنثوي الذي منحته الأيديولوجيات الحديثة مساحة أكثر اتساع يشعر فيها بالراحة ويُمارس طقوسه كيفما يشاء ومتى يشاء، يعيش لنفسه وبنفسه ويعيد اكتشاف الذات وهويته كما يبينه الشكل التالي:



الشكل رقم 9: الجسد الأنثوي بين السيطرة الذاتية والمتطلبات المجتمعية (اعداد الطالبة)

إذا كانت القيم الجمالية متجسدة في المظهر فإن الأنوثة تتحكم فيها الرغبات والتمثلات معاً والتي لا يمكن أن تُفهم في معزل عن الثقافة والخصوصية، فالجسد موطن الشرف حاميه من كل انزلاق يطعن في حرمته ويهتك عرضه. ونعني بذلك الانزلاق عن قوانين العرف والدين والعادات والمتعارف عليها والمشتركة، بحيث يجعل الأنوثة مظهر من مظاهر التكيف الاجتماعي والثقافي، وانسجام مع الموجودات التي تحفظه من كل اختراق رمزي، ويصبح بذلك الفعل التجميلي إما إعلاء للمكانة أو انسلاخ

يقصيه من الحراك الاجتماعي ويوصمه في كل حضور وغياب. فالأنوثة مثقلة بالمفاهيم لصيقة بالجسد ومحملة بالتمثلات التي تحجبه أكثر مما تكشفه.

1.الجمال الأنثوي في مشرحة الميديا الوسم والعلامة

يلعب الإعلام دورًا بارزاً ومحورياً في تشكيل صورة الجمال الأنثوي وتشكيل قوالب الأنوثة المُوَحِّدَة والمُحَدَّدَة حول ما يجب أن تكون عليه أنثى العصر الراهن، تُظهرها وفق قوالب جاهزة ومعايير جمال مثالية وصارمة ترتكز على خصائص جسدية معينة "**مواكبة**" لموضة الجمال وعن كيفية بلوغ الجسد المثالي، المتماهي مع تلك الأجساد الفاتنة الجميلة للمذيعات، الفنانات، المؤثرات عبر مختلف الوسائط الرقمية.

1.1. منصات التواصل الاجتماعي وتنميط الذوق الجمالي

تلعب منصات التواصل الاجتماعي عبر العالم وفي المجتمعات العربية عامة ومجتمع البحث خاصة الدور البارز في بعث الجسد الأنثوي وتشكيل تمثلاته حيث تتربع على المشهد العام. ويعتبر " **الفيسبوك والانستغرام التيك توك**" الأكثر استخداما ورواجاً بما تتيحه من فرصة للأنثى للتعبير عن نفسها من خلال المحتوى الذي يُعرض عليها أو تَّعرضه وتُشارك من خلاله مختلف تجاربها حول الجمال والعناية الجسدية والأنوثة. ومن خلال مُتابعتها لمختلف البرامج والإعلانات التي تُسَوِق لمفهوم الجمال والعناية الجسدية، وفي الغالب تكون لمؤثرات يسوقن لمختلف منتجات العناية الجسدية عبر ما يًعْرَفُ **بالريلز Rilz** مما يعمل على تعزيز معايير جمالية معينة ويخلق رغبات في بلوغ ذلك المظهر الجذاب المعدل رقميا والمنتشر بفعل خوارزميات منظمة. حيث شملت هذه الرغبات وهذا الاقبال كل الفئات والطبقات دون استثناء – بل باتت **المنصَّات** الاجتماعية مدرسة لتعلم كل ما له علاقة بالجمال والانوثة وباتت معايير الجمال مُوحدة تقريبا. وذلك الذي توصلت إليه خبيرة التجميل **Lisa Eldridge** في كتابها عن "**فن التجميل** " حيث تؤكد على أن انتشار ثقافة الصورة أحدث ثورة في عالم التجميل الذي كان مقتصراً على الطبقات الارستقراطية التي تتباهى بزبنيتهن وجمالهن دون نساء الطبقات العامة، أما بعد ثورة الإعلام فقد أصبحت جميع النساء تطمحن لِتَكُنَّ مثل المشاهير أو جميلات المجلات ووسائل الإعلام وأصبح الجمال والتجميل أمراً ديموقراطياً ومتَاحاً بين كافة نساء العالم[1] وإن كانت بنسب

[1] جيهان قيس عبد القادر وزينب محمد صالح، **التغيرات الاجتماعية والثقافية وانعكاساتها على معايير الجمال الانثوي**، مجلة الدراسات المستدامة، السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد الأول، الملحق1، 2023، ص45

متفاوتة– لكن البادي أن التجميل تملك العقول واستحوذ على الوعي وبات الصولجان السحري لحياة الأنثى المعاصرة والمجتمع الاستهلاكي الذي نعيش فيه. [1] فلم يعد الجمال الأنثوي خاضعاً لفعل العناية الجسدية والممارسات التجميلية المُنتجة داخل الفضاءات الحميمية المختلفة التسميات والتخصصات التي وقفنا عليها خلال انجازنا لهذا العمل، حيث تتفق إلى حد بعيد ما توصلت له الباحثة "**خيرة بن زيان**" [2] في أطروحتها عن المرأة والفضاءات الحميمية، فحسبها هذه الفضاءات" **الحمام، السوق الحلاقة**" وغيرها تعيد تشكيل الجسد وبعثه ليغدو مجالًا رمزيًا تتقاطع فيه دلالات الطهارة، والأنوثة، والهوية الاجتماعية والضبط الأخلاقي وتتجسّد فيها التمثلات الاجتماعية عن الجسد المثالي، والأنوثة المرغوبة.

لقد بات الاعلام مُنتجا لنماذج وقوالب جاهزة تُعرض على السوشل ميديا بكل وسائطها، بل فعلاً وعمليات مُمنهجة تتحكم في الوعي الجمعي وعملية تُدار على عدة مستويات "معرفية، نفسية اقتصادية تقنية ودينية..." من خلال ما تُسوِّق له من نماذج يصعب مقاومتها، وبالتالي فما هي إلا هيمنة وإكراه غير مباشر يوجِّه الاذواق الفردية والجماعية ويعيد صياغة الرغبة، كما يثير المخاوف المرتبطة بالعادات والمعتقدات ضمن ما يعرف بالتمثلات الاجتماعية والثقافية. وأصبح بذلك الجسد مُهيئ ومُتقبِّل لكل تلك التحسينات والتغييرات الرقمية المؤثرة في تشكيل معايير الجمال وقوالبه الساحرة السريعة الانتشار والباسطة بظلالها على مظهره داعية إياها للانخراط فيما يعرف **بالموضة** المسوق لها عبر هذه المنصات الرقمية أو ما يعرف اليوم باسم "**style ستيل**" الذي يدخل في تنميط الجمال وقولبة الأذواق ضمن معايير ومزاج عالمي موحد، غير أن ما تعرضه هذه الفضاءات التي شملها عملنا من صور وفيديوهات لمختلف الممارسات التجميلية دين جديد للجسد الانثوي، ظهرت معه ما يعرف "**بالمودلMODEL** العارضة" التي تظهر على صفحات المُمارسات اثناء جلسات العناية بالشعر، الوجه ، الأظافر وأحيانا حتى أثناء العناية ببعض المناطق الحميمة دون أن تتقاضى على ذلك أجر أو تكتسب شهرة. فلقد تم استغلالها مرتين مرة من طرف مالكات الفضاءات ومرة أخرى من طرف خوارزميات العوالم الرقمية التي تعرض جسدها كمادة يزيد وينقص رأسمالها في سوق الترددات التي تقاس بـ **الجام واللايك** على هذه الصفحات الخاصة بفضاءات التجميل وقولبة الأجساد التي انخرطنا فيها وتتبعنا سيرورة ممارساتها عبر صفحاتها

[1] صالح عبد الله العقيل، **العوامل الاجتماعية والنفسية المرتبطة باقبال الفتاة السعودية على عمليات التجميل** الجراحية، (بتصرف)

[2] بن زيان خيرة، **المرأة والفضاءات الاجتماعية المحلية(السوق ، الحمام، الحلاقة)دراسة ميدانية لمدينة حمام بوحجر**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع منشورة، جامعة وهران2 محمد بن احمد،2017.

عَلَّنَا نفك شفراتها الظاهرة والخفية مستعينين بما صورناه بكاميراتنا –منعنا لعدة مرات– أو تم أخذها من صفحاتها مما جعل الجسد أداة إشهار فعال تتغذى منها موضة الجمال ضمنيا.

2.1. الجمال الرقمي وفلاتر الظهور

يعرف عصرنا الحالي ثورة تقنية رهيبة حملت للجسد الكثير من الوجوه الجميلة المعدَّلة عبر **فلاتر** جاهزة تمنح الأنثى المظهر الفاتن والجسد الجميل تماماً كما يحدث داخل فضاءات التجميل ومن دون عناء. حيث تمنح التطبيقات الرقمية الأنثى مظهراً جميلاً معدَّلاً تختاره من بين عدة خيارات أنتجتها تكنولوجيا الاعلام الرقمي أو ما تمنحه تلك **الفلاتر** الجاهزة من فرصة للظهور بالمظهر الذي تريده الأنثى من خلال تلك التطبيقات الحديثة "**سناب شات**". حيث تستخدمها الأنثى وتستعين بمختلف تقنياتها الرقمية لتحسين مظهرها مما يتيح لها بالظهور على وسائل التواصل الاجتماعي بالشكل الذي ترغب فيه. فزاد الاقبال على الأجساد "**المُعدلة**" التي تجعل المظاهر والأجساد أكثر بهاء وجمال، رغم أنه جمال رقمي إلا أنه أكثر قبول وتحكم. وأصبح بذلك الجمال الرقمي سمة العصر الحالي وقانونه المسيطر والمُتحكم الأول والدائم في كل ظهور للأنثى على منصاتها تتحكم في التمثلات الفردية والجماعية حول مفهوم الجسد والأنوثة بما يُعرض من قوالب جاهزة **(فلاتر)** كما أصبح لديها إمكانية امتلاك جسد افتراضي يخضع لقواعد عالمية تتشاركها مع مستخدمي هذه القوالب والفلاتر بعدما كانت تتقاسم الممارسات مع المشاركات في الفضاء، وتعدت المشاركة أسوار العائلة والمجتمع عابرة الحدود القارات بعيداً عن الجسد الحقيقي الواقعي. يُعدّ أحد السبل لبناء صورة مرغوبة عن الذات ويسمح بتصحيح أي عيب من أي نوع للاقتراب من النموذج المنشود. حيث أن هذه الفلاتر **Filtering** أو الصور الرقمية تعمل على اظهار الجسد بقياسات معينة تبرز جماله المدروسة بعناية بتأثير من تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي الذي يجعل منها نماذج جاهز للاستخدام الواقعي المبني على التعديلات الرقمية، وكأنها مدرسة تعلم الأنثى كيف تعتني لتصل للجمال المثالي. بل ترسم لها نموذجا لا تحيد عنه ما يغير من معايير الجمال كلها. غير أنها غير قابلة للتحقق في الواقع.

لقد أصبح الاعلام بذلك قوة عالمية مؤثرة في تشكيل معايير الجمال الأنثوي وقوالبه في المجتمعات العربية والحديثة، وفي مختبرنا البحثي خاصة حيث تلعب تلك **الفلاتر** دور المؤثر والموجه –القوة الناعمة– وسلطة يصعب الوقوف في وجهها فتدفقها سريع وانتشارها مستمر متجدد يجذب باستمرار ما كان له الدور المؤثر على تشكل الذوق الجمالي ومعايير القبول المجتمعي الحديثة التي يجب ألا تحيد

عنها الأنثى. واحتل بذلك الجمال والجسد مكاناً خاصاً ارتبط **بالوسم والعلامة، بالجاذبية والرغبة** في التماهي مع تلك الصور الخالية من كل العيوب بفضل التكنولوجيا الرقمية المعدلة حتى باتت الوجوه مشرقة خالية من كل عيب تجذب اليها الباحثات عن الحسن والجمال والسعي لبلوغه، فساهمت في ظهور جمال عالمي عبر صيحات الموضة ترند **Trend** وباتت الصورة مهمة حتى وُصف العصر العالي بأنه **عصر الصورة** التي أصبحت تلعب دور البطولة في حياة الأنثى وكل المجتمع، جعلتها مشغولة بمظهرها وجمال وجهها وشكل جسدها، تُغير مالا تريده الى ما تحلم به من خلال تطبيقات مجهزة للاستهلاك. وبات المظهر الخارجي والجمال الجسدي الأساس في القبول لما له من جاذبية للمتلقي أو المشاهد... أنها حتمية الشخصية والاغواء. [1] دورها كبير في تعزيز التصورات المجتمعية حول الأدوار الجندرية، وخاصةً ما يتعلق بالمرأة ومظهرها. وعليه فإن هذه القوالب التي يُعيد الإعلام إنتاجها باستمرار كالجمال المثالي والإطلالة المتناسقة لا تؤثر فقط على الأنثى بل تؤدي أيضًا إلى ترسيخ توقعات معينة وتمثلات لدى المجتمع. وقد يرتبط هذا التوقع بتقييم قدرات المرأة وشخصيتها بناءً على مظهرها الخارجي.

وعليه فإن وسائل الاعلام ووسائطه المختلفة مؤسسات تنشئة اجتماعية فعالة في توجيه الذوق الفردي والجماعي، بل مؤسسة رمزية لإنتاج معترف به اجتماعيا لها دور في بناء التمثلات الاجتماعية حول مفهوم الجسد و الأنوثة والجمال، فهي دوما تضع اختياراتها على المحك وتعمل على توجيه اختيارات المجتمع وتوجه الانتقاء، بل وتوجه الاذواق وتُثَبِّتُهَا في الوعي الجمعي باعتبارها واقعاً معاشاً ونموذجاً راهناً تشترك فيه المجتمعات الراهنة، فالإعلام لم يقرب المسافات فحسب بل **وَحَّدَ** الاذواق لتظهر في خطاب حداثي أكثر انفتاح على الغرب. ما جعل المجتمع في مواجهة عدو وسباق مجهول –**رمزي**– لا يُرى إلا في تلك الأجساد التي تظهر على شاشاته منتَهِكة لمعايير المجتمع قيمه واعرافه. من خلال الصور والفيديوهات المعروضة والمعدلة بأحدث التقنيات والبرامج على نحو الخيال يجعل الأنثى تنقاد لها وتجعلها أسيرة برامجها وانتاجاتها التي تؤطر فكرها وتسلب رغبتها حيت تجعلها تتماهى مع قوالبها و/ أو تنخرط في عوالمها. واستلمت زمام الأمور كمدرسة مفتوحة لا توصد أبوابها يمكنك الدخول لها متى شئت بمجرد نقرة واحد تدخل وتتخذ لك مكاناً قاراً يَحفظ اسمك وبياناتك وكل تاريخك وذكرياتك، بل ويسمح لك بالاطلاع على المحتوى متى تشاء وتشاركه متى تريد ومع من تريد. إنه اغواء مُستبد وصورة من صور الافتتان واستلاب غَيَّرَ ملامح الأنثى وأصبح المحدد الأول للاختياراتها والموجه لتمثلاتها. فلم

[1] جيل ليبوفتسكين **مرجع سابق**، ص234.

يعد الجسد الأنثوي حسب **محمد عبد الوهاب يوسفي** حبيس البيت وسجين العادات والأعراف والتقاليد، او مُشاع تحركه الرغبة، انما هو جوهر في الوجود له ابعاده المتعددة ووظائفه المختلفة والفعالة في صلب الاسرة وصلب المجتمع.[1] مما يستوجب سن تشريعات للحد من هذه التلاعبات المنشورة على منصات التواصل واستخدام هذه **الفلاتر** ، خاصة الاستثمار الإعلاني المُزيف الجالب للكثير من الاستثمار، واذا كان الأمر يخص الرقابة فانه ينبغي مراقبة تلك الفضاءات التي تسوق لخدماتها عبر منصات التواصل ورقابة تلك الممارسات والتجاوزات الخدماتية والمهنية والأخلاقية لان استهلاك الجسد تعدى حدود المقبول والمباح بشراسة .

2.الجسد الأنثوي وخطابات الأنوثة البعد الجمالي والتجاري

يظهر الجسد الأنثوي كخطاب خاص يُبدي ويُخفي التمثلات التقليدية والحديثة المنسوجة حوله في آن واحد، المثقلة بضخامة قوة الخطاب الرادع والمهيمن. وعليه فاللغة شبيهة بالعملة ذات وجهين تَظهر التمثلات على وجه والحداثة على الوجه الثاني ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، بل ولا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر إنها منظومة دقيقة مستمدة من الأنا والآخر. ورغم أن لكل وجه مفاهيمه ومدلولاته وقوانينه إلا أنه لا يمكن الفصل بينهما فالثوابت الثقافية تفضحهما وتجبرهما على الانسجام. فلقد خلقت الموضة جسداً جديداً أُقبل على الاعتناء بذاته وأعاد ترتيب القيم وتنسيقها وشرعنها باسم الحياة العصرية والرفاهية واتباع الرغبات المتجددة في العناية بالمظهر وخلق توجها ثقافيا جديدا للأنثى اللاهثة وراء الرغبة والرفاه، وحققت بذلك الانثى الشاوية الحد الأقصى من التحول والانسلاخ عن القيم التقليدية ما خلق مساحة للجسد أكثر انسجام في الصيانة والعناية والتجميل شريطة الحفاظ على الرواسب الاجتماعية والثقافية لديمومة الثابت من المعايير التي ما تزال فعَّالة تحفظ الهوية والانتماء...ان هناك استقلال خاص لكن أكثر حميمية، ذلك هو شقاء الموضة التي تجعلنا اشكاليين في أنفسنا وفي الآخرين.[2]

1.2. فضاءات تجميلية أم سوق تجارية؟

[1] محمد عبد الوهاب يوسفي، **جسد الانثى بين الخطاب الديني والخطاب الاعلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، طـ، 2009، ص86.

[2] جيل ليبوفتسكس، **مرجع سابق**، ص288

إن هذه الفضاءات التجميلية نعتبرها سوقاً ومؤسسة اقتصادية تجذب إليها الراغبات في الجمال غير أنها تختلف عن السوق باعتبارها فضاء مغلق وحميمي له تنظيمه ولغته الخاصة تماماً كأي نظام اجتماعي بمستوياته التي تقترب من تلك المستويات التي أقرها **غيرتز Clifford Geertz** في دراسته للسوق وفق الشكل التالي:

الشكل رقم 10: فضاءات التجميل ام سوق تجارية؟



من أنا؟ ومن أنت؟ هذان المكونان هما من يحدد الانتساب لهذه المعابد حسب الرغبة (التجميل الحلاقة، الرياضة..) وفي بعض الأحيان حسب القدرة (المال) لأن التكلفة فيها متغيرة باستمرار، كما أن لها نظامها الخاص الذي يُحدد الانتساب تماما مثلما يحدث في السوق من خلال تنظيمه المحكم وتأطيره الذي يحدد النظرة إلى الذات والى الآخر -بعظهم إلى بعض- ويعمل على تنظيم كل المبادلات السوسيوثقافي في قالبها الاقتصادية المنظم والمدروس:

- **مجال للاتصال والتبادل:** التفاعلات داخل هذه المساحات الحميمية مهمة بين الوافدين اليها والفاعلين الاجتماعيين على حسب حاجتهم من مختلف الاعمار والطبقات، كفضاءات استثمارية (تجارية) بالدرجة الأولى، لها خصوصيتها، ديكوراتها وخططها التنظيمية منذ نشأتها.
- **المعلومة:** إن التنظيم وتنوع المفاهيم والمعلمات ميزة فضاءات صناعة الجسد عن غيرها من الفضاءات الاقتصادية الأخرى تتميز بندرة المعلومة (الثمن، التكلفة الجودة) ذلك ما يحدد طريقة العمل ويوجه سلوك الفاعلين الاجتماعيين داخل هذا التنظيم الاجتماعي- الاقتصادي. وبناء على ذلك يزداد التوسع وتتنوع الممارسات، وتُبنى العلاقات وتزداد التفاعلات وتتكرر ما يُعطي لها أهمية

يبنى الذات والأخر. [1] فالتبادلات الرمزية داخل هذه الفضاءات المبنية على التكلفة والعائد تراهن على المكانة والموقع وتراهن على أهميتها في حياة الأنثى والمجتمع والتبادلات والاستثمار مفعمة بالرواسب الثقافية والتعقيدات الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية يصعب الفصل فيها فنحن أمام فعل اجتماعي على درجة من التشابك والتعقيد والتفاعل.

2.2. الجسد الجميل والجسد الاستثماري

في زمن الحداثة تلاشت كل الحدود التقليدية التي كانت تتحكم في جمال الأنثى وتتجاهله وتستنكره ، فلقد ارتبط الجمال في هذا العصر بالفخامة والاستهلاك المفرط للموضة واستراتيجية التسويق ، وأصبح الجسد الجميل أداة تجارية، متاحاً في كل مكان وزمان.....فلم يعد الجمال في عصر الحداثة مقتصر على فئة معينة بل أتاحت ثقافة الجسد والفردانية والاستحقاق للمرأة فرصة الاقبال على الجمال مستعملة كل تقنياته وأدواته وساعدها في ذلك الاعلام وتدفق التكنولوجيا الحديثة التي غزت حياة الانثى من شتى الاعمار ومختلف الطبقات واصبح الجمال ليس له عمر ولا انتماء [2] وأن إقبال الأنثى على التجميل وإبداء مظهرها رفضٌ ضمني للنظرة التقليدية لها والتي تريدها ممتلئة –**امرأة ونص**– مكتنزة كاملة الاوصاف، فلم يعد الجمال الجسدي مطلباً أنثويا فحسب بل هوساً فقدت معه الحرية في الاختيار وانخرطت في لعبة التجميل واستغلت هي وجسدها دون أن تدري واستلبت هويتها وهي تبحث عن الانفتاح والحرية الاجتماعية والاستقلالية. وبذلك صنعت الحداثة جسداً متحرراً من كل سلطة تقليدية، وبدا تزيينه وتجميله وفق ما تتطلب قوى الموضة من فتنة واغراء. مما خلق إقبالاً من الأجساد اللاهثة وراء المظاهر الذي يُباع ويُشترى في سوق الماركات العالمية يُقولب ويُنمط وفق النماذج الحداثية الجاهزة. وتحولت الرغبة في امتلاك قوام جميل وجسد مَتَّسْقٍ فعلاً يُنِمُّ عن التحرر والانسلاخ من كل القيم و الطابهوت التي تحيط به وتضبطه نتيجة هذا التحول الرهيب في خدمة الجسد والافتتان به والهوس بمظهره. وتذوب في عوالمه الاستثمارية ومخططاتها الاستهلاكية التي حولته وحولت الانثى إلى بضاعة تباع وتشترى في سوق الجمال، وبهذا الشكل ووفقاً لهذه الرؤى والمعطيات تكشَّف لنا انسلاخ الجسد الأنثوي عن جسد الجماعة وعن قيمه وقوانينه حينما قبل بقيم الحداثة وامتثل لقوانينها مقاييسها وخطاباتها في تمثلاته وفي اعتنائه بذاته وذلك ما افضى به الميدان في العيادات الطبية ومراكز العناية الجسدية

[1] محمد حبيدة، **الانثروبولوجيا من البنيوية الى التأويلية**، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص91 بتصرف

[2] عزيزة زواغي، **المراة في عصر الحداثة المفرطة من البعد الجمالي الى البعد التجاري – جيل ليبوفيتسكي انموذجا**، مجلة المعيار، مجلد 27 عدد5 (رت 75) ،2023، ص 248

وصالونات الحلاقة والتجميل ونوادي رياضة واللياقة البدينة وغيرها من الفضاءات الحميمية التي شملها عملنا حيث تعتني وتتفنن وتبالغ في الزينة والتجميل واصطناع مظهر جذاب وكأنها تحفة تجذب المشترين او حتى التوقف عندها للاستمتاع بمظهرها الجذاب.[1] وباتت تلعب الدور البارز في تَشَكُّلْ وعي الأنثى وتبني قيم وتمثلات المجتمع. وتعيد انتاج مفاهيم ومعاني جديدة وتوجهات جديدا لعبادة الجسد الذي طالما توجَّست منه المجتمعات التقليدية وأحاطته بطقوس وضوابط تحفظه وتحد من انزلاقاته.

يُظهر لنا التحليل **الأنثروبولوجي** لتمثلات الجسد الأنثوي أنه يقع في مفترق الطرق بين الصحة والجمال، الدين والاقتصاد... وأضحى مجال استثمار حقيقي في عصر التحولات التكنولوجية و التغيرات السوسيوثقافية والاقتصادية بمختلف آلياتها وتقنياتها المتجددة والمتطورة التي افرزتها الحداثة والانفتاح الاقتصادي والتكنولوجي، فلقد حولته إلى سوق استثمار عالمي من خلال التسويق لمختلف تقنيات العناية الجسدية المتطورة والحديثة التي تخدم الجسد وتحسن مظهره وتستثمر في راحتة النفسية والجسدية من خلال عرضه على مختلف منصات التواصل الاجتماعي مما خلق سوق جمالية تشجع على الانخراط للكثيرات من ممارسات وزبونات (منتجة، مستهلكة) تبعث على ديمومة الاستثمار في الجسد كمادة أولية للاقتصاد. وما توفره الخدمات من ربح ومداخيل تزيد من الفوارق بين الفضاءات حسب خدماتها والتقنيات المستخدمة فيها بحيث يصبح لها زبوناتها المفضلات المقتدرات على دفع التكاليف الباهظة " **الليزر التقشير، النفخ...**" ويعتبر هذا شكلاً من أشكال الهيمنة والسلطة الرمزية التي تفرض قوالبها الجمالية مقابل التكلفة المدفوعة، فتزداد الفجوة بين الرغبة والقدرة المالية مما ينتج معايير جديدة للجمال تُفرض على الأنثى وتتطلب تكلفة للاستمرار، فتقبض هذه السوق الجمالية بيدها على الجسد الأنثوي وتمارس عليه هيمنة حقيقية وسلطة رمزية تجبرها على الانخراط وتنزع منها القدرة على الاختيار، فالاختيار مغري يصعب مقاومته. وبالتالي فإن اتخاذ قراراتها بشأن ظهورها ومظهرا مرهون بكل جديد تنتجه الموضة وبذلك فحريتها ينتهي بانتهاء صلاحية الموضة ومن ثم فان أي خروج عن خيارتها وانماطها سيعرضها للنبذ والاقصاء [4] وبالتالي فالأنثى مجبرة على الإنفاق وعلى الاستهلاك والذوبان في قوالب الجمال الجاهزة المسوق لها ومن خلالها ...فحسب **نعومي وولف Naomi Wolf** [2] ان هذا النظام يعيد إنتاج منظومة "**أسطورة الجمال**" بوصفها آلية للضبط الاجتماعي تجعل من الجمال فعلاً اقتصادياً تتقاطع

[11] سيمون دي بفوار ، **كيف تفكر المرأة**، المركز العربي للنشر بالإسكندرية، القاهرة،دط، ص ص18،14 (بتصرف)

[2] Naomi Wolf, *The Beauty Myth.* (New York : Harper Collins, 1991.P94.

فيه القيم والمعايير الثقافية بالاقتصادية والاجتماعية وحتى القيمية الدينية التي تعيد انتاج مفاهيمه ومعاييره. وتراهن على مكانة الأنثى داخل المجتمع. حتى انتقلت الى فضاءات أخرى أكثر حميمية "**المحلات التجارية**" بما توفره من منتجات التجميل وماركات موضة العناية الجسدية التي اشتركت في لعبة صناعة الذوق الجمالي، وعملت على الترويج لنموذج الجسد الأنثوي وتوحيد مقاييس الجمال خدمة لمسوقي ومنتجي الجمال. ويصبح بذلك الجسد مادة خام جاهزة للاستهلاك حسب رغباتهم وأهدافهم الاقتصادية. يباع الجسد ويشترى بتواطئ من صاحبته التي انخرطت في هذه اللعبة الجسدية طوعاً ومنحت جسدها لمالكي الماركات ومسوقي المنتجات والممارسات للاستثمار فيه ومن خلاله (لمَّا ظهرت بمظهر **العارضة** عارضة جسدها وتدفع الثّمن هي بدل أن يُدفع لها، لما تزينت وتغنجت ومارست كل فعل تجميلي وسوقت لكل ذلك بلا وعي. طغت مقاييس الجمال وتوحدت الأذواق في مختلف ربوع العالم واختفت ملامح الشعوب حتى كادت تقضي على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية ومجتمعنا تحديدا (الشاوي، الامازيغي) ما يضع الأنثى في اختبار تقييمي على الدوام ترى مظهرها وتقيمه في مرآة الآخر (العربي والغربي) جراء محاكاتها للنماذج المعروضة أمامها من قريب ومن بعيد. وبذلك أصبحت الأجساد والوجوه متشابه **كالدمى** يصعب معها تحديد الانتماء والمكانة والعمر، وأن مجتمعنا البحثي ليس بمنئ عما يحدث وطنيا وعالميا يطل علينا من نوافذ الميديا التي قربت كل بعيد واخترقت الخصوصيات بل وتكاد تقضي على السمات الثقافية للمجتمعات الإسلامية العربية عامة وتخترق سمات المجتمع وخصوصيته الثقافية.

3.2. الجمال تحت الكمامة الاتصال والانفصال

اجتاح العالم **وباء Covid** كوفيد **19** الغير مسبوق الذي حمل معه حجراً صحياً أقصى الجسد من كل حراك وتفاعل اجتماعي وثقافي، وأصيب الجسد الأنثوي بالقلق والخوف من فقدان الجاذبية والاغراء وخافت الأنثى من فقدان المظهر وانطفاء الانوثة – المتزوجة– لم يكن الأمر سهلاً عليها خاصة بعدما تراجعت فرص الاعتناء بالجسد في الفضاءات الحميمة التي تمنحها الحسن والجمال. والتي أغلقت بفعل الفيروس الي يمنع التقارب ويوجب العزلة، ولما كان الاعتناء بالجسد يتطلب مرآة تقيمه وتقومه فان كوفيد19 أنهى دورها واعادها للبيت لتكتفي بمرآتها إما لتتبع حالة الوجه الشاحب الذي أنهكه المرض أو ترقبه خوفاً من الإصابة. فمرحلة كوفيد أنهت دور المرآة بعد غلق فضاءات التجميل، ولم يبقى أمام

الأنثى إلا مرآتها لتبعث جمالها وترقب انعكاس صورتها عليها. فلقد فقدت الأنثى شغف الاعتناء وهوس المظهر بعدما فقدت الاتصال ولقد حدثتنا مبحوثاتنا بحرقة عن هذه المرحلة **(المقابلة رقم38)**

مَسْتَحِيلْ نَنْسَى وَلاَّ تَنْسَى أَيْ وَحْدَة وَاشْ دَارَتْ فِينَا كُورونَا مَتْنَا بْلاَ مُوتْ

مَكَفَّنَاشْ لْمَرَضْ زَادْ اعَلِينَا لْحَجَرْ مَا تُخْرْجِي لَلْحَفَّافَة مَا تَشْرِي كُسْمِتِيكْ

تُجْمِعُ كل من قابلناهن وأجرينا معهن المقابلات أنا مرحلة **كورونا** فترة عصيبة يستحيل محوها من ذاكرة كل من عاشها فلقد تحدثت الكثيرات عنها بحرقة الفقد والوجع، وعن تراجع العناية بالمظهر والخوف الذي تملكهن من فقدان حياتهن الحميمية (المتزوجات) وذهاب بريقهن المشع من المرآة التي لم يعدن قادرات على الوقوف أمامها. فلق اندتشرت دينامية جديدة حولت مفاهيم الجمال والأنوثة من التجميل الى العناية وإعادة بعث الجمال البسيط المعتمد على الطبيعة، وحلَّت مرحلة جديدة في تاريخ الجنس الجميل أي مرحلته الوقائية في رسم الحدود بين الجمال والصحة. وباتت الممارسات التجميلية التقليدية مشروعة والإقبال عليها مُشترك منقول على منصات التواصل الاجتماعية. بعدما سيطرت على الأنثى مخاوف فقدان الجاذبية حتى إن لم يكن اتصال أو تفاعل. فالعناية بالمظهر سيطر عليها وهوس الظهور والمظهر يُحركها ويوجه طاقتها للحفاظ على ديمومة الشباب. وذلك الذي تناقلته النساء عبر منصات التواصل الاجتماعي من تبادل لمختلف الوصفات الحميمة والسحرية للتجميل وما تحمل معها من اسرار الانوثة والأمومة المعبرة عن ثقافة المجتمع في جعل المظهر بُعداً ثانيا للهوية الأنثوية وسلطة فاعلة للقبول هذا دليل على التحرر المتنامي والفردانية وقدرتهن التصدي للتقليدي الذي يرونه هشا بل وقدرتهن على التغيير ومزيدا من الارتقاء في سلم الحرية تتجاوز كل الاكراهات الاجتماعية التي لم تعد اساطير الامومة والحياة المنزلية والعفة والسلبية قادرة على القيام بها ، انها تسعة لما قدمته النسوية ماديا وعلنيا ... وظهرت عقيدة جديدة باستخدام التجميل والعناية الجسدية كاساليب لمواجهة تلك البنى التقليدية القمعية والطقوس التقليدية وظيفيا ومنحتهن سيطرة على اجسادهن بفعل تطور تقنيات العناية الجسدية والتجميل (جراحية وغير جراحي)

خلاصة

إن ما وقفنا عليه في هذا الفصل تجربة حقيقة ومعاينة لحظية للممارسات التجميلية في مختلف فضاءات التجميل والعناية الجسدية، والتي بينت لنا أن التجميل لعبة جسدية عصيَّة لا يمكن تجاوزها ولا إنكارها، وليس بالخاصية الفردية ولا الفعل المعزول عن الآخرين بل بناء وممارسة سوسيوثقافي تُعيد بناء وتشكيل الهوية الأنثوية وتقييمها داخل سياجها الاجتماعي باعتبارها رأسمال رمزي يبعث على القبول والاستمرار وعلى الاعتراف والاقصاء. وبذلك يصبح الجسد مشروعاً استثمارياً مستمراً لإعادة تشكيل الذات بما يتلاءم مع توقعات الجماعة والمجتمع. وعليه وجب الانتباه للتحولات التي تتركها لعبة التصنيفات الجسدية التي حوَّلت الأنثى إلى مشروع إستثماري وسلعة تباع وتشترى بتاريخ صلاحية من خلال ما تسوق له الإعلانات في منصات التواصل والسوشل ميديا التي جعلت منه أداة للتسويق أيضا. فاستغلت الأنثى واستغل جسدها باسم الحداثة والتحرر وتحكمت في تمثلاته الفردية والجماعية بفرض معايير جمالية دخيلة.



عرض ومناقشة نتائـج الدراسـة



:

نتائج الدراسة

تأتي نتائج هذه الدراسة التي دامت سنوات من البحث والتقصي "**2018-2026**" في سياق مقاربة **أنثربولوجية** سَعَيْنَا من خلالها إلى تفكيك العلاقة المركّبة بين الجسد الأنثوي وتمثلاته الاجتماعية بالاعتماد على البحث الكيفي المستند على التحليل **الاثنوغرافي** بكل أدواته البحثية ومناقشتها على المستوى البحثي الميداني والابستمولوجي. وعليه فإن ما توصلت إليه الدراسة لا يُقَدَّمُ بوصفه معطيات وصفية فحسب إنما هي قراءة معمقة لتلك الرموز والمعاني وديناميات التفاوض بين الرغبة والاختيار الفردي، القولبة والضبط الاجتماعي وبين الذوق المحلي (الشاوي) والعالمي **المُعَوْلَمْ**. وعليه فلقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ساهمت في فهم تمثلات المجتمع المحلي (الباتني- الشاوي) حول الجسد الأنثوي والأنوثة تُنم عن تحول ثقافي كبير وديناميكية متنامية تبدو غير محسوسة غير أننا نعتبرها الأثقل من أي وقت مضى وأكثر تحكما في الذوق الجمالي يتضح من خلال ميل الكثيرات إلى تجديد أجسادهن وبعث جمالهن "**صغيرات – كبيرات-عازبات- متزوجات**" دون وعي بالعوائق والنتائج التي تتعدى حدود المتوارث والمتحكم فيه، توطدت قبضتها وانفتحت على كل ثنايا الجسد حتى لامست ما كان منسي في طقوس العناية الجسدية "**الأطراف السفلية**" وعليه لا يمكننا أن نتجاهل ميزة التطور التقني والتكنولوجي في خلق احتياجات جديدة لهذا الجسد، بل الهوس المتجدد بتجدد التقنيات التي ترهق الأنثى مادياً وجسدياً ونفسياً. وعليه لقد أسفرت دراستنا على جملة من النتائج يمكنا مناقشتها على المستوى الانثروبولوجي:

1. لقد تراجعت مختلف آليات تدبير الجسد التقليدية المرتبطة بالموروث والذاكرة الجمعية. حيث لم تعد تَلقى الاقبال والقبول من أنثى مجتمعنا المحلي كما كانت عليه من قبل حتى وإن كانت **كُلْفتها** "ثمنها" في متناول الجميع مُقابل ارتفاع أسعار ممارسات العناية الجسدية الحديثة. إذ تُظهر الأنثى عزوفاً كبيراً عنها متبوع بتبريرات ترى أنها عقلانية أهمها أن مقاييس الجمال تغيرت وسيطرت بذلك التقنيات الحديثة على المشهد العام وعلى الرَّغبة والاختيار للكثيرات من مختلف الأعمار. وتربعت هذه الآليات الحديثة بتقنياتها المتطورة والمتجددة على عرش اهتمامات أنثى العصر الراهن، جذبتها إليها وجعلتها تجوب مختلف فضاءات التجميل بحثاً عن الجمال والجاذبية لإثبات الذات والحصول على القبول.

2. لم يعد الجسد الأنثوي في عالم الحداثة مُرتبط بالقيم ولا مُنتج للمعنى بل أصبح متحراً باحثاً

عن الراحة والرفاهية، تَغَيَّرَت مفاهيمه لتستقر على الاعتناء المفرط بالشكل المتحرر من كل القيم والقيود المجتمعية. وبات حبيس الرغبة والشهوة فاقد للسيطرة يذوب في قوالب جاهزة متجددة على الدوام بحثاً عن الجمال الفاتن والشباب الدائم رغم أنه يُبدي أحيانا تمسكاً بتمثلاته الاجتماعية ويحنو إلى كل ما هو تقليدي في مفهوم الجمال والأنوثة وفي إقباله على الجسد، والاعتناء به والافتتان بمظهره.

3. العلاقة بين الجسد والجمال الأنثوي ليست علاقة عرضية إنما هي علاقة تنبع من اتصال وثيق بين الذات والصورة المثالية، يحفظها تاريخ الفكر والفنون والعادات والدين ويشهد عليها الاهتمام الذي تُبديه كل أنثى وكل فرد بمظهره. هذا الاهتمام الذي ازدادت حدته اليوم بسبب تطور آليات صناعة الجسد وتقنيات الاعتناء به وانتشار وسائل الاعلام بمختلف وسائطها ما زاد من إقبال الأنثى على خدمة جسدها والافراط في العناية به وتجميله والذي لا يُعتبر شكل من أشكال التماهي مع قيم الحداثة فحسب إنما هو انسلاخ عن قيم ومعايير الجمال التي أوجدها المجتمع المحلي، ومؤشر بزوغ قيم الفردانية والملكية التي تتحكم في الأذواق وتوجهها.

4. تغيرت تمثلات المجتمع حول مفهوم الأنوثة والعناية الجسدية بتغير كل الممارسات والتقنيات المحيطة به والمتحكمة فيه من قريب ومن بعيد مما زاد من الانخراط والتماهي معها، وتغير بذلك المجتمع بفعل الاختراق الجسدي في الفضاء العام والانسجام مع قوالب الحداثة ووفق النموذج المثالي.

5. أصبح الجسد الأنثوي اليوم سلعة تُباع وتُشترى وصورة تُعرض للناظرين لِيُقَيِّمُوا شكلها ومظهرها ويُقَيِّمُوا جاذبيتها، حيث يرون فيها جسراً وممراً، وسوقا لا تنضب لتسويق مختلف المنتجات والتقنيات المتجددة. حتى جُعل منها ومن جسدها مادة اغرائية دون مراعاة لحُرمتها وقيمها التي يحفظها المجتمع ويُعليها لِتُصْبِحَ كالدمية في يد منتجي ومسوقي موضة الجمال يلعبون بثوابتها ويزيدون من انسلاخها وعرضها في الفضاء العام متبرجة عارية بمساحيق التجميل مغيرة شكلها عبر مختلف الممارسات الخاضعة لفعل التقنية المتطورة تنشُد في ذلك الرضى والقَبُول لتُحقق الانسجام، واصبح يُنظر للجسد المُقَبْرَك كقطعة ثمينة تباع و تشترى، وتتطلب الكثير من العناية على الدوام حتى يدوم بريقها دون أدني اعتبار لكينونته مما يُعيد صياغة مفهوم الأنوثة ويُعيد انتاج الهوية الجندرية سياقها المحلي.

6. تعد فضاءات العناية الجسدية وصالونات التجميل أسواق حميمية ومعابد للنساء، يتجسد فيها الجمال الأنثوي كمنتج وبنية اجتماعية ثقافية معقدة تتجاوز العناية الجسدية الى اكتساب المهارات ونقل المفاهيم والخبرات والتقنيات بين النساء من جيل إلى جيل آخر كما تعتبر مدرسة غير رسمية تتفاعل فيها قيم الهوية الجندرية بالتمثلات الاجتماعية. وإن هذا التفاعل لا يقتصر على محاولة تحسين المظهر الجسدي فحسب، بل هو إعادة إنتاج القبول الاجتماعي. وباتت الانثى مجرد صورة تختزل في الجسد (الوجه) توحد مفاهيم الجمال وتوحد الاهتمام بالتفاصيل عبر مختلف الممارسات والتقنيات التي تتقاسمها هذه الفضاءات

7. يُعاد انتاج الجسد الأنثوي ثقافيًا واجتماعيا عبر بناء لغوي صارم مُحكم العبارات والألفاظ يذوب في الهوية الهربية والامازيغية عبر خطاباته وعباراته المنظمة. فاللغة تعكس المتخيل الاجتماعي وتظهر كبنية خطابية تتداخل فيها الأنساق الاجتماعية والثقافية التي تشكله وتتحكم في دلالاته، وتعيد بعث التمثلات كقوة موجهة تكرس الهيمنة على هذا الجسد المرسخ في الوعي الجمعي، تنقل التجربة الإنسانية وتعكس معايير وقيم المجتمع المحلي لمفهوم الجمال والانوثة. كسلطة رمزية ليست ككل سلطة.

8. يلعب الاعلام المتعدد الوسائط الدور الوسيط في تشكيل تمثلات الجسد الأنثوي وإعادة إنتاج مفهوم الأنوثة والجندر عبر النماذج والقوالب الجاهزة التي يسوق لها عبر مختلف المنصات الرقمية والتقنيات الحديثة عملت على تحويل الجمال الواقعي إلى جمال رقمي من خلال الصور المعدلة " **فلاتر**" التي تبرز كنماذج جمالية وتبني معايير جديدة للجمال والهوية الانثوية عبر خوارزميات تبني القبول.

9. يعتبر التجميل والطب وجهين لعملة واحدة غير أنه يتطلب الفصل بينهما والانتباه إلى الحدود الفاصلة بينهما، فالتجميل اليوم يقف في منطقة حرجة تتطلب الالتزام بالضوابط الأخلاقية والمهنية في الممارسات التجميلية لأن البعض من الممارسات يُقْدِمُونَ وعود وخدمات زائفة تضر بالصحة كما يقدمون على التجميل باستخدام مختلف التقنيات والتجهيزات الطبية في الغالب لا يفقهون خصوصيتها ولا مخاطرها مما يستوجب تقنين المهنة وفرض الرقابة على هذه الفضاءات خدمة للجسد وحفاظاً عليه وعلى هويته.

10. لم تعد نوادي الرياضة فضاءً حكراً على الرجال بل غدت مجالات اجتماعيا اقتحمتها

الانثى واتخذت منها مجالا لإعادة بناء علاقتها بجسدها كرأسمال اجتماعي تستثمره في زيادة القبول معتبرة إياها أداة فعّالة في خدمة الجسد واستمرار شبابه. وهي بذلك تمثل امتداد لفضاءات العناية الجسدية "طبية، تجميلية" غير انها تختلف عنها في استغنائها عن مستحضرات التجميل والتقنيات التجميلية فالممارسات الرياضية لا تختزل في بعدها الصحي أو الجمالي بل تُعَدُّ فِعْلاً سوسيوثقافي يُعِيُد إنتاج مفهم الذوق الجمالي 'الرشاقة، القوام، القوة...الخ" باعتبارها مؤشرات تعيد تعريف الجسد الجميل وتعبيراً عن الانوثة الراقية.

11.تغيرت القيم التي صنعت مفهوم الأنوثة وحرصت عليها الأسرة لوقت من الزمن بعدما تراجع دور مؤسسات التنشئة ووافق المجتمع بشكل مباشر **و/ أو** غير مباشر على انسلاخها. فمن الحشمة والستر إلى استعراض الجسد متبرجاً بمساحيق التجميل مُعدلاً بعد خضوعه لمختلف عمليات البناء والتسوية والتعديل سواء كان مُحجباً أو مُتبرجاً، صغيراً أو كبيراً. فاليوم نرى أينما رحلنا وارتحلنا أجساداً فاتنة ووجوه جميلة لعبت التقنية بملامحها وأعادت تشكيلها وفق القوالب الحداثية التي أنتجتها الموضة وسوقت لها فغابت المعاني المحلية "الشاوي" لمفهوم الجمال والتجمل وأصبحت رحلة بحث عن إرضاء الذات وبعث الأنوثة والشباب وبلوغ مراتب الجمال المتماهي مع قيم الحداثة وموضة التجميل التي سلبت منها هويتها. وأمام هذا الإكراه الاجتماعي الجديد أصبحت طقوس العناية الجسدية وممارسات التجميل الرقيب الجديد والحميمي للجسد الأنثوي الذي تولدت معه معايير جمال هجينة.

ما نود قوله في الأخير أننا اليوم نقف أمام معاير جديدة، عالمية أوجدها سوق الإعلام وسوق لها عبر مختلف وسائطه ومستعمليه، كما ساهم استعمال الهواتف الذكية في زيادة الاقبال على الجسد وعلى هذه المنصات التي سلبت عقل النساء ووعيهن حتى أصبحت ميزة العصر، فقليلات هن من لا يعرضن حياتهن فيها وكثيرات من يتجولن من خلالها باحثات عما يشبع رغبتهن وميولهن في العناية بالجسد. وبالتالي فان هذه النهضة الرقمية سرعت تدفق المعلومة عبر الشبكة العنكبوتية ومنحت الجميع حق الكلام عن الجسد، ونقل معايير وقوالب الجمال قبل أن تبحث عنها. تحكمت في الأذواق ووحدتها فتلاشت الخصوية (العربي، الإسلامي، الامازيغي) واختفت ثقافة المجتمعات فيما تعلق بممارساتها في العناية بالجسد وتجميله. ما ترك الانثى حائرة بين القبول والرفض، مسلوبة الرغبة والإرادة امام سلطة الثورة والتقنية. تنتقل من فضاء الى فضاء ومن تقنية الى تقنية أخرى مجاراة للحداثة وقوالبها الجاهزة.

لتجد نفسها امام هيمنة ناعمة وتسليع هجين لجسدها وكينونتها. ليبدوا الجسد الأنثوي في الأخير مرتبطا امام تعددية المعايير والسمات التي ربما تكون موضوعية وجماعية ولكنها في الغالب ذاتية لا تكاد تحيد عن نمطين غالبين لمفهوم الجمال والانوثة (الامتلاء، الرشاقة) التي تبنى على الاغراء المستثمر في المظهر والمتحرر من كل الطابوهات الاجتماعية الخاضعة لأسس ومقاييس وليدة التحضر والحداثة. فلم تعد للعائلة سلطة على الجسد الانثوي انما غدت سندها في تحقيق اشباع مؤقتة في الظهور بالمظهر الذي تريده الثقافة، مظهرا يذوب في قوالبها قلبا وقالبا، حيث تتزين الانثى كما تشاء، فجسدها ملكها بدعم من الأسرة وتشجيع من المجتمع، لكن لا ننكر ذلك الصراع الخفي حوله كقيمة تعلي الشرف وتحفظ الحياء. فثنائية القبول والرفض قائمة تقبله أحيانا وتقصيه احيانان أخرى ما خلق ارتباك حقيقي لأنثى العصر الحالي، لقد تخلت الاسرة عن دورها وملكت الاعلام والتقنيات زمام الأمور لتتحكم فيها وتوجه ذوقها وفق متطلبات الموضة التي تبعث برسائلها المشفرة المتحكمة في الجسد الانثوي والذوق الجمالي. مفارقة عجيبة لا تعيها الأنثى ولا يفقهها المجتمع، تحول فيها الجسد الأنثوي من رأسمال رمزي إلى سلاح في يد المهيمنين "المسوقين، المنتجين" جرده من قدسيته باسم الحداثة. وبيع في سوق الانسلاخ بأغلى ثمن ورسمت له تمثلات جديدة يصعب اختراقها وتجاوزها ومقاومتها اعادت تشكيل وعيه وهندسته ضمن قوانين وشروط القوة المهيمنة المتجددة باستمرار.



خاتمـة عامـة



خاتمة عامة

لا يمكننا أن نسدل الستار على هذه **التيمة** "**الجسد الانثوي**" بكل هذه السهولة وقد نبالغ إذا قلنا إن البحث في هذا المعطى السوسيوثقافي في مجتمعنا البحثي **(باتنة)** إلى حين خط هذه الأسطر ما يزال بكراً يحتاجنا كباحثين **أنثروبولوجيين** ويحتاج المزيد من البحث والنبش فيه من طرف الدارسين على اختلاف تخصصاتهم. وسيظل البحث في ثنائية **الأنثى/الجسد** من المواضيع البحثية إثارة للجدل واللبس ومن أكبر المجالات البحثية اتساعاً وأكثرها استحقاقاً بالبحث والتقصي. بل أكثرها إصرار على تجاوز العقبات الاجتماعية والثقافية والدينية والابستمولوجية لقدرته على تقديم الوجه الآخر أو الخفي منه. فهو " **الجسد الأنثوي**" مثقل بالرموز والمعاني وأعمق من أن يُنظر إليه على أنه معطى بيولوجي فحسب، إنه هويتنا وانتمائنا وواجهة انخراطنا وجواز عبورنا للعالم على اختلاف جنسنا " ذكر، أنثى" وعمرنا " كبار، صغار" وهو انتمائنا الاجتماعي والثقافي والعقائدي نتعهده بالاعتناء والاهتمام لنذوب وننسجم مع معايير وتمثلات مجتمعاتنا "عادات، تقاليد، قيم، قوانين..." ونمتثل لكل قوالبه النمطية كجزء من الهوية الجماعية. وذلك الذي سعت إليه أنثى العصر الحالي من خلال التماهي مع الصور والقوالب النمطية الجاهزة التي رسمها لها الإعلام وسوقت لها كبرى شركات الموضة والجمال مختزلة إياها في مظهرها الخارجي. وعليه فالجمال والجسد الأنثوي ليست مجرد مواضيع سطحية مرتبطة بالمظهر الخارجي فحسب إنما هي انعكاس لمعايير وقيم المجتمع وممارساته الثقافية والاجتماعية والطقوسية التي شكَّلت حضور الأنثى عبر التاريخ وتحفظ هويتها في السياقات المعاصرة على الرغم مما تلعبه الحداثة بكل آلياتها ومعاييرها من قولبة وتنميط ليتحول الجسد من **طابو** لا يمكن الحديث عنه إلى **مباح** يُمكن الإفصاح عن ثناياه بعرضه **مُتَجَمِّلاً** في الفضاء العام بوجه جميل مرسوم بمختلف مستحضرات التجميل ومظهر مُعدَّل ومُشكَّل في فضاءات العناية الجسدية وصناعة الذوق الجمالي التي زادت من بروز جمال الجسد وبعث إشعاع الانوثة.

فلقد أفرزت الحداثة قيماً جديدة من صنع الموضة **ومُسَلِّعِي ومُسَوِّقِي** الجمال والماركات العالمية بحيث هيمنت على وعي الأنثى واختياراتها، وزادت سلطتها بفعل انتشار الاعلام وغزو التكنولوجيا الرقمية التي تحكمَّت في اختياراتها وحَفَّزَتْهَا لزيادة الانخراط اللامشروط في لعبة التصنيفات

الجسدية وفي عالم الموضة والجمال متأثرة بالنماذج الجمالية والصور الرقمية المعروضة في مختلف منصاتها " **فيسبوك، انستغرام، تبيك توك** " فأرغمتها **الميديا** على الانغماس في هذه القيم

الغربية والعالمية **الهجينة** على مجتمعها الأمازيغي العربي الإسلامي وحوَّلتها الى سلعة تُباع وتُشترى. ضناً منها أنها تختار ما تريد من بين القوالب دون أن تعي أنها مسلوبة الإرادة والرغبة. فمورست عليها وعلى الفضاءات التجميلية وعلى كل المجتمع **هيمنة** وسلطة غير مرئية "قوة ناعمة" وَحَّدَتْ الوجوه **ونَمَّطَتْ** القوالب وأصبحت تلك المعايير روتين يومي وإلزامي على حد تعبير "**بير بورديو**" يرسخ ثقافة **الهابيتوس** في سوق مفتوحة ومتجددة على الدوام تعمل على فتح باب من المُمكنات "**موضة الجمال والتجميل**" التي لم تكن مُتاحة من قبل، فانفصلت الأنثى عن النسيج الاجتماعي وفقدت التجذر الهوياتي بفعل الموضة التي جعلت من الجسد عالماً مصغراً وغاية ذاتية وثوابت جديدة ترسو عندها الأنوثة الباحثة عن هوية مقبولة و ولو مؤقتاً، فتلاشت بذلك العلاقة بين الممكن واللاممكن والمقبول والغير مقبول، الحلال والحرام وأنتجت أزمة هوية **شَيَّئَت** الجسد الأنثوي وسلَّعته وباعت وهم الجمال للأنثى مُعْتبرة إياه علامة التميز والانتماء للمرأة العصرية. وأصبح بذلك المظهر حاسم في الحُكْمِ والتقييم **(زينة، بشعة)** والانخراط **(الزواج، العمل...) وأُخْتُزِلت** بذلك الأنثى في جسدها الذي أصبح يتطلب الكثير من العناية والصيانة كرأسمال يحقق لها الاعتراف.

ختاما ما نود قوله إن كل من قابلناهن من النساء وشاركناهن تجربتهن الجمالية في فضاءات العناية الجسدية على اختلاف سنهن ومكانتهن الاجتماعية وانتمائهن، إنهن يتقاسمن المفهوم الرمزي للجسد، يعترفن بأن الجسد رأسمالهن الذي يستوجب منهن الحذر في التعامل معه غير أنهن سمحوا له بالانخراط في لعبة التصنيفات الجسدية وحادوا عما عهدوه من حذر وحيطة وتوجس منه عكس ما تربوا عليه واختبروه في أسرهم التي عملت علة **وَئْدِ** الجسد وكل أبواب المتعة ولذة العناية بالمظهر. فتلاعبت به اليوم تمثلات جديدة وقيم دخيلة على المجتمعات العربية ومجتمعنا البحثي الشاوي فارضة قيماً تُعيد تشكيل تمثلات الأنثى لذاتها ولقيم مجتمعها الذي يتحكم فيه الانتشار الكبير والمتزايد لمستحضرات التجميل وفضاءات العناية الجسدية التي **تُنَمِّط وتُقَوْلِبْ** الأجساد، توجه الاختيارات والرغبات. وتعكس التحولات العميقة التي مست تمثلات مجتمع البحث لمفهوم الجسد الأنثوي والجندر.

توصيات الدراسة

- نوصي بتعميق البحث حول الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري من عدة زوايا وتخصصات مما يسمح بفهم المجتمع في سياق التحولات العميقة المعاصرة.
- ضرورة تكثيف الرقابة القانونية على فضاءات التجميل وعلى الممارسين غير مرخصين لضمان السلامة والصحة الجسدية والأمن الاجتماعية.
- ضرورة الفصل بين العناية الجسدية كمهنة وحرفة وبين التجميل كتخصص طبي وإبراز الفروق بينهما من خلال التوعية الإعلامية للحد من التجاوزات الخطيرة التي يقع فيها بعض الممارسين للتجميل.
- الدعوة لفرض رقابة صارمة على الممارسين للتجميل وبناء أنظمة حماية تحد من تلك التجاوزات لضمان الحقوق والسلامة الجسدية.
- الدعوة إلى مراقبة وتقييم المحتوى الإعلامي خاصة المعروض على منصات التواصل لبعض المؤثرين على حساباتهم بالتسويق لنماذج جمالية هجينة وقوالب جسدية تُنتج خطابات تُرسخ مفهوم الفردانية وملكية الجسد، وتعري قيم المجتمع.
- الدعوة لتقديم برامج توعويه للنساء حول خطورة استعمال المنتجات التجميلية المجهولة العلامة والممارسات التجميلية الغير الآمنة التي يجب ان تكون على يد طبيب مختص حتى لا تسبب اضرار على صحتهن وسلامتهن.



قائمة المراجع



- القران الكريم (رواية ورش عن نافع)

- المراجع باللغة العربية

القواميس والمعاجم

1. ابن القيم الجوزية–**الجمال، فضله، حقيقته، أقسامه**–تحقيق إبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط1، 1413.

2. ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، دار صاد، بيروت، لبنان،2000.

3. ابن منظور–**لسان العرب**– المجلد الأول، دار المعارف، مادة البدن، القاهر ط1، 2006.

4. اندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية–A – G**–، المجلد الأول، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان،1993، ص231.

الكتب باللغة العربية

1. أسامة البحري، **سوسيولوجيا الجسد العربي للنشر الالكتروني**.https://www.asrud.com/

2. أسامة غانم: **سرديات الجسد والايروتيكا**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2019.

3. الاسود حافظ، **الانثروبولوجيا الرمزية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.

4. إكرام عدنني: **سوسيولوجيا السياسة عند ماكس فيبر**، منتدى المعارف، بيروت لبنان، ط1، 2013.

5. امال قرامي: **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي**، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

6. أميمي لورنار: **الفضاءات النسوية: النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية**، تر: عبد الحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر السعودية 2012.

7. أنتوثر غدنز، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصباغ، دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

8. ايفلين ريد، **مشاكل تحرير المرأة رؤية، ماركسية**، تر:رغد قاسم، دار الخيال، لبنان، ط1، 2021

9. بيير بورديو، **الهيمنة الذكورية**، ترجمة سلمى بن عبد العالي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 47.

10. بيير بورديو، جان كلود باثرون، **إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**، تر: ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط1، 2007.

11. تيم إدواردز، **النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة**، تر: محمد أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012.

12. جان لابلاش وجانبر ترندبو نتاليس: **معجم مصطلحات التحليل النفسي**، تر: مصطفة حجازي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2011

13. جان ميزونوف وماريلو بروشون – شافيتزر، **الجسد والجمال**، تر: أنور مغيث، شركة الخدمات التعليمية، القاهرةد ط، ص28

14. جلال الدين سعيد، **فلسفة الجسد**، دار امية، تونس، ط2، 1993.

15. جميل عبد المجيد، **البلاغة والاتصال**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2000.

16. جوجيث بتلر، **قلق الجندر" النسوية وتخريب الهوية"**، تر: فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2022.

17. جورج فيغاريلو، **تاريخ الجمال "الجسد وفن التزيين من عصر النهضة الأوروبية الى أيامنا"**، تر: جمال شحيّد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

18. جيا مبيترو جوبو، تر: محمد يسري، **اجراء البحث الاثنوغرافي**، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2006.

19. جيل ليبو فتسكي، **مملكة الموضة زوال متجدد" الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية**، تر: دينا منصور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، طَ، 2017

20. حسين أبو رياش واخرون: **الإساءة والجندر**، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2006.

21. خالد محمد: **منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، 2008.

22. خلود السباعي، **الجسد الانثوي وهوية الجندر**، جداول لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011.

23. خلود السباعي، **حقل للصراع مع الذات، مجلة التغير الاجتماعي**، المجلد 4 العدد01 ،2020.

24. خواجة عبد العزيز، **مبادئ التنشئة الاجتماعية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.

25. دفيد لوبروتون: **سوسيولوجيا الجسد** تر: عياد ابلال ادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.

26. ديفيد غلوفر كورا كابلان: **الجنوسة**، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية،2008.

27. رياض القرشي، **النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب**، دار حضر موت، اليمن ط1، 2008.

28. الزهرة إبراهيم: **الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية "وجوه الجسد"** الناشر للدراسات والنشر والتوزيع سوريا، دمشق، ط1، 2009.

29. زينب أحمد، **المرأة في التراث العربي**، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2000.

30. زينب المعادي، **الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية**،2004.www.nesasy.org

31. زينب منصور حبيب، **الاعلام وقضايا المرأة**، دار اسامة للنشر والتوزيع الاردن، 2011.

32. سارة جامبل، **النسوية وما بعد النسوية**، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

33. سرتاج تيمور دمير: **حضارة البشرة " الجسد وما بعد الجسد في الثقافة المعاصرة"**، تر: أحمد فهد يوسف، مؤسسة دراسات تكوين للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، ط1، 2022.

34. سكوت جون، **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2009

35. سمية نعمان جسوس، **بلا حشومة**، تر: عبد الرحيم خزل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003

36. سهيلة خمري وآخرون: **مدينة باتنة نشأتها ومراحل تطورها المجالي**، مؤسسة الاشغال العمومية باتنة، مركز البحث العلمي والتقني للمناطق الجافة بسكرة.

37. سيمون دي بوفوار، **الجنس الآخر "التجربة الحديثة"**، تر: سحر سعيد، الرحبة للنشر والوزيع، دمشق، طَ، 2015

38. سيمون دي بوفوار، **كيف تفكر المرأة، المركز العربي للنشر**، الإسكندرية، القاهرة، د ط،

39. شارلين هس بيبر، **البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية**، تر: هناء الجوهري وباتريشيا لفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2001.

40. شافا فرانكفورت ناشمياز دايفيد ناشمياز: **طرائق البحث في العلوم الاجتماعي**، ط1، بترا للنشر

41. صوفية السحيري بن حتيرة: **الجسد والمجتمع" دراسة أنتروثولوجيَّة لبعض الاعتقادات والتصوّرات حول الجسد"**، دار محمد علي للنشر، تونس 2008، ص4.

42. عبد الدايم شكري: **الجسد الأنثوي: رؤى متقاطعة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015.

43. عبد الرحيم عنبي: **انتقال استخدامات الجسد الانثوي في المجتمعات العربية من الإنتاج البيولوجي الى المتعة**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،218.

44. عبد الغني مغربي، ***التمثلات الاجتماعية: المفهوم والنظرية والمنهج***، دار الأمان الرباط، 2018

45. عبد الفتاح الديدي، **القضايا المعاصرة في الفلسفة**، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967

46. عبد الكبير الخطيبي: **الاسم العربي الجريح**، تر: محمَّد بنيس. منشورات دار الجمل، بغداد بيروت، 2009.

47. عبد الله القصيمي: **الثقافة والجسد: دراسة سوسيو ثقافية عن ممارسات التجميل في المجتمع العربي**، دار الفكر العربي، 2015، ص.122.

48. عبد الله محمد الغامدي، **ثقافة الوهم" مقاربة حول المراة والجسد واللغة"** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1998.

49. العربية للأبحاث والنشر، السعودية 2012.

50. العساف عبد الله: **الجسد والفضاء: مقاربات أنثروبولوجية**، المركز الثقافي العربي بيروت، 2018.

51. عصمت محمد حوسو، **الجندر"الابعاد الاجتماعية والثقافية"**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.

52. العلوي هشام: **الجسد بين الشرق والغرب، نماذج وتصورات**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، المغرب، 2004.

53. غلام على حداد عادل، تر: عبد الرحم العلوي، **ثقافة العري او عري الثقافة**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

54. فتيحة محمد وإبراهيم مصطفى حمدي لشواني: **مدخل الى مناهج البحث في علم الانسان "الأنثروبولوجيا"**دار المريخ للنشر الرياض السعودية 1988.

55. فريد الزاهي، **الجسد والصورة والمقدس في الإسلام**، افريقيا الشرق، المغرب،1999،

56. فؤاد إسحاق الخوري، **أيديولوجية الجسد " رمزية الطهارة والنجاسة"**، دار الساقي، لبنان، ط1، 1998.

57. كرس شلنج: **الجسد والنظرية الاجتماعية**، تر: منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2009.

58. كلود ليفي–ستروس، **الأنثروبولوجيا البنيوية**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، دار الجنوب للنشر، تونس، 1991.

59. لوس اريغاراي، **سيكولوجية الانوثة' المرأة الأخرى '** ب د، د ط ،2007.

60. مارسيل موس، **تقنيات الجسد ومقالات إناسية أخرى**، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2017.

61. مازن مرسول محمد، **حفريات في الجسد المقموع " مقاربة سوسيولوجية ثقافية**، دار الأمان الرباط، المغرب، 2025.

62. مالك شبل، **الجنس والحريم وروح السراري**، تر: عبد الله زوار، افريقيا للشرق، المغرب، 2010.

63. محمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، **علم الاجتماع العائلي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

64. محمد عبد الوهاب يوسفي، **جسد الانثى بين الخطاب الديني والخطاب الإعلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009.

65. محمد عبيدة، **الانثروبولوجيا من البنيوية الى التأويلية**، افريقيا الشرق، المغرب، 2014.

66. محمد فياض وسمير اديب، **الجمال والتجميل في مصر القديمة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

67. مريم نريمان نومار: **الدراما الاجتماعية والمرأة في الفضاء الافتراضي**، الان ناشرون وموزعون الأردن، 2021.

68. مصطفى، عبد الله" **تمثلات الجسد والجندر في المجتمع العربي**". مجلة العلوم الاجتماعية العدد 45، 2017

69. معن خليل العمر، **معجم علم الاجتماع المعاصر**، دار الشروق، الأردن،2006.133.

70. ملاك إبراهيم الجهني: **قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر' الحجاب انموذجا"**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

71. منى فياض، **فخ الجسد**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2013.

72. مها محمد حسين: **العذرية والثقافة**، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

73. موسكوفيتشي، **التمثلات الاجتماعية: بحوث في علم النفس الاجتماعي**، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 2007،

74. نادية هنداوي: **الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الانثوية)**، الرافدين، لبنان ط، 2016.

75. نرجس رودكر: **فيمينيزم (الحركة النسوية) مفهومها واصوالها النظرية وتياراتها الاجتماعية** تر: هبة ضافر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ط، 2019.

76. نوال السعداوي **دراسات عن المرأة في المجتمع العربي** المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط2.

77. هيلين توماس وجميلة احمد، تر: أسامة الغزولي، **الأجساد الثقافية الاثنوغرافيا والنظرية**، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، 2010.

المذكرات والاطروحات

1. بن زيان خيرة، المرأة والفضاءات الاجتماعية المحلية "السوق، الحمام، الحلاقة" دراسة ميدانية لحمام بوحجر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، منشورة، جامعة وهران2، 2107.

2. عبد الله حاج حمو زهية، **الجسد والجندر، الحداثة ورهانات الزينة والتزيين"دراسة شوشسو انثروبولوجية لتمثلات وممارسات العناية بالصحية والجمالية بالجسد في الجزائر"** أطروحة دكتوراه تخصص انثروبولوجيا، منشورة، جامعة وهران2، 2015.

3. مليكة قويدري، **تمثل صورة الآخر في العلاقة العلاجية**، دراسة ميدانية مع عينة من المرضى بمستشفى وهران، أطروحة دكتوراه في علم النفس، منشورة، جامعة وهران2، 2024.

4. هناء عمراني، **إشكالية الجسد من خلال ظاهرة التجميل الاعتناء في المجتمع الجزائري**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري، منشورة، جامعة وهران2 محمد بن احمد 2022.

المجلات والمقالات

1. أحمد جلول، مومن بكوش الجموعي، التصورات الاجتماعية مدخل نظري، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، جامعة محمد لخضر الوادي، الجزائر، العدد6, أفريل 2014.

2. محمد جميل أحمد، انظرية النسوية واتجاهاتها- بحث في الانثروبولوجيا الثقافية، **مجلة كلية اليرموك**، العدد5، الجزء2، المجلد18، 2022

3. بن يحيى، سامية، البنية المفاهيمية للتمثلات الاجتماعية: دراسة ميدانية على عينة من طلبة علم الاجتماع، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، بجامعة الجزائر 2، 2016.

4. عيساوي، نوال.: التمثلات الاجتماعية للتجميل في الوسط النسوي الجزائري، **مجلة الفكر الاجتماعي**، جامعة الجزائر، 2022

5. عزيزة زواغي، المراة في عصر الحداثة المفرطة من البعد الجمالي الى البعد التجاري – جيل ليبوفيتسكي انموذجا، **مجلة المعيار**، مجلد 27 عدد5 ،2023.

6. عبد الحميد بورديار وليلى العرباوي، التمثلات الاجتماعية وقيمتها في الحقل المعرفي، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، المجلد 11، العدد 22، 2023

7. صالح عبد الله العقيل، العوامل الاجتماعية والنفسية المرتبطة بإقبال الفتاة السعودية على عمليات التجميل الجراحية، **مجلة مجمع**، جامعة المدينة العالمية، العدد 10، 2014.

8. شهيناز بن ملوكة، التمثلات الاجتماعية من الأبعاد النظرية إل نظرية النواة المركزية، **مجلة الحوار الثقاف**، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، العدد 2، المجلد 2، الجزائر، 2012.

9. دناقة أحمد، الممارسة الاجتماعية وكيفية تشكل الفعل والبناء مقارنة بين بوردية وغيدنز –قراءة تحليلية نقدية- **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد03، العدد01، 2017.

10- دعاء ماجد عيدان وحمزة جواد خصير، عمليات التجميل عند الرجال دراسة ميدانية في مدينة بغداد، **مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلد 62 العدد 2 الملحق2 2023.

11- ميسوم العتوم: جسد المرأة والدلالات الرمزية: دراسة أنثروبولوجية بمدينة عمان (الأردن)، **مجلة انسانيات**، عدد 59، جانفي- مارس، وهران، 2013.

12- مصطفى، عبد الله" تمثلات الجسد والجندر في المجتمع العربي". مجلة العلوم الاجتماعية العدد 45، 2017

13- احمد جلول، مومن بكوش الجموعي، التصورات الاجتماعية مدخل نظري، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، جامعة محمد لخضر الوادي، الجزائر، العدد6, أفريل 2014 ص169.

- المراجع باللغة الأجنبية

Dictionnaire

1. Jaguelin Russe ; **dictionnaire de la philosophie**, Bordas. 2004.

Books

1. Abric, J. C**." pratic sociales et représentation** "PUF, Paris.
2. Butler,Judith. Gender Trouble : **Feminism and the Subversion of Identity**. New York, 1990 .
3. Camille Froide Vaux -Metherie, **La révolution du féminin**, Ed Gallimard ,2015.
4. Dipesh Kharel. **Visual Ethnography**, Thick Description and Cultural Représentation.
5. Galinon -Melenecet Beatrice, Fabienne Juchât, (**S /d**), **Le corps communicant, le XXIe siècle**, civilisation du corps. Ed l'Harmattan 2007.
6. Jodelet .D **Les représentations sociales**, Paris, PUF, 5e édition,1989.
7. . P.Verges . **Représentation sociles.de l'économie** : une forme de connaissance dans Denise Jodelet les RS. Paris 1999.
8. Wolf, Naomi. **The Beauty Myth: How Images of Beauty** Are Used Against Women. Harper Collins, 1991.

Memoires

1. Eich berg,Henning, **how to study body culture observing Human practice Danemark** : University of Danemark, center for sports, Heath and civil society,2007.
file:///C:/Users/HPVpro001/Downloads/admin,+14026-47702-1-CE.pdf
consulter :24-08-2024
2. Flament .C : **Approche structurales et aspect, normatif des repressentions sociales**, psychologie et société, Grenoble, presse univ Grenoble, 2001.
https://idrottsforum.org/articles/eichberg/eichberg070606.pdf - 22-05-2022

Rivews

3. Emler, Nicholas., **« La réputation comme instrument social** » Communications, n° 93, 2013.

4. Jean -Claude, **Kaufmann. Corps de femmes**, Regards d'hommes, Sociologie des seins nus, Edition Nathan, 1995.

5. Jean -Claude, Kaufmann. **Corps de femmes**, Regards d'hommes, Sociologie des seins nus, Edition Nathan, 1995.

6. A ccabe ; and L.A Ricciadelli "**A Longitudinal Study of Pubertal Timing and Extreme Body** Change Behaviors among adolescent Boys and Gilrs". Journal of Adolescence vol 39(153) (2004)

7. John W. Creswell, **Qualitative Inquiry and Research Design** : Choosing Among Five Approches, 4th Ed. Thou Sand Oaks, CA : Sage Publications, 2018

الملاحق

الملحق رقم1 : دليـــــل مقابلــة الممارس عليهن (زبونات)

البيانات شخصية

- **السن:** أقل من 25 سنة
- ☐ أكثر من 50 سنة ☐
- **المستوى التعليمي:**

بدون مستوى ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ ما بعد التدرج ☐

- **الحالة الاجتماعية:**

عازبة ☐ مطلقة ☐ متزوجة ☐ ارملة ☐

- **مكان الإقامة:** من باتنة ☐ خارج باتنة سمي المنطقة

المحور الأول: الممارسات التجميلية والعناية الجسدية.

1. هل تعتنين بجسدك (بنفسك) بشكل عام؟
2. هل كنت منتبهة لحاجة جسدك للعناية والتجميل من قبل؟
3. متى زرت حلاقة او مختصة تجميل اول مرة (كم كان عمرك)؟
4. ماهي نظرتك للتجميل والعناية بالجسد، ولمن تقوم بذلك؟
5. كيف ينظر المجتمع إلى الأنثى التي تقوم بذلك (التجميل)؟
6. هل تتبعين موضة معينة في مجال العناية بالجسد والتجميل؟ وكيف تؤثر عليك؟
7. هل تزورين مراكز التجميل بانتظام، وما نوع الممارسات التجميلية التي تقومين بها عادة؟
8. عند اعتنائك بنفسك بماذا تهتمين وتعتنين أكثر" (شعر، الانف، الوجه.... حددي)
9. هل جربتي التجميل غير جراحي من قبل. وهل تفكرين في ذلك مستقبلًا؟ وما هي دوافعك؟
10. هل تؤثر فضاءات التجميل والعناية على صورتك لذاتك؟
11. ما هي الممارسات التجميلية المنتشرة اليوم والتي تعتبرينها ضرورية؟
12. كيف تنظرين إلى ذهاب قريباتك أو صديقتك إلى مركز التجميل؟
13. هل هناك مناطق في الجسد يطلب الحذر في تجميلها وبماذا ترتبط؟

14. هل أثرت جائحة كورونا على اعتنائك بنفسك وتجميل جسدك؟
15. هل أعادت جائحة كورونا تقييم علاقتك بجسدك ورؤيتك لمظهرك؟
16. هل تعتقدين أن الجائحة سببت تغيرات في مفهوم الجمال والعناية بالجسد؟

المحور الثاني: الرياضة ومفهوم العناية الجسدية

1. هل تمارسين الرياضة بانتظام؟
2. كيف تؤثر الرياضة على تصورك لجسدك؟
3. هل تغير شكل جسدك بعد ممارستك للرياضة؟
4. هل تغيرت نظرتك للجسد بعد ممارسك للرياضة؟
5. هل تتابعين برامج رياضية أو حميات غذائية لتحسين مظهرك؟
6. هل تعتقدين أن قاعات الرياضة تروج لنمط معين من الجسد؟
7. كيف أثر انخراطك في الرياضة على ثقتك بنفسك وهويتك؟
8. هل واجهت رفضا من قبل العائلة والمجتمع بسبب لممارسة الرياضة؟
9. هل تختارين نوع التمارين بنفسك ام تتقيدين لبرنامج الكوتش؟

المحور الثالث: الجسد الانثوي في مرآة الاعلام

1. بمن كنت معجبة قبل بدئك رحلة التجميل والعناية الجسدية؟
2. هل تستخدمين وسائل التواصل الاجتماعي (سناب شات، تيك توك، إنستغرام، فيسبوك)؟
3. هل اثرت هذه المنصات في معاييرك الجمالية والجسدية؟
4. هل تعتقدين أن الفلاتر والتعديلات على الصور تؤثر على رؤيتك لنفسك؟
5. هل تغيرت نظرتك لجسدك وللجمال من خلال استخدامك لهذه المنصات؟
6. هل أثر ما يعرض في منصات التواصل على عنايتك بجسدك؟
7. هل ترغبين في ان تكوني مثل المؤثرات والمشاهير في الشكل والمظهر؟
8. ما رأيك في تسويق المؤثرات لمنتجات وعمليات التجميل وتعديل الجسم؟
9. ما رأيك في تأثير الإعلام والمشاهير على مظهر الانثى؟
10. هل تعتقدين أن التكنولوجيا الحديثة غيرت ملامحك ومفهومك للجسد بشكل دائم؟
11. كيف تتعاملين مع ضغط المجتمع ووسائل الإعلام بخصوص معايير الجمال؟

شكرا لتعاونكم:

الملحق رقم 2: دليـــل المقابلـة (ممارسات)

البيانات شخصية

1- **المستوى التعليمي:** يرجى تحديد المستوى التعليمي الدقيق

- طبيبة ☐ - جامعي
- ☐ - ثانوي ☐ - متوسط ☐ -بدون مستوى ☐

2- **التخصص:** يرجى تحديد التخصص الدقيق في المجال

- طبيبة جلد وتجميل (طب تجميلي) ☐
- خبيرة تجميل ☐
- مختصة في الحلاقة والتجميل ☐
- مركز التجميل والعناية الجسدية ☐
- مختصة في الرياضة ☐

المحور الأول: دوافع ممارسة التجميل والعناية الجسدية

1. ما هي الدوافع التي دفعتك لاختيار هذا المجال المهني؟
2. كيف تصفين تجربتك المهنية في مجال التجميل والعناية بالجسد؟
3. ما أنواع منتجات التجميل التي تفضلين استخدامها مع زبوناتك؟
4. من يملك القرار النهائي في الخضوع للتجميل؟
5. كيف تتابعين آخر صيحات الموضة والجديد في عالم التجميل؟

المحور الثاني: مفهوم الجسد الانثوي

1. كيف تصفين جسد المرأة بشكل عام من وجهة نظرك المهنية؟
2. هل تغيرت نظرتك للجسد الأنثوي مع مرور الزمن أو مع تجاربك المهنية؟
3. ما رأيك في إقبال المرأة على الاعتناء بالمظهر والجسد في الفترة الأخيرة؟
4. هل هناك فئة عمرية محددة أكثر إقبالًا من اجل التجميل؟
5. هل اقبال المرأة على التجميل هو من زاد في انتشار فضاءات العناية بالجسد ام العكس؟

المحور الثالث: تقنيات التجميل وممارسات العناية الجسدية

1. برأيك، لماذا تتجه النساء نحو التجميل والاعتناء بجسدهن؟
2. حسب تخصصك ما هي أكثر أنواع التجميل طلبًا من طرف النساء؟
3. ماهي تقنيات العناية الجسدية والتجميلية الحديثة المنتشرة بين النساء؟
4. من يحدد طرق التجميل وأنواع الممارسات؟
5. ماهي مناطق الجسم الأكثر اعتناء بها بين النساء؟

المحور الرابع: خطابات التجميل التجميل

1. هل يؤثر المجتمع على تقبل النساء لجسدهن؟
2. هل يلعب المجتمع دورا في اقبال المرأة على التجميل؟
3. هل ترين أن التجميل أداة لتحقيق التحرر أو أداة لزيادة الثقة بالنفس؟
4. هل توجهين احيانا بعض زبوناتك لمختص نفسي لتقبل جسدهن؟
5. هل اخبرتك زبوناتكِ يوما عن تعرضهن لضغوطات من أجل تغيير شكلهن؟
6. حسب خبرتك هل التجميل الزامي وضروري ام خيار شخصي؟
7. هل تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دورا في اقبال النساء على التجميل؟
8. هل صادفتِ نساء يرغبن في تغيير شكلهن ليشبهن صور المؤثرات أو النساء في وسائل الإعلام؟
9. كيف اثرت جائحة كورونا على مفهوم الجمال والعناية بالجسد حسب خبرتك؟

شكرا لتعاونكم

الملحق رقم 3: الخصائص السوسيو ديموغرافية للعينة (الزبونات)

المقابلة	السن	المهنة	المستوى التعليمي	نوع التجميل	مقر السكن
المقابلة رقم 1	34	ماكثة بالبيت	ماستر	تركيب رموش	عين التوتة
المقابلة رقم 2	26	معلمة	ليسانس	تركيب الاظافر	لاسيتي شيخي
المقابلة رقم 3	33	خياطة	ليسانس	تنظيف البشرة	لاري اشRUH
المقابلة رقم 4	46	موظفة	ثانوي	شط البطن (شفط دهون)	لي زالي
المقابلة رقم 5	22	طالبة جامعية	ليسانس	العناية بالبشرة – شد ونفخ	فيسديس
المقابلة رقم 6	29	ممرضة	مساعد ممرض	فوسات – بيرسينغ	مروانة
المقابلة رقم 7	25	موظفة بالبنك	ليسانس	تنظيف البشرة	لاسيتي شيخي
المقابلة رقم 8	19	طالبة ثانوي	ثانوي	تصفيف وتركيب شعر	لاقار
المقابلة رقم 9	22	طالبة تمهين	ثانوي	مكياج دائم–سكين بوستر	حملة3
المقابلة رقم 10	30	بائعة في محل	متوسط	مكياج دائم– سكين بوستر	بوزوران
المقابلة رقم 11	37	مركز تدريب	ثانوي	بوتكس – فيلر	عين التوتة
المقابلة رقم 12	34	بيع حلويات	ثانوي	مكياج دائم– رفع حواجب	فيسديس
المقابلة رقم 13	23	طالبة جامعية	ليسانس	العناية بالبشرة والشعر	واد الماء
المقابلة رقم 14	48	مديرة مدرسة	ليسانس	تجميل الوجه والجسم	باتنة
المقابلة رقم 15	25	خياطة	ثانوي	تركيب الرموش	حملة 3
المقابلة رقم 16	53	مفتشة ثانوي	ليسانس	العناية بالوجه والشعر	باتنة
المقابلة رقم 17	39	بائعة في متجر	ليسانس	التجميل بانواعه	واد الماء
المقابلة رقم 18	44	معلمة ابتدائي	ليانس	العناية بالجسم	مروانة
المقابلة رقم 19	26	ممرضة	مساعد ممرض	تركيب الرموش	لاسيتي شيخي
المقابلة رقم 20	29	بائعة في مطعم	ليسانس	مكياج دائم ورموش	تازولت
المقابلة رقم 21	33	طالبة دكتوراه	دكتوراه	العناية بالبشرة	ليزالي
المقابلة رقم 22	26	بيع حلويات	ثانوي	بيرسينغ – فوسات	حي 1200
المقابلة رقم 23	28	طالبة دكتوراه	دكتوراه	العناية بالوجه	دوار الديس
المقابلة رقم 24	26	سكريتيرة	ثانوي	العناية بالشعروالوجه	بوزوران
المقابلة رقم 25	31	مترجمة	ماستر	التنحيف الكولومبي	دوار الديس

المقابلة رقم 26	33	معلمة	ماستر	شد الوجه والجسم	عين التوتة
المقابلة رقم 27	30	ماكثة بالبيت	ليسانس	تجميل الوجه	باركا فوراج
المقابلة رقم 28	31	بائعة في متجر	متوسط	ميكروبليدينغ- نفخ خدود	مروانة
المقابلة رقم 29	20	طالبة جامعية	ليسانس	العناية بالوجه(خدود-شفاه)	فيسديس
المقابلة رقم 30	26	ممرضة	مساعد ممرض	تركيب الاظافر	عين التوتة
المقابلة رقم 31	33	موظفة بالبريد	ماستر	تجميل الوجه والشعر	مروانة
المقابلة رقم 32	26	معلمة نحضيري	ليسانس	العناية بالوجه والاظافر	بوزوران
المقابلة رقم 33	33	موظفة بالخزينة	ليسانس	العناية باليدين والرجلين	عين التوتة
المقابلة رقم 34	34	موظفة بالغابات	ثانوي	العناية بالشعر (ليزر)	ليزالي
المقابلة رقم 35	25	طالبة جامعية	ليسانس	تصفيف الشعر	لاقار
المقابلة رقم 36	27	مخبرية	مخبرية	تركيب الرموش	عين التوتة
المقابلة رقم 37	23	طالبة طب	طب	تركيب الرموش	بوزوران
المقابلة رقم 38	20	طالبة ثانوي	ثانوي	تركيب رموش- اظافر	لاسيتي شيخي
المقابلة رقم 39	22	طالبة تمهين	ثانوي	تجميل ومكياج	تازولت
المقابلة رقم 40	44	بائعة في محل	متوسط	تركيب رموش	حي لاقار
المقابلة رقم 41	37	مدرسة خاصة	ليانس	فوسات- **ميكروبليدينغ**	حملة3
المقابلة رقم 42	23	طالبة جامعية	ليسانس	بيرسينغ الخدود-اضافر	فيسديس
المقابلة رقم 43	48	مديرة مدرسة	ليسانس	ترطيب الرموش	دوار الديس
المقابلة رقم 44	25	خياطة	ثانوي	العناية بالشعر والوجه	دوار الديس
المقابلة رقم 45	53	مفتشة ثانوي	ليسانس	تجميل الجسم الحديث	باركا فوراج
المقابلة رقم 46	39	بائعة في متجر	ليسانس	العناية بالوجه	كشيدة
المقابلة رقم 47	40	معلمة	ليانس	العناية بالشعرميزوتيرابي	بوزوران
المقابلة رقم 48	26	ممرضة	مساعد ممرض	ميكروبليدينغ	كشيدة
المقابلة رقم 49	33	بائعة في مطعم	ليسانس	شد الوجه والبطن	تازولت
المقابلة رقم 50	33	طالبة دكتوراه	دكتوراه	تنظيف البشرة	بوزينة
المقابلة رقم 51	23	طالبة جامعية	ليسانس	نفخ الشفاه	كشيدة
المقابلة رقم 52	50	مديرة مدرسة	ليسانس	شد البطن-تقشيركربوني	مروانة
المقابلة رقم 53	25	ماكثة بالبيت	ليسانس	تنظيف البشرة	الزمالة
المقابلة رقم 54	27	بائعة في محل	ثانوي	ابر النظارة - الرموش	لارياشRUH

المقابلة رقم 55	23	طالبة جامعية	ليسانس	العناية بالشعر –الاظافر	لارياشRUH
المقابلة رقم 56	29	مخبرية	مخبرية	رموش–بيرسينغ	حملة3
المقابلة رقم 57	33	موظفة	ماستر	رموش–بيرسينغ	حملة 3
المقابلة رقم 58	26	خياطة	ليسانس	العناية بالوجه–تقشير	بوزوران
المقابلة رقم 59	33	موظفة بالخزينة	ليسانس	العناية باليدين والرجلين	عين التوتة
المقابلة رقم 60	34	موظفة	ثانوي	العناية بالشعر (ليزر)	ليزالي
المقابلة رقم 61	25	طالبة جامعية	ليسانس	تصفيف الشعر –رموش	الزمالة
المقابلة رقم 62	25	ماكثة بالبت	ليسانس	بوتوكس– فيلر–رموش	الزمالة
المقابلة رقم 63	28	بائعة في محل	متوسط	تقشير كربوني – رموش	دوار الديس
المقابلة رقم 64	20	معلمة	ليسانس	العناية بالوجه والجسم	كشيدة
المقابلة رقم 65	27	ممرضة	مساعد ممرض	العناية بالوجه والشعر	عين التوتة
المقابلة رقم 66	33	عاملة	ماستر	الرموش– الاظافر	دوار الديس
المقابلة رقم 67	26	عون ادارة	ليسانس	العناية بالشعر–اضافر	لاري اشRUH
المقابلة رقم 68	53	ماكثة بالبيت	ليسانس	ميكروبليدينغ–نفخ ضفاه	باركافوراج
المقابلة رقم 69	39	صاحبة محل	ليسانس	هيدرافاسيال– نفخ شفاه	واد الماء

الملحق رقم 4: الخصائص السوسيو ديموغرافية للعينة (الممارسات)

المقابلة	السن	المهنة	المستوى التعليمي	الاختصاص في التجميل	الخبرة
المقابلة رقم 1	35	حلاقة	ليسانس/ دبلوم تجميل	خبيرة تجميل حديث	5 سنوات
المقابلة رقم 2	42	ممرضة	مساعد ممرض/ دبلوم طب تكميلي	مركز العناية بالبشرة	2 سنوات
المقابلة رقم 3	38	حلاقة	كفاءة مهنية/ شهادات تكوين	حلاقة وتصفيف الشعر	15 سنة
المقابلة رقم 4	33	معلمة	ماستر / دبلوم بروشينغ	تمشيط شعر العرائس	7 سنوات
المقابلة رقم 5	28	جامعية	ليسانس/ دبلوم	العناية بالرموش والاظافر	3سنوات
المقابلة رقم 6	36	محامية	ليسانس/ تكوين دولي	مركز تجميل بدون جراحة	4سنوات
المقابلة رقم 7	54	حلاقة	كفاءة مهنية/ دبلوم محلي	صالون حلاقة وتجميل	22 سنة
المقابلة رقم 8	34	محامية	ماستر/ شهادة العناية الجسدية	مركز عناية جسدية	7 سنوات
المقابلة رقم 9	29	خبيرة تجميل	ثانوي، Make-up Artist	Institut de Beauté	12 سنة
المقابلة رقم 10	43	حلاقة	كفاءة مهنية/ شهادة العناية الجسدية	مركز العناية بالبشرة ونظارتها	10سنوات
المقابلة رقم 11	37	معلمة	ليانس/Make-up Artist	اخصائية تجميل دائم	7 سنوات
المقابلة رقم 12	39	خبيرة دولية	ليسانس/ تكوين في معهد فرنسي	Esthétique Epilation Laser Lifting du visage	9 سنوات
المقابلة رقم 13	33	طبيبة	Médecin esthétique	Dermatologie-laser-clinique	5سنوات
المقابلة رقم 14	26	كوتش	جامعي	تدريب رياضي، مدربة	8سنوات

« Représentations du corps féminin et identité de genre : une étude anthropologique dans la ville de Batna »

Résumé

Cette étude vise à révéler les représentations de la communauté de recherche de Batna concernant le corps féminin et la féminité, ainsi que le rôle joué par les centres de beauté et les rituels de soin corporel dans la formation et la régulation des normes de beauté selon une perspective Genrée. Elle offre une compréhension plus approfondie du rôle du corps dans la formation de l'identité individuelle et sociale sous l'influence des médias modernes et des normes esthétiques globalement standardisées, diffusées dans des espaces intimes, conçus comme des cadres symboliques qui construisent et redéfinissent le corps tout en gouvernant les sensibilités esthétiques. L'étude a démontré que la tendance à adhérer à des représentations socialement et culturellement construites dans notre contexte de recherche persiste, bien qu'elle demeure soumise à évaluation et filtrage, malgré l'engouement pour le corps esthétiquement façonné — façonné à travers les rituels de soin corporel et les techniques modernes spécifiquement conçues pour améliorer son apparence et harmoniser ses composants. Ces pratiques imitent des modèles et des paradigmes de la modernité qui s'alignent sur le paysage culturel prévalant

Mots clés : Corps. Corps féminin. Féminité. Genre. Identité de genre. Soins du corps. Espaces intimes. Présentations

"Représentations of the Female Body and Gender Identity: An Anthropological Study in the City of Batna"

Abstract

This study aims to uncover the representations of the Batna research community concerning female body and femininity, as well as the role played by beauty centers and bodily care rituals in shaping and regulating beauty standards from a gendered perspective. It provides a deeper understanding of the body's role in forming both individual and social identity under the influence of modern media and global standardized aesthetic norms within intimate spaces, which are conceived as symbolic frameworks that construct and reshape the body while governing aesthetic sensibilities. The study has demonstrated that the tendency to adhere to socially and culturally constructed representations in our research context persists, although it remains subject to evaluation and filtering, despite the fascination with the aesthetically crafted body—shaped through bodily care rituals and modern techniques specifically designed to enhance its appearance and harmonize its components. These practices emulate models and paradigms of modernity that align **with the prevailing cultural** landscape.

Key words: Body. Female Body. Femininity. Gender. Gender Identity. Body Care.Intimate Spaces. Representations

" تمثلات الجسد الانثوي والهوية الجندرية دراسة انثروبولوجية بمدينة باتنة "

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات مجتمع البحث (باتنة) حول مفهوم الجسد الأنثوي، الأنوثة والهوية الجندرية، وما تلعبه فضاءات التجميل والعناية الجسدية، العيادات والنوادي الرياضة من دور في التحكم في معايير الجمال في ضوء الجندر. ما يفتح المجال لفهم أعمق للدور الذي يلعبه الجسد في تشكيل الهوية الفردية والاجتماعية تحت تأثير الوسائط الحديثة والمعايير الجمالية **المُعَوْلَمَة** داخل الفضاءات الحميمية باعتبارها جهازاً من التمثلات **الرمزية** التي تبني الجسد وتُعيد تشكيل مفهومه وتُهيمن على الذوق الجمالي. ولقد بينت لنا الدراسة أن ميل الأنثى إلى التمسُّك بالتمثّلات الاجتماعية والثقافية في مُختبرنا البحثي ما يزال قائماً وخاضعًا للتقييم والموازنة رغم الافتِتان بالجسد الجميل المُشكّل عبر ممارسات العناية الجسدية والانتشار الواسع لمختلف التقنيات والآليات الحديثة المُعدة خصيصا للعناية به وبمظهره وتناسق مكوناته التي تُحاكي قوالب الحداثة المُنسجمة مع المشهد السوسيوثقافي.

الكلمات المفتاحية:

الجسد، الجسد الانثوي، الأنوثة، الجندر، الهوية الجندرية، الزينة، العناية الجسدية، الفضاءات الحميمية. التمثلات.